

وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب



إيقاعات شامية
في مكنون السلوك الدمشقي



منير كيال

إيقاعات شامية

في مكنون السلوك الدمشقي

صورة الغلاف

لوحة للفنان التشكيلي

ممدوح قشلان

وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب
مديرية التراث الشعبي
مشروع جمع وحفظ التراث الشعبي
(٥١)

إيقاعات شامية

في مكنون السلوك الدمشقي

دراسة

أوراق من نشوة الماضي

منير كيال

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٣م

إيقاعات شامية في مكنون السلوك الدمشقي: دراسة: أوراق من نشوة الماضي / منير كيال . - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣ . - ٣٢٨ ص؛ ٢٤ سم .

(مشروع جمع وحفظ التراث الشعبي؛ ٥١)

١ - ٣٩٨,٠٩٦١١١ ك ي ا   إ   ٢ - العنوان   ٣ - كيال

٤ - السلسلة

مكتبة الأسد

$

L K J I H GF E M

WUV T S R QPO N M

W LZ Y X

سورة الحجرات: الآية ١٣

بين يديّ الكتاب

اهتم المؤرخون في الماضي بأخبار الأباطرة والملوك والخلفاء بل والصالحين والقادة والسياسة والسياسيون.. أكثر من اهتمامهم بالشعب وحياته وفعالياته في شتى المجالات..

وقد نجم عن انتشار أفكار الحريّة والديموقراطية وحتّى الاشتراكية أن أصبح اهتمام المؤرخين ينصبّ على النواحي الاجتماعية واليومية، وما يتبع ذلك من عوامل اقتصادية تجلّت في الزراعة والصناعة والتبادل التجاري، أيّ بكل ما له صلة وثيقة بالشعب، وبكلّ ما هو أصيل فيه، ويتكرر في حياته ويصبح صفة ملازمة له، وخاصّة من خواصّه يعرف بها في فترة زمنية أو عصر من العصور.

ولما كان لكل شعب من الشعوب تقاليد مميّزة عن الشعوب الأخرى، فإنّ الظواهر الاجتماعيّة التي ضمّتها دفتي هذا الكتاب، عن الحياة الاجتماعية التي عايشها أهل دمشق خلال أواخر القرن التاسع عشرة وحتى أواسط القرن العشرين إنما هي مما تواضع عليه الوجدان الشعبي. وتعارف الناس على الأخذ به. كان ذلك في تعامل أهل دمشق وتوادهم وتراحمهم وصِلاتهم وتعاضدهم في إطار الحرفة (الكار)، والبيع والشراء، والأخذ والعطاء، والبرّ والأثرة.. وصولاً إلى جوهر الإنسان.. وذلك فضلاً عن مواقف الحذق والمهارة وسرعة الخاطر، من خلال مواقف ومقالب ومماحكات ومفارقات بل والطرفة والأغنية الفلكلورية، آملاً في أن تكون أبحاث الكتاب متكاملة مع أبحاث كتاب سهرات النسوان وكتاب العرس الشاميّ، بما تُلقيه من أضواء على حياتنا الاجتماعية في الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين.

وقد جاء الكتاب انطباقاً لما عايشت في العقد الثالث والرابع من القرن العشرين، ومما استقيت ممّن خطّت تجاعيد السنين على وجوههم بما عايشوه وعاصروه في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين حتى كدت أشعر إنّي أحد شخوص أبحاث الكتاب، عشت معهم وعايشتهم فسررت لسرورهم، وتألمت معهم.. ووقفت معهم الموقف الذي يتوجّب أن يكونوا عليه. فوثقت ذلك في قالب آمل أن يجد فيه القارئ نفسه أمام حدّوتة معاشة تمسّ مشاعره وأحاسيسه لكأنّما هو أحد شخوص ما يقرأ، أو تكون عليه الأحداث في إطار المثل الشعبي والمقولة والعبرة والحكاية والموقف.. بكل ما في ذلك من معانٍ وقيم...

والله من وراء القصد، وهو ولي التوفيق

المؤلف

غرّة شهر ذي القعده ١٤٣٤ للهجرة

الموافق لمطلع شهر ايلول من عام ٢٠١٣ للميلاد

١- ما بيشبع العين.. غير التراب

١ - قصر الكبارية.

٢ - الكبارية وعبودة.

٣ - إيد من وراء وايد من قدام.

٤ - حكاية فيها إنّ.

٥ - لحس الإصبع.

٦ - ضبضت وسوّست.

٧ - الأعمى والأطرش.

٨ - غرقان لشوشتة.

٩ - البيضة والتقشيرة.

١٠ - مطامع صالح.

١١ - شطّت ريالته وبلع الطعم.

١٢ - مآل الطمع.

١٣ - ما حدا بياكل رزق حدا.

الشخوص المشاركة:

١ - الكبارية: أبو دياب، أبو راشد، أبو عجاج، أبو أحمد وأبو العزّ...

٢ - أبو عمر الحلاق.

٣ - عبودة صانع المقهى.

٤ - صالح الطماع، وزوجه.

٥ - سعاد وأخيها وصحبهما.

٦ - محمود الأعمى والبرديسي الأطرش.

٧ - صاحب الأرض والسمسار.

٨ - رئيس المخفر.

١- ما بيشبّع العين.. غير التراب!!..

١- قصر الكبارية:

انفردت بعض من مقاهي دمشق القديمة بجناح أطلقوا عليه اسم القصر، وقد خصّوا ذلك الجناح بكباريّة الحيّ، فيه يلتقون ويتسامرون ويتناولون الأمور العامّة والخاصّة، ويحتسون الشاي والقهوة، أو بعض الشراب من البرتقال والليمون والحصرم ونحو ذلك.. ومنهم من يدخّن الأركيلة (النارجيلة). وهم في ذلك القصر على نحو يمكّنهم من الاطلاع على كل كبيرة أو صغيرة في ذلك المقهى، دون أن يؤثّر إنفرادهم بذلك الجناح على دخول أو خروج الآخرين من روّاد المقهى.

عمد أبو العزّ، وعلى غير عادته إلى تجاوز جناح القصر، والجلوس على كرسيّ وراء طاولة في ناحية من المقهى، وهو في حالة من التوتّر تأخذ عليه مجامع فكره، وتُربِكُ سلوكه إزاء الآخرين. تارة كنت تراه يقطّب بين حاجبيه، أو يزمّ شفتيه، أو يشوبر (يلوّح) بيديه وقد بدت عليه إمارات التعجّب. وتارة أخرى يضع رأسه بين كفّيه وكأنّه لا يصدّق ما هو عليه من علم بمصير صاحبه صالح.

على حين كان صانع المقهى عبّودة يسرح بين طاولات زُبن المقهى يلبّي طلباتهم من القهوة والشاي وما إلى ذلك من العصائر.. فضلاً عن تفقّد طلبات من يدخّن الأركيلة بهمّة وطواعية.. ولا تكاد تفارق شفتاه مقولة:

- على عيني.. على راسي.. بتئمر!!

فإذا بكمال وهو أحد زُبن المقهى المداومين، يطلب إليه إحضار برّاد (إبريق) شاي خمير له ولصحبه الجالسين معه على الطاولة بالمقهى، فيلبّي عبوّدة طلب كمال وهو ينادي على أجير المقهى حسون بقوله:

- **عبوّدة:** على راسي أحلى براد شاي لأحلى كمالوز؛ عندك برّاد شاي اكرك عجم خمير لهون حسّون عالحارك.

أو يلبّي طلب زبون آخر وقد تعثّر معه نفس أركيلة يدخنها قائلاً.

- **الزبون:** تعا عبوّدة شوف لي شو ضريب هالنفس ليش ماله عمّا يشدّ.

يتقدّم عبودة من الزبون، وينزع عن رأس أركيلة الزبون بقايا نار الأركيلة (الرماد)، ويسلّك النفس بسيخ معدني رفيع، ثم يضع بصّة جديدة فوق تنباك النفس برأس الأركيلة ويجرّب الأركيلة، ومن ثم يناولها للزبون قائلاً:

- **عبودة:** شوف لي إياه.. هيك مليح؟!..(١)

٢- الكبارية وعبودة:

في هذه الأثناء يدخل أبو راشد وأبو دياب وأبو أحمد من الكبارية، جناح القصر بالمقهى، فيسارع إليهم عبّودة، ويمسح لهم الكراسي، ويقدم لكل منهم كرسيّاً، كما يمسح الطربيزات وهو يقول:

- **عبودة:** على راسي المعلمين.. أهلين وسهلين بتاج راسي.. أهلين وسهلين بكباريتنا.

فيمازحه أبو دياب بقوله:

- **أبو دياب:** يحرق حريشك.. لك إنت ما لحا تبطّل هالحركات ركون لك شويّ.. خلينا نزوجك..

- **عبودة:** بتئمر معلمي أبو دياب بتئمر، إيدي بزنّارك.. والله عما أبرد بالليل!!..

وفيما كان الجميع يضحك من قول عبّودة، يناول أبو دياب عبّودة كيس التنباك ليعدّ له نفس أركيلة من تحت ديّاته. فيسارع عبودة إلى تناول كيس تنباك أبي دياب وهو يقول:

- **عبودة:** إي مو على عيني.. كم معلم أبو دياب عنّا. بس الله يخليك معلمي أبو دياب، والله عم أبرد بالليل لحالي.

فكان أن عمد أبو دياب إلى رفع يده محاولاً صفع عبّودة قائلاً:

يعني ما لحا نخلص منّك اليومة لك عبّودة. وكاد يضربه لولا أن ابتعد عبّودة مسرعاً وأخذ يمسح طربيزة أمامه، فناداه أبو راشد وهو يناوله كيس تنباكه طالباً أن يُعدّ له أيضاً نفس أركيلة كالعادة. فأجابه عبودة بقوله:

- **عبودة:** خدامك معلمي أبو راشد.

فعاجله أبو راشد بأن يعدّ لأبي أحمد قطشة نفس أركيلة، لكن أبو أحمد سارع إلى الاعتذار. وبعد أخذ ورد بين أبي راشد وأبي أحمد، يذعن أبو أحمد لرغبة أبي راشد، على اعتبار أنّ تنباكات أبي راشد عجميّات وطازة بيعبّوا الراس. وهو يقول:

- **أبو أحمد:** بس فينك عبّودة، القشطة اليوم مو بكرة، حاكم بعرفك وبعرف دواوينك.

- **عبودة:** أمرك معلمي أبو أحمد أمرك، بتمون.. بس مو كل هالقدّ، لأوي.. أنا والله بحبّك.

ينهض أبو أحمد متوعداً، لكن عبّودة يفلت منه، فيناديه أبو دياب مستفسراً عن مآل الشاي الذي طلبه الكباريّة. فإذا بأجير المقهى حاملاً صينيّة عليها إبريق الشاي والكاسات والسكر، فيجيب عبّودة أبي دياب..

- **عبّودة:** وهيّ براد الشاي بخدمة المعلمين.

٣- إيد من وراء وإيد من قدام:

فيما يسكب عبودة الشاي بالكاسات ويناولها للكباريّة، يطل عليهم أبو عمر مسلّماً:

- **أبو عمر:** اللهم هنّيهم.

فيدعوه أبو دياب:

- **أبو دياب:** حوّل أبو عمر.. حوّل.

- **أبو عمر:** الله يجعله عامر. صحّة وعوافي أخي أبو دياب[٢].

وإزاء إلحاح أبو دياب والحضور، ما كان من أبي عمر إلاّ أن دخل مسلّماً فسحب كرسياً وجلس إلى جانب أبي دياب وهو يقول:

- **أبو عمر:** إه شو بدنا نساوي قال يلّلي ما بيجي معك تعا معه.. منشرب لنا كاسة شاي مع هالوجوه الطيبة. وخصّ نصّ شاياتكم توصاية أخي أبو دياب.

ولم يكد أبو عمر يرتشف رشفة من كاسة الشاي، حتى وضع كاسة الشاي على طرببيزة أمامه، وعمد إلى إمساك يد أبو دياب في حالة من الاستغراب قائلاً:

- **أبو عمر:** شوف شوف أخي أبو دياب.. هادا مو أبو العزّ يلّلي آعد جوّة على هديك الطاولة؟!!.

- **أبو دياب:** شو هالحكي؟!. لك إي والله.. شو قعّده هنيك؟! ما له بالعادة. يا جماعة ليكون أبو العز نائز من حدا وآخذ على خاطره؟ من غير شي هوّه ماله عاجبه العجب..

استغرب الحضور من قول أبي دياب، سيما وأنّ سهرة ليلة أمس كانت عند أبي العزّ.. وكان رايئ بهالسهرة وما حدا قدّه وضحكته لأدانيه.

- **أبو راشد:** لكان ليش آعد لحاله؟! مايجي يقعد معنا؟!. لسبدّ صاير معه شي.. لك شوف.. شوف شلون عمّا يشوبر بإيدتينه؟!.

- **أبو عمر:** والله يا عمي هالزلمة بالظاهر خابص له شي خبصة.. يا ورتان شي وراتة قام ما حملها عقلة.. يا إمّا آكل شي مقلب ماله قدران يتحوّك فيه.. آم صاروا عقلاته يخضّوا.. إه باطل عليك يا أبو العزّ[٣].

ولما عاود أبو عمر يغمز من قناة أبي العز قال له أبو دياب:

- **أبو دياب:** هلاًّ ما لحا تحلّ عن هالزلمة؟!. صعي مالك صاحب. ببالي في بيناتكم خبز وملح والزلمة متل أخوك؟!.

- **أبو عمر:** فال الله ولا فالك من إيمتى كنّا والشمس ترقعنا لا عمي لا.. من وين لوين.. شو جاب لجاب. قال أخي.. قال!!.

- **أبو دياب:** لكان الله يخلّيك نقطنا بسكوتك وخلينا نعرف شو صاير مع الزلمة[٤].. وقت قالوا لنا مالك صاحب ما صدقنا..

وسرعان ما وقف أبو راشد وأخذ يشير إلى أبي العز، ويدعوه للقدوم والانضمام إليهم، فيشير إليه أبو العزّ بالإيجاب.

ولم يكد أبو العزّ يجلس على كرسيّ إلى جانب أبي دياب حتى انهالت عليه التساؤلات عن سبب انعزاله عنهم، وما إذا قد بدر منهم ما يعكّر صفوه، أم أن ثمّة أمور لا يريد البوح بها إليهم. ولما طمأنهم بأن لا أساس لما يراود تفكيرهم وأنّ سبب ما به أنما هو وفاة صديقه صالح، فما كان منهم إلا أن شاركوه حزنه على صالح، وبخاصة أن صالحاً لم يصدر عنه في حياته ما يشين، كونه إنسان بحاله لا يتسرّى ولا ينام برّه، كما يقولون. لكنّ التساؤل الذي طرح نفسه هو أنّه: ما دام صالح لم يكن يشكو من مرض أو عاهة، وكان مثل الحصان وإذا مال على حائط يهدّه!!.. فماذا أصابه؟ هل كان يتعاطى في دكانه أموراً غير الكلف النسائية وعلبة مكّي!!. أم أن أحداً طمع به فلعب عليه بمقلب جعله عالحديدة ويد من وراء ويد من قدام!!. سمحت هذه الأفكار إلى تدخّل مباشر من أبي عمر الذي مهّد لرأيه بقوله:

٤- حكاية فيها إنّ:

- **أبو عمر:** يللي بيعرف بيعرف ويللي ما بيعرف بيقول كف عدس.

ولهذا المثل الشعبي ما وراءه من غمز ولمز، لأن وفاة صالح فيها وما فيها!!. لأن فصالح كان نائماً على خميرة حرزانة جمعها قرشاً فوق قرش فساقه حرصه على مضاعفة أمواله إلى حتفه.

لقد بدأت قصة صالح منذ فترة ليست بالقصيرة، يومها رغب أهل السوق من جوار صالح القيام بسيران إلى المقسم الذي بعد الشادروان.. إه.. حبّوا أن يشاركهم صالح بذلك السيران، وبعد اللتا واللتيّا رضي صالح بمشاركتهم. وكان على صالح أن يسبق الجميع ليحجز لهم مكاناً بالمقسم، ريثما يعدّون مستلزم السيران من طعام ونحوه. ولم يكد صالح يمدّ (يفرش) بساطاً لحجز المكان، حتّى ينطلق صوت استغاثة فتاة وقعت في النهر وكادت تغرق. فما كان من صالح إلاّ أن قفز بثيابه إلى النهر وأنقذها.. ولما وجد نفسه مبتلاً غادر المكان إلى بيته تاركاً السيران لأهله.

وتمضي أياماً بل أسابيعاً، وصالح على ما هو عليه، من الدكان للبيت، ومن البيت للدكان.. وفيما كان صالح بدكانه يتعاطى مع زبنه، يفاجأ بسعاد الفتاة التي أنقذها من الغرق مع أخيها سعيد يدخلان إلى الدكان. ادّعت سعاد أنّها جاءت مع شقيقها سعيد لتشكره على إنقاذها، وطلبت إليه أن يقبل دعوتها لزيارتهم في المنزل، لأن أهلها أحبوا التعرّف إليه وشكره، ولمّا حاول صالح التملّص من هذه الزيارة بالاعتذار، أصرّ سعيد على صالح، ورجاه أن لا يكسفه، وهكذا فتلت سعاد وأخيها سعيد عقل صالح وجعلاه يقبل الزيارة.

قبل صالح القيام بهذه الزيارة، عسى أن يصبح أهلها من زبنه، ممّا يُسهم في تحريك دكانه بعض الشيء، فكان الاتفاق أن يأتي سعيد إلى صالح مساء ذلك اليوم كيّ يرافقه إلى البيت. وما أن ولج صالح عتبة باب الزقاق، ودخل بهو البيت حتّى وجد نفسه كأنّه في حلم.. وقف مشدوهاً وهو يتأمّل ما كان عليه ذلك البهو (الصالون) من بذخ وترف.. وأخذ ينقّل نظرة بين الثريات (النجف) المتدلّية من السقف وما هي عليه من الكريستال البوهيمي

الصرّف وبين الأرائك الوثيرة التي يغرق فيها من يجلس عليها.. ثم إلى البيرو المصدّف والمموّه بالعظم والقصدير، بالتالي إلى التحف الموزّعة هنا وهناك وبخاصّة صحن نفّاضة السكاير الكريستال والولاّعة (القداحة) التي كانت من الذهب على أربع وعشرين قيراط.. وأخذ يحدّث نفسه:

- **صالح**: إه.. إ. الله يتمّ عليهم ويهنيّهم.. يا حسرتي علينا عمّ نحرت ليل ونهار.. والعشا خبيز.. منشان شو؟!. لحتّى يصير معنا مصاري.. إى هَهْ.. (وهو يلبّع بأصابع كفه الخمس على وجهه) العين تطرقنا هَيّ عيشة وعيشتنا عيشة؟! خلّينا نروح ننطمّ أحسن لنا.

ولم يخرج مما هو فيه إلاّ قدوم سعاد مؤهّلة مرحّبة، وقد رجته أن ينتقل للجلوس في صدر الصالون، على سبيل التكريم!!. لكن صالح أبدى ارتياحه في مجلسه وهو يقول بخجل:

- **صالح**: دياركم عامرة.. كل محلاتكم بركة.

وفيما كان صالح في حرج وهو يحدث سعاد قدم والدا سعاد للترحيب بصالح شاكرين له نخوته ولهفته نحو سعاد، فردّ صالح بأن لا داعي لذلك، لأنّ ما قام به إنّما من قبيل الواجب فضلاً عن ذلك فإن سعاد تستاهل كل خير[٥].

٥- لحس الإصبع:

عقب أبو أحمد على ما رواه أبو عمر من أمر صالح بقوله:

- **أبو أحمد**: وهيك صاحبك يا أبو عمر ما كذّب خبر، راح لعند الجماعة وسَنّ سنانه لجرّهم إلى دكّانه لحتى يصيروا من زبوناته.

فرد عليه أبو عمر:

- **أبو عمر**: شوف أخي أبو أحمد، الله يلعن يلّلي يراغي عن الحقّ. الزّلمة صار بين إيدين إلحقّ جلّ وعلا.. صعي الزلمة نوى يرسم عالجماعة، بسّ لمن شاف هالجخّ والرخّ وهالأنيكات.. إنشلم ونسي لإيش هوّ جايه.. وفوق هيك ما فينا نقول إنّه صالح ما حب يلحس إصبعته من هالروحة لعند أهل سعاد.

- **أبو أحمد**: عقبال عندك يا أبو عمر بشي لحسة مرمّأة!!.

- **أبو عمر**: لآ عمي لآ.. أنا خلّيني على جحشتي العرجاء وكافيها الله.

- **أبو رشاد**: إي لآ أبو عمر، إي والله قلبك عم يقول حِقّ.. بقّ وبتاكل عليها بالدّين.

- **أبو عمر**: أخي أبو راشد، بسلامة عرفك، هالثوب مو ثوبي، ويلّلي بيشلح ثوبه بيبرد مو هيك، وكمان يلّلي بيتطلّع لفوق بتوجعه رقبته، يمّا أنا غلطان؟!..

- **أبو دياب**: الحق معك أبو عمر، بسّ بدنا نعرف شو صار بين صاحبك الله يرحمة والجماعة.

وضع ردّ أبو عمر على استفسار أبو دياب النّقاط على الحروف وأوضح أنّ صالحاً الذي عرفناه غير صالح الذي يتعامل مع ذوي سعاد ومعارفهم، لم يعد صالح إنطوائياً، أصبح مع الجماعة خوش بوش أو راسين بطاقيّة كما يقولون، حتى أنه لم يعد يتكنّس من عندهم، وأصبح يشاركهم مشاويرهم وسرايينهم إلى الزبداني وبلودان وأحياناً إلى الغوطة. والأغرب من هذا كلّه، فإن صالحاً هذا الذي كانت إيده ماسكة وخمسين بواردي لا يستطيعون أن ينالوا منه متليكاً واحداً.. والذي كان لا يطْلَعْ عن ضربة. ويقول لليرة اقعدي مع إخواتك وسمعيني رنّاتك.. صالحاً هذا أصبح يبذخ وينفق بلا حدود، وكأنّه انقلب رأساً على عقب!!.

٦- ضبضبت وسوّست:

استغرب الحضور ما كان من أمر صالح، حتى أنّ أبو أحمد أكّد أنّ هذا السلوك لصالح إنما هو من قبيل المسايرة، بل إن صالحاً هذا في ذهابه مع الجماعة تلك المشاوير والسيارين إنما هو من قبيل الدعوة (عزيمة) له لشكره عن صنيعه مع سعاد، أو أن ذهابه معهم كان صدفة ولعلّه كشّة أو تعليقة. لأن صالح معروف بحرصه على القرش.. وإذا صدف وكان في نزهة أو حفلة فإن ذلك على غرار ما كان عليه ضبضبت وما كان عليه سوّست الله يرحم إيامهم!!. وهنا تدخل أبو دياب بالرّد على مقولة أبي أحمد بحق كلّ من ضبضبت وسوست بقوله:

- **أبو دياب:** لَهْ يا أبو أحمد لَهْ.. هَيّ ما حبّيتها منّك.. لا تحكي هيك عليهن.. صعي كان ضبضبت وسوست ومثلهم كثير، كانوا يمدّون أيديهم للناس.. بسّ كان يلّلي عم ياخدوه من الناس يوصل لأصحابه من العِيَلْ المستورة. هيك الله مسخّرهم، يعني من عبد الله لعبد الله.. مو بايدهم!!.

- **أبو عمر:** بدّك ما تآخذه أخي أبو دياب.. مو بايده.. بني آدم لسانه متل الشخته شلون مادارِه بيندار معه، مو هيك أخي أبو أحمد.

- **أبو أحمد:** إنت إن شاء الله بتْخوَ لحتى الله يريحني منك، لك كأني آكل مال أبوك، وبعدين أخي أبو دياب وانتم يا جماعة بدكن ما تآخذوني هيك طلعت معي.. ولحتى تعرفوا مين لسانه مثل الشخته أنا يمّا ها لمنظوم يللي آعد إدّامكم أبو عمر!!.

- **أبو راشد:** يا جماعة.. يا جماعة ضاعت ولئيناها، ما بدّنا كل ما تصير شغله نزعل من بعضنا يالله أبو عمر وانت أخي أبو أحمد قوموا بوّسوا شوارب بعضكم.. عالحساب نحنا اخوات.

يُبادر كل من أبي دياب وأبي راشد بإمساك أبي عمر وأبي أحمد لمصالحتهما..

ومن ثم التفت أبو دياب إلى أبي عمر ليسأله:

- **أبو دياب:** أي سيدي أبو عمر، إذا كان هيك أنا بدي إسأل شلون مرته لصالح ساكتة، يعني ما حسّت بوضع زوجها، وشلون تبدّلت أحواله.

فكان جواب أبو عمر أنّه عندما انقلب وضع صالح في بيته وأصبح على نحو كبير من التأنّق والجخّ، ولم يعد ذلك المرء الذي بعروقه وسلوكه، وإنّما أصبح من الذين يهتمون بمظهرهم من ملبس وأناقة ورائحة عطر.. فكانت أن سألت زوجة صالح زوجها عن الداعي إلى ذلك التأنّق والبهرجة، فأخبرها أن ذلك لزوم الشغل الذي هو فيه، ثم أردف قائلاً:

- **صالح:** يمّا بدّك ياني مثل اللّبخة، والزبونات فايته طالعة عالدكان؟!!..

ولما قالت له زوجه، أنّه لم يبق من العمر قد ما فات، والله فيه الكفاية، أقنعها بأن الدهر دولاب، والإنسان ما بيعرف الذي مقدّر عليه. وأنّ أهل أول قالوا:

إذا هبّت رياحك فاغتنمها.

وبالتالي قال لها صالح بأن الشغل شغله وهو أدرى به[٦].

٧- بين الأعمى والأطرش:

وفيما كان أبو دياب وجماعته في جناح القصر من المقهى يستمعون إلى أبي عمر بشأن صالح، تطلّع أبو أحمد إلى خارج المقهى وهو يقول:

- **أبو أحمد:** شِهْ.. مو معقول.. هدول مو محمود والبرديسيّ.. أمّا نهفة. أعمى وأطرش.. شو جمع بيناتهم أي والله هدول بدهن ترجمان.. الله الله يا دنيا!!.

طلب أبو دياب إلى صانع المقهى عبّوده أن يحضر كل من محمود الضرير والبرديسيّ الأطرش إليهم، فعقّب أبو راشد بقوله:

- **أبو راشد:** شايفين يا جماعة.. هَيّ الأطرش والأعمى صايرين متفاهمين ومتفقين.

ولما استفسر أبو العز عن القصد من كلام أبو راشد. طلب إليه أنّ يحلّها برمة مع أبي عمر، ومن العيب أن يكون مع أبي عمر على هذه الحال من الحساسية. أجابه أبو راشد بأنّ أبي عمر هو الذي يغالط معه. فابتدره أبو عمر بقوله:

- **أبو عمر:** هيك لكان يا أبو راشد الله يسامحك.. الحمد لله على أيامك صرنا سكّة عطل!!..

قدم محمود والبرديسي إلى جناح القصر بالمقهى فقدّم عبّودة لكلّ منهما كأساً من الشاي. رفض محمود تناول كأس الشاي من يد عبّودة وهو يقول:

- **محمود:** شو الأعضوات عازمينا لهون على أكل الضفاضع!!. أنا مالي جاية إشرب شاي.. أنا ببالي غير شي!!..

فلما استفسر منه أبو دياب عن الذي بباله، أجابه محمود بأنه يريد من الأعضوات خرج ناشف، ومنشان هيك يعني أن على كل واحد من الأعضوات أن يمدّ يده إلى عبّه.. لحتى يحبّه ربّه. ثم أعقب ذلك بقوله: بأنه ليس متسولاً (شحاذاً) ولا يطلب لنفسه. لأن ما سيناله من كلّ منهم، إنّما هو لأناس آخرين، لهم أيام لا يعرفون طعم الزاد!!. وأن محمود الأعمى ليس أكثر من واسطة.. والشغلة كلها سخرة بسخرة.

فكان لابدّ من الإشادة بما يقوم به محمود، وبالتّالي قدّم كلّ من الأعضوات المتواجدين في جناح القصر من المقهى، ما سمحت به ظروفه، فأعطى أبو دياب هذه الأموال إلى محمود قائلاً:

- **أبو دياب:** شوف محمود، قبل كلّ شي الله يعطيك العافية، وهلأّ خود هدول دبّر حالك فيهن اليومة ولبكرة بيفرجها الله. بسّ بدّك تشرب كاسة الشاي تبعك. ليكه البرديسيّ شرب كاسته قبلك. قول بسم الله.

٨- غرقان لشوشته:

تعدت العلاقة بين صالح وسعاد مرحلة الشكر على إنقاذ صالح لسعاد من الغرق، إلى التعرف إلى أهلها والاختلاط بهم حتى أصبح الطرفان خوش بوش كما يقولون، وبالتالي لم يتوان صالح عن مشاركة أهل سعاد وصحبهم بمشاوير ونزهات وسيارين كان لصالح فيها مكان الصدارة، ودون أن يكلّف ذلك صالحاً قرشاً واحداً. وكان صالح في قرارة نفسه قد أخذ يشعر بميل خفيّ نحو سعاد، شعور جعله يتصوّر أن سعاد لابدّ له، وليس لأحد غيره، حتى ولو كان ذلك مجرّد نظرة بل حتى السلام عليها أو الجلوس إلى جانبها.. وكان في كل مرّة يحاول أن يبثّها مشاعره تلك.. تكون سعاد في وادٍ آخر مما هو فيه. لأنّها لم يكن في حسبانها شيء من مشاعر صالح نحوها. وكانت تعتبر أنّ سلوك صالح نحوها من قبيل اللياقة ليس أكثر، في وقت كان صالح غرقان بها لشوشته كما يقولون.

وذات يوم، فيما كان صالح يعيد البضاعة المفرودة أمامه إلى أماكنها يفاجأ بقدوم سعاد إلى دكانه، وبعد سلام وكلام، ما لبثت أن عرضت عليه القيام معها بشمّة هواء (نزهة أو مشوار) إلى الجرجانية. وإذا كان في شغل شاغل فإنّ الممكن تأجيل ذلك إلى يوم تالٍ!!..

وجد صالح في هذا العرض مناسبة ليفصح لسعاد عن مشاعره نحوها، الأمر الذي جعله يسارع إلى إغلاق دكانه، والطلب إلى سعاد التريّث لحظة ريثما يعلم جيرانه بوضعه. لكن سعاد استعجلته بقولها:

- **سعاد:** بسّ أوام (بسرعة) الجماعة سبقونا وهلاًّ بيستعوقونا.

ولما كان صالح قد حسب أنهما سيكونان لوحدهما، أجابته بأن ليس ثمة من أحد غريب، وأنّ الجماعة معرفة قديمة، وأخوها سعيد أحبّ مرافقتهم!!.. وأنّهم جماعة لطاف سيسرّ بوجودهم. قبل صالح هذا التبرير على مضض،

وإذا وجد صالح في هذا المشوار فرصة، يكون فيها مع سعاد، فإنّه كان متخوّفاً من وجود ثمّة صلة بين سعاد وأحدهم. فلما لمّح لسعاد بذلك، طلبت منه أن لا يذهب بأفكاره بعيداً، فالجماعة ليسوا بأكثر من معرفة ربطتهم بأخيها سعيد، ومن ثمّ عرضت على صالح الانفراد عنهم، لكن صالح تحسّب من أن يُساء فهمه مع سعاد في مكان كالجرجانية!!..

ومن ناحية أخرى فإن سعيد كان شديد القلق من تأخّر سعاد مع صالح، وحسب لذلك ألف حساب!!. ولم يكن يدور في خلده أنّ سبب تأخر سعاد إنما هو والداه اللذان قررا في آخر لحظة انتظار عمه القادم من لندن.. فلما علم أبو مصطفى بقلق سعيد قال له:

- **أبو مصطفى**: هلاًّ انت من كلّ عقلك خايف على سعاد من هذا يللي إسمه صالح!! أي والله عندك إخت بتاخده عالبحر وبترجّعه عطشان..

لكن سعاد ما لبثت أن وصلت ومعها صالح، فانبرى سعيد سائلاً سعاد:

- **سعيد**: لك أختي ليش تأخرتوا؟ شغلتوا بالنا!!..

فلما أطمأنّ سعيد، عمد إلى إجراء التعارف بين صالح والآخرين. في حين كان نادل المقهى ينزّل الطعام على الطاولة، فقال لهم سعيد:

٩- البيضة والتقشيرة:

- **سعيد**: ياالله يا جماعة بسم الله.. الأكل على قدر المحبّة وما هي إلاّ دقائق حتى كان عارف ساعد عمّ سعيد قادماً من لندن يسلّم عليهم. سُرّ سعيد بقدوم عارف فنهض إليه مسلّماً بحرارة. لكن أبو حاتم قطع عليهما فرحة اللقاء قائلاً:

- **أبو حاتم**: عمي بلا طول سيرة لا سلام على الطعام، حماتك بتحبّك عارف، مدّ إيدك، وبعدين منحكي ياالله.. بسم الله.

- **سعيد:** بتئمر أبو حاتم، بس بدّي إسأل عارف إذا كان إجا هوّ وعمّي عالشام.

- **عارف:** لا والله يا سعيد، عمك بهالأيام مشغول لأرائيط أدانه (إذنيه) بالشغل، بايده مشروع بيدرّ عليه ذهب، وقال لي انزل عالشام منشان شغله إنت بتعرفها...

وفيما كانوا يتناولون طعامهم، ابتدر سعيد عارف بالسؤال عن أخباره. أجابه أن الشغل في هذه الأيام لفوق رأسه، وماله عمّ يلحّق، وأردف قائلاً:

- **عارف:** تصوّر يا سعيد الدنية في هذه الأيام مالها عم تخلّي الواحد يعرف رأسه من رجليه، هالدنية إمّا بدّها تلحق الواحد وتجي عليه وتذوّقه مرّ الكاس، يا إما الواحد بدّه يلحقها وينتش منها، بسّ هوّ وشطارته.

علّق أبو مصطفى على كلام عارف بقوله:

- **أبو مصطفى:** انت يا عارف طول عمرك راكض وراء الدنية. لك عمّي المقسوم مقسوم، والواحد لو بيسعى سعي الوحوش غير رزقه ما بيحوش.. يمّا أنا غلطان ملكمدان أفندي.

أجابه عارف:

- **عارف:** المكلمدان يللي ماله معبّي عينك قلّع ضراسه من كتر ما مرق عليه، وبعيدن (وهو يشير إلى راسه) هون مو صندوق بويا هون فيه مخّ.. عالحساب كلّك مفهوميّة أبو مصطفى!!..

ثم اقترب عارف من سعيد يهمس في أذنه، فلما لحظ ذلك أبو حاتم انتهره بقوله:

- **أبو حاتم:** شو يابي!!.. من ايمتى كنّا والشمس ترقعنا ونحكي عالهسّي!!.

فانبرى أبو مصطفى معقباً بقوله:

- **أبو مصطفى:** عداك العيب أبو حاتم، كلام جواهر، بعدين انت واياه ليش الوتوتة ونحنا قاعدين.. إذا فيه بيناتكم شي أرض الله واسعة، احكوا لحالكم قدر ما بدّكن.. يمّا المكلمدان محسّب الناس جدبان!!.

- **عارف:** شبنا أخي أبو مصطفى؟!!. خدنا بحلمك، وانت كمان أخي أبو حاتم.. انتو بتعرفوا انا وسعيد مثل الاخوات، وطول عمرنا منسرّ لبعضنا.. يعني بعد هالغيبة ما بيحقّ لّي فضفض أنا واخي سعيد شويّ؟!!.

- **أبو مصطفى:** امبلى امبلى.. خود راحتك، انت وايّاه أبو السعود، بسّ انت عارف فتّح عينك قدّ الطبق. يلّي عم تحكوا عنّه نحنا عارفينه.. أي طلاع من هالابواب.. عارف افندي هادا بزّك وهيك برابيك ما بتفوت علينا.

- **عارف:** أي لآ أبو مصطفى.. تخنتها!!.. مو كّل هالقّد!!. أنا والله بحبّك!!..

ولما حاول أبو مصطفى أن يعقّب على عارف تدخل أبو صفوان بقوله:

- **أبو صفوان:** إيمك أخي أبو مصطفى منّه.. يعني هادا عارف ما حلّك تعرفه!!. لك هاد خلقان قبل إبليس بيومين.. يعني بالمشرمحي عارف لعنة مكبرتة ومعجون باللّوفكة عجن.. والفضفضة يلّلي عم يحكوا فيها عارفينها. شوف عارف.. خيّط بغير هالمسلّة.. على هامان يا فرعون!!..

فتدخل سعيد مدافعاً عن عارف بقوله:

- **سعيد:** أي لآ أبو صفوان!!.. من كلّ عقلك عمّ تحكي؟!. يعني بعد كلّ هالغيبة هيك صار عارف؟!!.

- **أبو مصطفى:** وأكثر من هيك وهيّ إدّام الحاضرين لحا بقّ هالبحصة من تمي وحطّ إيدي على راسك وإسألك.. ما كان عم يوتوت عارف عن أرض الجرجانية..

سكت سعيد ولم ينبث ببنت شفة كأنما أطبق عليه، فانتفض أبو دياب منرفزاً وقد انتفحت أوداجه وقال بعصبيّة:

- **أبو دياب:** الله يسمّعنا الاخبار الطيّبه أبو السعود.. يمّا نسيت انه هالارض نحنا حاكيين فيها وعاملين بازارها. وإنّ الشغلة واقفة عالقرشين يللي طلبناهم من عمك.. آ.؟!.

فانبرى أبو صفوان معقباً على قول أبي دياب:

- **أبو صفوان:** أخي سعيد.. ليكون عمك محسّب اذا لحا يمدّنا بهالقرشين بدّه يصير شريكنا؟!!. أخي غنانا الله وكل مين إله نبيّ بيصليّ عليه.

وحسماً لهذا الجدل اقترح أبو دياب كحلّ وسط أن يُقدّم لعمّ سعيد نسبة من أرباح المشروع وكفى الله المؤمنين شر القتال. لكن عارف ما لبث أن قال:

- **عارف:** عمي يكون في عِلمكم، أنا جاية من آخر الدنية لحتّى آخذ هالأرض.. بزايدة بناقصة يعني لحا آخذها، وإذا بدّكن خلّينا نعمل بازار جديد للأرض، ويلّي بيوقع عليه المزاد بياخذ هالارض.. وكل مين عقله براسه بيعرف خلاصه..

عندئذ تدخل سعيد وقال لعارف:

- **سعيد:** شوف عارف أنّ الله لا يراغي عن الحق، وهالكلام ما بينصرف هون، عود (أقعد) اعوج واحكي جالس.. هالارض أنا بعرف أنحكى فيها وهالجماعة اصحابنا. ومو لازم هيك شغلة تفرّقنا. وأنا بشوف إنّكم تشتروا هالارض سوا حتى لا يرتفع سعرها على الكلّ (الجميع).. بآشو رأيكم.

هدّأ كلام سعيد من ثورة أبي حاتم وصحبه بعض الشيء، أما عارف فأظهر بعض الامتغاض، لكنّه ما لبث أن قال مخاطباً أبو حاتم وصحبه:

- **عارف:** اذا أنتم رضيانين أنا ما عندي مانع ويسواني ما يسواكم عالحلوة والمرّة[٧].

١٠- مطامع صالح:

لعب الفار بعبّ صالح، وبدا وكأنّه يريد أن يكون له نصيباً في هذه الأرض، وبخاصّة بعد أن ذهب إلى تلك الأرض بصحبة سعيد وجماعته مع عارف. ولما نوّه لسعاد بهذه المشاعر، أجابته بأن شغلة الأرض ما لها شغلته، وأن الله مفضّلها عليه بدكّانه.

ولما اقترح سعيد لقاء صاحب الأرض لإنهاء الموضوع معه بشأن الأرض، أجابه أبو حاتم بقوله:

- **أبو حاتم:** شبنا سعيد؟!.. بسلامة عرفك الأرض بازارها منتهي، ونحن كنّا عن نستنّى كم يوم لبين ما يبعت لنا عمك المصاري.

فلما أبدى عارف استعداده تسديد ما يطلب منه، قال له أبو حاتم بأن صاحب الأرض كان معصلج معهم على نصف مليون ليرة، فهو يريد ست ملايين ليرة ثمن أرضه ونحن وصّلنا معه إلى خمسة ملايين ونصف المليون.. وهكذا فقد قرّ قرارهم على ملاقاة صاحب الأرض لحسم الموضوع.

أما صالح، فقد اشتدّ تشوّقه على لحس إصبعه من هذه البزرة ويكون له نصيب فيها، فعمد إلى التلميح لسعاد بمستقبل الأرض. فلمّا سألته عن سبب اهتمامه بالأرض، أجابها بأن الأرض تتثقّل بالجواهر. وهي رزقة لا تتفوّت.. وقد كان سروره كبيراً عندما استجابت لرغبته ووعدته أن تحكي مع أخيها سعيد عسى أن يكون لصالح نصيب في صفقة هذه الأرض.

فلما كان أبو حاتم وصحبه في طريقهم إلى صاحب الأرض، صادفوا السمسار (الدلاّل) الذي كان واسطة بينهم وبين صاحب الأرض، فعادوا وإياه إلى المقهى حيث صالح وسعاد وسعيد. فلمّا أخبرهم السمسار إنّ زمان أوّل قد تحوّل وأن الأرض مدفوع بها اليوم عشرة ملايين، جُنّ جنونهم وكاد يطير صوابهم وقد ذهبت جميع محاولاتهم مع السمسار سُدى، لأنهم محقوقين في

سلوكهم مع صاحب الأرض، ذلك أنهم من جهة لم يدفعوا عربون اتفاقهم لصاحب الأرض، كما أنّهم من جهة أخرى استمهلوه عشرة أيام، وقد مضى أكثر من شهرين على ذلك.. أما صالح فقد عمل إذناً من طين وأذناً أخرى من عجين وعمل من نفسه مثل الأطرش في الزفّة وكأن الأمر لا يعنيه. فكان أن طلبوا إلى السمسار أن يتوسط بينهم وبين صاحب الأرض وإكرامه لقاء ذلك.. توصلوا مع السمسار إلى مبلغ تسعة ملايين ليرة تكون ثمناً للأرض. لكن هذا المبلغ لم يكن في الحسبان.. الأمر الذي جعل سعيد يسأل إذا كان بإمكان صالح أن يمدّهم بما يلزم. فأبدى صالح استعداده بتقديم ما يريدون من المليون إلى عشرة ملايين ليرة.. فاقترح سعيد عليهم أن يدخلوا صالحاً معهم في هذه الصفقة شريكاً بمقدار مساهمته معهم، فرحّب الجميع بذلك. ولم يكد صالح يصل إلى بيته حتى زفّ إلى زوجه خبر شراء تلك الأرض. واعلمها بأن إذا سارت الأمور كما يُريد، فإنّ ذلك سيكون ضربة العمر. لأنه سيفوش بعدها أكثر مما يتصوّره أحد. فما كان من زوجه إلاّ أن شاركته فرحته راجية من الله أن تكون العواقب سليمة.

كان عارف قلقاً من إطمئنانهم إلى السمسار، فلما كان التقائهم في منزل أهل سعاد أعلن عن تخوّفه هذا، لكن أبو حاتم طمأنه بسند الأمانة الذي على السمسار بالمبلغ الذي قبضه منهم. أما صالح، فإنّه لم يكد يسمع قول عارف حتى أصابه ذعر أخذ عليه مجامع فكره حتّى أن الكلام لم يعد يخرج سوّياً منه، ولما رأى أبو مصطفى ما حلّ بصالح قال له:

- **أبو مصطفى:** شوف عمّي صالح، الله يخليك لا تربّط إيدينا، تاجر ومنجّم ما بيصير وإذا عملها هالزلمة نحنا وإياك رجلينا بالفلقة ويسواك ما يسوانا، وهالكلام حطّه حلقة بإذنك..

وتابع أبو حاتم قول أبو مصطفى إلى صالح:

- **أبو حاتم:** لكان إذا كانت المصاري كلها منك شو كنت لحا تعمل؟

أجاب صالح بأن لو حصل معه ذلك لأصبح في العصفورية، فأخذ الجميع بالضحك وهم يغنّون:

عالعصفورية عالعصفورية وصلّني بإيده عالعصفورية

فكان أن قال عارف لصالح:

- **عارف**: لك شبنا صالح، ما بتلقى مزح؟!.. كنت عم امزح..

فقال صالح: يعني هَيّ مزحة؟! إي والله ما خلّيت بقلبي ولا رزّة.

فطمأنه سعيد بقوله:

- **سعيد**: شوف أخي صالح.. شايف هدول يلّلي قدامك.. كل واحد منهم بيخلى له سبع بلاد، وبيلعب على أكبر دواونجي بالثلاث ورقات، وبياخذه عالبحر وبيرجّعه عطشان. بآ طمّن بالك، الشغلة مالها فلتانة.. يعني مالك عرفان حالك مع مين؟!.

- **صالح**: إي الله يطمّن بالك..

لم يكد يهدأ بال صالح من ناحية الأرض، حتّى عاود الاهتمام بدكانه، خوفاً من أن يفقد زبائنه، لكنه لاحظ أن رجلاً يشاغل نفسه بالتفرّج على معروضات الدكان، استغرب صالح اهتمام الرجل بمعروضات نسائية.. ولمّا حان وقت إغلاق الدكان لفترة الظهيرة، اعترضه الرجل وهو يقوم بإغلاق الدكان، وطلب إليه إشعال سيجارة كانت بفمه، ومن ثمّ قال له صالح:

- **صالح**: أنا وين شايفك؟.

أجابه الرجل:

- هلأ مو إنت الأستاذ صالح؟.

- **صالح**: خير.. إي أنا صالح.

أجابه الرجل بأنّه يبحث عنه من يوم ما صار بازار الأرض. ولما سأله صالح عن سبب اهتمامه أجاب الرجل:

- **أبو العبد:** أنا محسوبك أبو العبد، أنا كنت قاعد بالقهوة بالجرجانية لمّا اشتريتوا الأرض.. وهلاًّ بدي منّك هالأرض وإلك منّي مليونيّ ليرة سورية برّانيّة خصّ نصّ، وفوقهم مليونين مربح إلك ولجماعتك. شو رأيك؟!!..

ولما طلب صالح من أبو العبد أن يمهله بضعة أيام حتى يفكر ويشاور أصحابه، قال له أبو العبد:

- **أبو العبد:** أخي الشغلة ما بدها مشاورة، هلاًّ انت خود هالمائة ألف ليرة رعبون (عربون) وأنا عم استنّاك بعد جمعتين هون وبمثل هالوقت.

١١- شطت ريالته.. وبلع الطعم:

لم يصدق كبارية الحي ما سمعوه عن صالح حتى أنّ أبو راشد توجّه إلى أبي عمر بقوله:

- **أبو راشد:** يعني صاحبك صالح شو كان بدّه أحسن من هيك، هيّ نقشت معه وطوفر عالمستريح..

- **أبو أحمد:** اي والله لو صحّت لجدي ما مات.. جخّ ومال وجمال وشمّ هوا.. وآخر طب إلكي صار من أصحاب الأطيان، ومو بعيد يصير من أصحاب المالكانات!!.

- **أبو راشد:** ليكون ما حمل عقله كل هالشي، وقآم طقّ ومات!!..

- **أبو دياب:** يا جماعة يا جماعة خلّينا نعرف من أبي عمر شو صار مع هالزلمة.

كان صالح على غاية من الغبطة والسعادة إزاء عرض أبو العبد عليه، لدرجة أنّه لم يصدّق ما حصل.. لكن الفأر لعب في عبّه عندما علم أن عارف يحاول شراء حصص الآخرين من الأرض، فقال في نفسه أنّ هذا الأمر

طبيعيّ بالنسبة لعارف، لأنّ من غير المعقول أن يأتي عارف من آخر الدنيا ليكون شريكاً في قطعة أرض يريدها كاملة. كان على صالح أن يلجأ إلى سعيد، ولما حاول سعيد أن يتملّص من الموضوع أقنعه صالح بقوله:

- **صالح:** أخي سعيد طول عمرها الشركة ما فيها بركة، ويلّلي إله شريك إله معلّم، وأنا متعوّد إضرب من راسي، ومنشان هيك بدّي إياك تحاكي لي أصحابك، بركي (ربما) بيوافقوا يبيعوني حصصهم من الأرض.

- **سعيد:** وإذا كان بدّهم حقّ حصصهم شنّدي؟!!. وإنت شو بدك تعمل بها الأرض وحدك؟!!.

أجاب صالح أنّه يريد أن يخلص من الشراكة ويرتاح راسه، وبعدين بيلحش هالأرض شي سنة زمان ريثما يفكر.. ما سوف يعمل بهذه الأرض وتابع قوله:

- **صالح:** بقا بدّي إياك تدبّرلي ياها بمعرفتك، ولا يكون لك فكرة الدفع شنّدي..

لكن عارف كان أسرع من صالح، فقد اشترى من الآخرين حصصهم من الأرض، ولم يبق أمامه غير صالح. عندئذ صمم صالح إعاقة جميع محاولات عارف ومشاريعه بهذه الأرض، حتى تسوّد بعينه، وعندئذ سيعرض عليه شراء ما يملك من الأرض.. وبالتالي فإن من يدفع أكثر يشتري من الآخر[٨].

فلما التقى صالح بعارف في بيت سعيد، سأل عارف صالح:

- **عارف:** شو أخي سمعت إنك ناوي تبيع حصتك من الأرض.

أجابه صالح:

- **صالح:** لآ أخي عارف أنا مالي ناوي بيع، بس عمّ قول لحالي لو ضلّينا سوا مثل ما كنّا كان أحسن، بس هلاّ اختلف الوضع.

ولما استفسر عارف عن السبب، قال له صالح أنّه بعد ما كان له حصة مثل غيره، ما بقي له غير من الجمل أذنه!! وأبدى تخوّفه من عدم الاتفاق معاً بشأن الأرض.

عندئذ اقترح سعيد فكّ الشراكة بين عارف وصالح فقال عارف لصالح:

- **عارف:** أخي صالح إذا إلك رغبة بالأرض فمن عيني هَيّ لعيني هَيّ. يا إما بدفع لك حق حصّتك متل التانيين!!.. ويا دار ما دخلك شرّ.

أجاب صالح برغبته بالأرض لأنه يريد أن يجعلها عقدة لزوجه من بعده، فسأل عارف صالح كم سيدفع قال صالح، أنّه سيدفع لعارف مليون ليرة ربحاً. لكن عارف قال له:

- **عارف:** مليون بسّ؟؟.. أخي شو رأيك إذا إنت أخذت مني مربح عن حصتك هالمليون ليرة.

ولما سأل صالح عارف عن ما يعنيه، أجابه أنه يريد مليون ليرة عن حصة كل واحد منهم أي أربعة ملايين على اعتبار أنه اشترى الحصص الثلاثة من الآخرين، وبتدخل سعيد اقترح سعيد على بيع عارف صالح ما يملك من الأرض بثمانية ملايين ليرة. وبذلك تصبح الأرض بكاملها لصالح. على أساس أن يكون اليوم التالي لتسجيل الأرض باسم صالح لدى الكاتب بالعدل. فلما كان اليوم التالي جرت عمليّة نقل ملكية الأرض إلى صالح دونما أيّ إشكال. وهنا كان على صالح أن يجتمع بأبي العبد حسب الاتفاق بينهما. لكن أبو العبد لم يأت حسب موعده مع صالح، وقد ترك لصالح رسالة يعتذر بها عن حضوره بسبب اضطراره للسفر بضعة أيام. ولم يكد صالح يفتح دكانه حتى كان سعيد عنده ليتطمأن على أخبار صالح، ولما أخبره صالح بأنّ كل شيء عالتّمام ودونما أيّ إشكال بارك سعيد لصالح بالأرض، فعمد صالح إلى أخذ بعض المال من الصندوق الحديدي وقفل مع سعيد إلى المقهى وهو يقول:

- **صالح**: أي سعيد أنا مالي من زبونات المقاهي، بس إذا بتواعد مع أحد، منلتقي هون بالأهوة... يعني للضرورة أحكام أخي سعيد..

ولما لبث سعيد أن أخبر صالحاً بضرورة سفره مع أسرته إلى لندن بسبب مرض عمّه هناك، وأنه جاء ليودّعه.

ولما عاد صالح إلى البيت لحظت زوجه انزعاجه، وأنّه على غير طبيعته، فأخبرها بسفر أبو العبد الذي كان يريد شراء الأرض منه.

وفيما كان يشرب كأساً من الشاي قال صالح لزوجه:

- **صالح**: بتعرفي يا بنت الحلال، جاية على بالي روح من بكّير على الأرض وأخد معي شغيّلة، بركي منسوّر هالأرض أحسن ما حدا يحسّ إنّها انباعت ويقوم يعمل لنا فيها شي عملة.

- **الزوجة**: أي والله يا رجال بيكون أحسن، قال: من حكم بماله ما ظلم.

١٢- مآل الطمع:

انطلق صالح مع عدد من العمّال للقيام بتسوير الأرض بالأسلاك الشائكة، وفيما كانوا في ذلك، إذ بصاحب الأرض الأصلي أبو فياض يسأل عن ما يقوم به العمال وعندما علم ما كان من أمر صالح والأرض منعهم ولمّا لم ينصع عمال صالح بالتوقّف والخروج من الأرض، عمل صاحب الأرض على طرد صالح وعماله شرّ طردة، في حين كان صالح يهدّد ويتوعّد وفي هذه الأثناء مرّت دوريّة شرطة بسيارة فتوقفت لفض الخلاف. ولمّا لم يتوصل إلى حلّ بين صالح وصاحب الأرض سيق الطرفان إلى الكركون وصالح يصيح بأعلى صوته:

- **صالح**: شو الشغلة فلتانة؟ ما في حكومة؟ ما في قانون والله لخلّيك (لصاحب الأرض) انت وإياه تعضّوا أصابعكم ندامة.. أنا بأرجيكم..

أبرز صالح في الكركون وكالة الكاتب بالعدل وكان صاحب الأرض قد أرسل ابنه لإحضار سند طابو الأرض.

ولمّا حاول صالح التفاهم مع صاحب الأرض بالكركون وبخاصّة إنّ صاحب الأرض لم يعرف السمسار (الدلال) أبو حسين وأنّه لم يطلب إلى أحد بيع أرضه. فلما دخلا على رئيس الكركون، ابتدر صاحب الأرض بقوله:

- **رئيس الكركون:** هادا إنت أبو فياض؟!. الله يسمّعنا الأخبار الطيبة.. ببالي الناس بتحلف براسك.. عم تعمل شغل أبضايات.. شو عم تتدرّج عالعافية؟.

- **أبو فياض:** أنا رجّال بعجبك وما بحبّ الزاحلة لكان ليش أنا مختار!!.

- **رئيس الكركون:** لكان شلون هيك بتعتدي عالزلمة وبتعمل عليه فزعة. وانت بايعه الأرض؟!.

- **أبو فياض:** هوّ فات على أرضي وقال إنها أرضه وجايب معه فعالة لحتّى يسوّرها وما يخلّي حدا يفوت عليها.

فلما اطلع رئيس الكركون على سند طابو الأرض وعلى وكالة كاتب العدل العائدة لصالح تبيّن أن الأرض التي اشتراها صالح إنما هي أرض بالجرد وهي من الأملاك العامة ولا علاقة لها بالأرض التي موضع الخلاف.

ولما أصرّ صالح على ملكيّته للأرض، طلب إليه رئيس الكركون بعدم الاقتراب من أرض المختار، وأنّ عليه أن يتأكد من حقيقة الأرض التي اشتراها. وعندما حاول صالح الاعتراض، أنذره رئيس الكركون بقوله:

- **رئيس الكركون:** لا تطّول لسانك وتحكي طالع نازل، إنت في الكركون.. وكلمة ثانية بحبسك بالنظارة، وبحوّلك للنيابة العامّة وبخليّك بالسجن لحتى تتخّ.. ولازم تعرف إنّ الأرض التي اشتريتها أملاك عامة ما هي للبيع.. انت عملت بايدك والقانون لا يحمي المغفلين.

فما كان من صالح إلا أن أخذ يلطم ويصيح يا ناس انخرب بيتي، راح مالي وراسمالي وشقاء عمري، وصفّيت عالحديدة.

فعمد رئيس الكركون إلى تهدئة صالح قائلاً له:

- **رئيس الكركون:** يا سيد صالح، إنت ارتكبت خطأ كبير بحق نفسك، لأنّك اشتريت أرضا ما بتعرف موقعها، وفوق هيك الأرض التي اشتريتها ليست للبيع، لأنّها أملاك عامة ولا يحقّ لأحد تملّكها، يعني حدا بيشتري شارع؟!.

- **صالح:** والله يا سيدي أنا بنفسي شفت هالأرض وقعدت على بازارها ونشف دمي لحتى صارت إلي.

- **رئيس الكركون:** مع الأسف، السمسار (الدلاّل) لعب عليك. ومنشان هيك بدك تروح عالشام لحتى تشوف أبو حسين الزفت تبعك وتدبّر حالك معه.

- **صالح:** (وهو يلطم وينوح) سيدي، وبركي ما حدا ردّ عليّ.

- **رئيس الكركون:** ومنشان هيك أنا لحا اتصلّ لك بالشام لحتى يحافظوا على السمسار تبعك عن بين ما توصل، وهلأّ اقصد الله.

١٣- ما حدا بياكل رزق حدا:

تساءل أعضوات الحي عن مآل صالح بعد المصيبة التي حلّت به، فقد كان السمسار أبو حسين موقوفاً بجرم نصب واحتيال، وتعرّض لنوبة قلبية فنقل إلى دمشق، وقد طلب رئيس الكركون إلى مفرزة أمن المشفى التحرّص على أبي حسين لارتكابه جريمة النصب والاحتيال على صالح. سأل أبو دياب أبي عمر عن ما إذا كان صالح قد التقى بأبي حسين.

- **أبو عمر:** أي سيدي، صالح شاف أبو حسين، بسّ يا ريته ما شافه، لأن أبو حسين كان عاطيكم عمره... مسلّمها.

تابع أبو دياب سؤال أبي عمر بقوله:

- **أبو دياب**: وبعدين.. شو صار بصالح؟!!.

- **أبو عمر**: والله يا جماعة ما صار شي، بس صالح طقّ ومات.

فقال أبو دياب محدثاً الحضور في جناح القصر من المقهى:

- **أبو دياب**: يا جماعة الواحد منّا لازم ياخد درس من هالقصّة ويحطّها حلق بإدنه، ويقنع بالشّي يلّلي كتب له إياه ربّ العالمين، ومو كلّ ما شاف رزقة بإيد غيره يحطّ عينه عليها، يا عمّي الربّ كبير وما حدا بياكل رزقة حدا!!.

الحواشي والإيضاحات:

١ - كبارّية الحيّ: الوجهاء أصحاب الحلّ والربط. الحصرم: عصير العنب الفجّ. اكرك عجم: من العال. عالحارك: على وجه السرعة. ليش: لماذا. شو: ماذا. شو ضريب: ما هي علّة. النّفس: الأركيلة المعمّرة بالتنباك مع بصّة أو جمرة تساعد على تدخين ذلك التنباك بوساطة الأركيلة. هيك: هكذا.

٢ - الطربيزة: منضدة صغيرة. يحرق حريشك: مقولة على سبيل الممازحة. إيدي بزنارك: أرادوا: أرجوك. عم ابرد بالليل: لكونه ينام وحيداً بلا زوجة. من تحت ديّاته: على ذوقه، كناية عن الجودة. التنباك: تبغ. النارجيلة. عنّا: عندنا. قطشة: نفس أركيلة بكميّة قليلة من التنباك. بسّ: لكن. مو: ليس. دواوينك: تصرّفاتك. لأوي: لطفاً.

٣ - خصّ نص: بخاصّة. آعد: قاعد. هديك: تلك. هينك: هناك. نائز: عاتب. آخذ على خاطره: يعتب. ما عم يتحوّك: لا يرضيه شيء. رايئ: مسرور. ضحكته لأدنيه: كناية عن السرور. لبّد: لابد وأن يكون. يشوبر: يحرّك يديه على غير هدى. خبصة: أرادوا: غلطة. عقلاته يخضّوا: أرادوا أصابه عارض في عقله.

٤ - هلأّ: الآن. تحلّ عنه: تتركه وشأنه. الزلمة: الرجل. فال الله ولا فالك: كناية عن إنكار لوضع ما. إيمتى: متى. ترقعنا: فوقنا. من إيمتى والشمس ترفعنا: أرادوا الاستغراب مع الإنكار. من وين لوين: إنكار واستغراب، بمعنى من أين إلى أين.

٥ - ينام برّة: أرادوا خارج منزله. علبة مكّي: وعاء الماكياج النسوي. ايد من وراء وايد من قدام: كناية عن ضيق ذات اليد. يلّلي: الذي. عالحديدة: كناية عن الفقر المدقع. فتلت عقل: جعلته يوافق. البيرو: على شكل

صندوق له دروج لوضع الثياب، وهو ملبّس بالصدف والقصدير والعظم. نحرت ليل نهار: كناية عن العمل المتواصل. العشا خبيز: كناية عن أرخص الطعام. منشان شو: من أجل ماذا.

٦ - هيك: هكذا. سنّ سنانه: صمم، عزم. صعي: صحيح. إنشلم: تاه، فوجئ. لإيش: لأيّ شيء. على جحشتي العرجاء: على حالي. يقول حِقّ بقّ: يتمنّى. خوش بوش: على نحو من الانسجام والتفاهم. إيده ماسكة: كناية عن الحرص أو البخل. متليك: نقود قليلة القيمة. كشة: بالمعيّة. تعليقة: نوع من الطفوليّة أو دناءة النّفس. ضبضبت وسوّست: كل منهما شخصيّة مبروكة من العقد الرابع من القرن العشرين. الشختة: من سقط اللحم. إدّامكم: أمامكم، عندكم. لئيناها: وجدناها. اللّبخة: عديم الحيوية.

٧ - يحلّها برمة: يعجّل. سكّة عطل: لا جدوى منه. أكل الضفاضع: الماء. مدّ إيده على عبه: ارادوا أن يدفع المال. خوش بوش: على غاية من التوافق. غرقان لشوشته: من رأسه إلى أخمص قدميه. قدر الطبق: ارادوا الإمعان في التبصّر. برابيك: أكاذيب. المشرمحي: بالعربي الفصيح. لعنه مكبرتة: كناية عن الخبث. اللّوفكة: الأكاذيب. خيط بغير هالمسّلة: ارادوا أن يلجأ إلى أسلوب آخر للإقناع. إدّام: بحضور. بقّ: أخرج. تمّي: فمي. يمّا: أو المكلمدان: كثير الكلام.

٨ - لعب الفار بعبّ: راودته الشكوك. البزرة: الصّفقة. إدن من طين وادن من عجين: غير مبال. مثل الأطرش بالزفّة: لا يدري ما حوله. سيفوش: سيصبح ذائع الغنى. ما خلّى بقلبه ولا رزّة: كناية عن الخوف الشديد. دواونجي: حذِق، أو بمعنى كثير التقلّب. وين: أين. شبنا: ماذا بنا. هدول: هؤلاء. نقشت معه: أصابت. طوفر: ربحاً لا يقدّر. لعب الفأر بعبّه: روادته الشكوك. هيك: هكذا.

٩ - سوا: سويّة. الكركون: مخفر الشرطة. سند الطابو: سند التملّك الرسمي. تحلف براسك: تُقسم، كناية على كبر مكانته بين الناس. شغل أبضايات: عنتريات. الزاحلة: الخطأ. فزعة: أرادوا جمع الناس عدواناً. فعاله: عمّال. حكي طالع نازل: كلام في غير محلّه. النظارة: مكان التوقيف المؤقت. تتخّ: تفنى. عملت بايدك: جنيت على نفسك. صفيت عالحديدة: مدقع. نشف دمي: حاولت المستحيل. بركي: ربّما. عاطيكم عمره: تُوفي.

٢- حكم قراقوش

١ - سبحان مغيّر الأحوال.
٢ - قره قوش بن فافوش.
٣ - نوادر عن قراقوش.
٤ - سبحان مغيّر الأحوال.
٥ - شابت وما تابت.
٦ - طقّ برغي.
٧ - الرطل بدّه رطل وأربع أواق.

الشخوص المشاركة:

١ - الكبارية: أبو دياب، أبو راشد، أبو عجاج، أبو أحمد، أبو العزّ، وأبو رياض.

٢ - أبو عمر الحلاق.

٣ - عبودة صانع المقهى.

٤ - قراقوش.

٥ - التاجر أبو النور.

٦ - المتسول.

٢- حكم قرقوش..

١- سبحان مغيّر الأحوال:

التقى كباريّة الحي على عادتهم في جناح القصر من المقهى، منهم من يحتسي الشاي أو القهوة، ومنهم من يدخّن الأركيلة (النارجيلة)، على حين كان عبّودة نادل المقهى، يلبّي طلبات زبن المقهى، بعد أن فرغ من تنظيف جناح القصر على أحسن ما يُرام، ولبّى طلبات كباريّة الحيّ بما يحتاجون إليه من قهوة أو شاي بل وحتّى الأركيلة. وفيما كان عبّودة منهمكاً في تلبية طلبات زبن المقهى إذ بأبي عمر الحلاّق يدخل المقهى وقد شمّر سرواله وشكله بالشمّلة التي يتزنّر بها، وعلى كتفه منشفة (بشكيراً)، وعلى رأسه عرقيّة (طاقيّة) بيضاء من الغزل، وبإحدى يديّه موس الحلاقة وفي اليد الأخرى فرشاة حلاقة ملآى برغوة الصابون..

عمد أبو عمر إلى الإمساك بيد عبّودة وسأله عن ما إذا كان أبو العزّ قد عرّج إلى المقهى، أجاب عبّودة أبا عمر وهو يتابع تلبية طلبات رواد المقهى بالنفيّ، لكن أبو عمر ما لبث أن عاود سؤال عبّودة عن أبي العزّ كالمستجير بعبّودة، لكن عبّودة لم يعره إلتفاتاً.

وفيما كان أبو عمر يتفحّص الجالسين في المقهى علّ أبو العزّ يكون أحدهم، لحظه أبو راشد أحد الكباريّة المتواجدين في جناح القصر، فما كان منه إلاّ أن قال للمختار أبو دياب الجالس إلى جانبه وهو يهزّه من يده:

- **أبو راشد**: أبو دياب.. أبو دياب.. شوف مين جوّه بالقهوة!!.

استغرب أبو دياب من دخول أبو عمر المقهى على تلك الحال فما كان من أبي عجاج إلاّ أن قال لأبي دياب:

- **أبو عجاج:** الله يخليك أخي أبو دياب سيبنا منّه، هادا أبو عمر واحد ما منّه شي.. دخّانه بيعمي.. ينمحيء منّه لحاله.

لكن أبو أحمد تساءل عن سبب دخول أبا عمر إلى المقهى على تلك الحال.

أجابه أبو حاتم:

- **أبو حاتم:** بيجوز يكون متواعد هوّ وحدا هون، يا إما عمّا يدوّر على شي زبون.. لأنْ هذا أبو عمر خمسين بواردي ما بيخلّوه يزحل من وراء كرسي الحلاقة.. مو هيك بالله؟!!.

اعترض أبو دياب على قول أبي حاتم قائلاً:

- **أبو دياب:** أخي أبو حاتم.. بسلامة عُرفك، زمان أوّل تحوّل.. الزلمة (أبو عمر) الله يعينه، ماله عمّ يقدر يجيب الرأسين على فرد مخدّة، إلاّ بطلوع الروح، وخصّ نصّ بعد ما صارت إيده ترجف.. لك المسكين ما عاد حدا طهّر ابنه عنده، ولا حتّى يقلع عنده ضرس.. الله يعينه صفيان على باب الله.. وما عاد يحلق عنده إلاّ كلّ طويل عمر. إه.. سبحان مغيّر الأحوال.

ثاءب هذا النقاش دخول عبّودة جناح القصر لتفقّد ما إذا كان أحد الكباريّة بحاجة إلى شيء، فسأله أبو أحمد عن وضع أبي عمر.

أجابه عبّودة بأنّ أبي عمر كان عمّ يسأل عن أبي العزّ. وأبصر شو بدّه منّه.

فطلب أبو دياب إلى عبّودة، دعوة أبي عمر إلى كاسة شاي، عسى أن يكون بإمكانهم مساعدته. ثم أردف قائلاً:

- **أبو دياب:** وبطريقك عبّودة هات لك نارة (جمرة) للأركيلة.

وجد أبو عمر في دعوة المختار أبو دياب لتناول الشاي مع الكباريّة فرصة لبلّ ريقه، وأمل أن تكون هذه الدعوة مدعاة لحلاقة شعر أو قشّة ذقن أحدهم. فلما دخل أبو عمر جناح القصر، وابتدر الكبارية بالسلام، أجابه أبو دياب معاتباً:

- **أبو دياب:** شوف أبو عمر نحنا لو ما منحبّك ما لنا عتب عليك.. شلون هيك، بتفوت عالقهوة وما بترمي السلام، لك أخي السلام لألله.

ردّ أبو عمر بأنّه لم يكن يقصد من ذلك شيء، وإنما هي هفوة عن غير قصد. سيّما وأنّ الكبارية بالنسبة لأبي عمر، هم الأصل ولأنّ العين ما بتعلى على الحاجب[1].

فسأله أبو أحمد عن سبب قدومه إلى المقهى وكأنّه قادم من وراء زبون على كرسيّ الحلاقة. أجاب أبو عمر أنّ أبا العزّ طلب إليه صباح اليوم أن يحلق له ذقنه، لكنه طلب إلى أبي العز أن يؤجّل ذلك إلى ما بعد العصر، لأنّه يا دوبه يستطيع توفير طلبات البيت من خبز وخضار والذي منّه في الصباح.

فقال له أبو عجاج: وبعدين؟!.

أجاب أبو عمر انّ القصّة وما فيها أنه لمّا أتى أبو العزّ إلى الدكان ليقشّ ذقنه. ترك كل شي والتفت إلى أبي العز مؤهلاً ومسهلاً ومرحّباً، لكنه ما إن جلس على كرسيّ الحلاقة حتى أخذ يعاتبه بقوله:

- **أبو العز:** وهلأّ إن شاء الله صرت فاضي؟!!.

- **أبو عمر:** لَهْ.. له يا أبو العز عالحساب إنت بتعرف إنّك عالعين والراس، وما بيغلى عليك غالي وأنا دوم بأمر هالشوارب شو أخي أبو العز.. بعدين بزعل منّك. بسّ يعني شو بدّي قول لكّ.. كان عندي هيك كام شغلة.. وهلأّ هيّ ذقني وأنا بأمر هالشوارب.

ثم يقوم أبو عمر بمسح كرسيّ الحلاقة وهو يقول:

- **أبو عمر**: تفضل أخي أبو العزّ، وهيّ فوطة جديدة خلنج، لعيون أبو العزّ وكمان هيّ بشكير جديد.. بسّ بدّي إياك تكون مبسوط.

وفيما كان أبو عمر يمسك فرشاة الذقن ليرغي عليها الصابون قال لأبي العز:

- **أبو عمر**: شو رأيك هندزلك هالشعرات!!. شايفهن طولانين مو هيك؟!.

٢- قره قوش بن فافوش:

لم يوافق أبو العز على رغبة أبي عمر بحلاقة (قصّ) شعره فعمد أبو عمر إلى رغي الصابون على فرشاة حلاقة الذقن وطلب إلى أجيره شد المرسة التي تحرّك المروحة القماشية المدلاّة من السقف رغبة منه في أن يبورد أبو العز خلال قش ذقنه. وما أن بدأ أبو عمر يرغي الصابون على ذقن أبي العزّ حتى سأله، فيما إذا كان يعرف المدعو: قراقوش ابن فافوش، أجابه أبو العزّ:

- **أبو العز**: ليش؟

- **أبو عمر**: عم بيقولوا عنه إنّه كان واحد عاطل وابن حرام وكمان سرسري وبازاونك[٢].

اعترض أبو العز على كلام أبي عمر بقوله:

- **أبو العز**: لَهْ يا أبو عمر، لا تغلط.. الرجال ما كان هيك.

أصرّ أبو عمر على رأيه بقرقوش وزاد على ذلك أن قال لأبي العزّ:

- **أبو عمر**: لك عمي إنت شو بيعرّفك هادا قرقوش كان واحد بُشت ونطفة ابن حرام..

فما كان من أبي العزّ إلاّ أن انتفض ومسح الصابون عن دقنه وخرج من دكّان أبي عمر وهو يقول:

- **أبو العزّ:** إيم عنّا ياه، الله يلعنك ويلعن يلّلي بيحلق عندك منّي وعليّ.. الحقّ موعليك، الحقّ على الذي بيصغّر عقله وبيقعد على كرسيك.. شو هاد يا..

فقال أبو دياب لأبي عمر:

- **أبو دياب:** وبعدين؟!!..

- **أبو عمر:** والله يا أبو دياب لحقته، بسّ ما حصلّته، إلت لحالي ليكون قاعد بالأهوة وهي مثل ما لكن شايفين.. أي سيدي.. وهلاًّ بدكن تسمحوا لي. خليني إرجع عالدكان إتسبّب لي بقرشين. حاكم الدكان ما فيها غير الصغير، وهوّ مثل ما بتعرفوا ما بيحلّ ولا بيربط.

ولما طلب إليه أبو دياب أن يبقى معهم، تحجّج أبو عمر بشتّى الحجج كي يعود إلى دكانه، عسى أن يأتيه زبون يرغب حلاقة (قص) شعره. أو قش (حلاقة) ذقنه. ولما أصر أبو عمر على المغادرة إلى دكانه، قال له أبو عجاج:

- **أبو عجاج:** لك أبو عمر، ليكون بدّك تاخذ خرج ناشف منشان تضلّ (تقعد)؟!!. تخينه أبو عمر مو هيك؟!!.

- **أبو عمر:** الله يسامحك يا أبو عجاج.. يا جماعة والله مو هيك، أنتم على راسي من فوق، والله يعزّكم.. بسّ والله فاير دمّي منشان أبو العزّ.. شلون هيك راح وما كمّل قشّ ذقنه!!..

ما أن استجاب أبو عمر لرغبة أبي دياب بالبقاء مع كبارية الحي في جناح القصر من المقهى، حتى طلب أبو دياب إلى عبّودة إحضار برّاد (إبريق) شاي خمير، وهمس بإذنه بالبحث عن أبي العزّ ويدعوه إليهم..

وقبل أن يغادر عبّودة، طلب إليه أبو عمر أن يحسب حسابه بكاسة شاي كبيرة، ومعها كعكة، لأنّه لا يزال على ريق بطنه، ولم يكد أبو عمر

يزدرد الكعكة مع الشاي حتى كان أبو العزّ قادماً. فيسلّم على الجميع متجاهلاً وجود أبي عمر، لحظه أبو دياب، فكان أن غمزه أبو دياب بطرف عينه للسلام على أبي عمر، لكن أبو العزّ أشاح إليه بقفا يده. وخوفاً من تفجّر الإشكال بين أبي العزّ وأبي عمر، غيّر أبو دياب مجرى الحديث وأخذ بالترحيب والتأهيل بأبي العزّ بقوله:

- **أبو دياب:** وينك يا ابن الحلال!!.. شغلت بالنا.. ما ببالي إنّك لحا تقشّ (تحلق) ذقنك، وتطلّ نواحينا عالحارك؟!!.

وسرعان ما طلب أبو العزّ من الحضور عدم المؤاخذه، لأنّه كان عليه شغلة صغيرة، قضاها.

وأتبع ذلك بقوله: وهيّ ذقني.

ولما لحظ أبو عجاج أنّ ذقن أبي العزّ محلوقة قال له:

- **أبو عجاج:** الله يجعله نعيماً يا أبو العزّ.

ثم أردف:

بسّ أبو العزّ وين قشّيت ذقنك وأبو عمر عم يدوّر عليك؟!!.

فردّ عليه أبو العزّ بقوله:

- **أبو العزّ:** إيمك منّه أبو عجاج الله يخلّيك.

لكن أبو عمر سرعان ما قدّم اعتذاره إلى أبي العزّ، بما يطيّب خاطره طالباً أن يزرع تلك الغلطة بذقنه.. لكنّ أبو العز أصرّ على موقفه من أبي عمر الذي لا يُفلح إلاّ بالبهلله وتمسيح الجوخ والكلام الفارغ. وخوفاً من أن تصل الأمور إلى مرحلة اللاّرجعة عمد أبو عجاج إلى تلطيف الجوّ بين الجانبين بقوله(٣):

- **أبو عجاج:** يا أبو عمر، ما دام إنت بتعرف إنّك ما لك قدرة على زعل أبو العزّ، ليش عم تعمل لّه بالرزّ بصل؟!!.

فأجابه أبو عمر بأن الحقّ مع أبي عجاج في قوله واعترف أبو عمر أنه محقوق لأنّه يحبّ أبو العزّ من كل قلبه حتى من قبل أن يتخاوى معه بالدم ويصبح همشري معه.. ونزل أبو عمر باللائمة على لسانه الذي مثل الشختته (سقط اللحم) ومن ثم ترحّم على من سبقنا الذين قالوا: لسانك حصانك إن صنته صانك وإذا خنته خانك!!..

وحسماً لذلك الإشكال تدخل أبو دياب بين الجانبين بالصلح شريطة أن لا يعاود أبو عمر إلى الكلام الطالع والنازل وبخاصة في حق قراقوش. وبرّر أبو العزّ ذلك بقوله:

- **أبو العز:** قراقوش بللى عم يحكي عنّه هالمنظوم، عمره ما كان سرسري وما بيحرّم ولا بيحلّل، وما كان عاطل ولا بازاونك!!..

وبرّر أبو دياب فِعله أبو عمر، بأنّ الناس يعرفون أن قراقوش مثل ما قال عنه أبو عمر. فقال أبو العزّ إن هذا محض افتراء على الرّجل: فاقترح أبو أحمد أن ينوّر أبو العزّ الحاضرين عن هالقراقوش فقال أبو العزّ:

- **أبو العزّ:** هالقراقوش يلّلي ما منعرف عنّه غير القصص الدّون وما بيقبلها عقل ولا دين.. هالقصص شيء وقراقوش شي تانِ. وقبل ما إحكي لكم عن أصل هالقراقوش، أريد أن أسألكم ما إذا كان كلّ ما يُروى عن جحا قام به جحا؟. أجاب الجميع بالنّفي. وهنا قال أبو العزّ:

- **أبو العزّ:** وأيضاً ما قيل عن قراقوش ليس لقراقوش دخل فيه. لأن قراقوش كان والي مصر من طرف صلاح الدين الأيوبي البطل الذي نعرفه كلّنا. وليس من المعقول أن يعيّن صلاح والياً على مصر يحمل الصفات التي يقولون أنّها لقراقوش. يعني مجنون يحكي وعاقل يسمع. بآ شو رأيكم؟!!.

ولما أصرّ الجميع على أبي العزّ أن ينوّرهم أكثر. لأّنهم أصبحوا في شوق إلى معرفة حقيقة قراقوش، فأجاب أبو العزّ:

- **أبو العزّ**: لك أخي هاذا ما كان اسمه قراقوش، هدول عدوّينه يلّلي ما كان عاجبهم شو ساوى بمصر، سمّوه بهذا الاسم. ومنشان هيك لحا قول لكم أن هذا الحاكم لمصر كان من أهم رجال البطل صلاح الدين الأيوبي، وكان اسمه بهاء الدين وكانت مصر بأيّام حكمه كلّها محبّة ووفاء ورخاء وأمان، كان الجار بيحبّ جاره، وما كان حدا (أحد) يعتدي على حدا، ولا يستغلس (يستبيح) مال حدا. وكمان (أيضاً) بأيّامه ما كان فيه خزّانَة ولا محتكرين، وما كان حدا يمدّ إيده على مال مو إله!!.. ومنشان هيك كانت المحاكم فاضية وما عندها شغلة ولا مشغلة.. وهالشي خرّب عالمستغلّين والطمّاعين.. قاموا طالعوا على هالحاكم العادل اسم قراقوش ولزقوا فيه هديك الأحكام والقصص يلّلي بتعرفوها.. وبحبّ أقول لكم أن القصص يللي منعرفها جمعها ووكتبها واحد اسمه ابن مماتي بتحريض من يللي انخرب بيتهم من عدل بهاء الدين حاكم مصر المعروف باسم قراقوش. بآ شو رأيكم؟!!.

وهنا إنبرى أبو دياب لشكر أبي العزّ على تنوير الحاضرين. فأجاب أبو العزّ بأن لا يستغربوا، لأن الناس لها الظاهر والله أعلم بالسرائر. ويمكن أن لا يصدّق أحد إذا قلت لكم أن دكتورة وأستاذ بالجامعة كانت تحسب أن قراقوش كان قراقوش من حقيق(٤).

٣- نوادر وقصص عن قراقوش:

اقترح أحد الكباريّة المتواجدين في جناح القصر من المقهى، أن لا يكون ثمة مانعاً في سماع الناس شيئاً من القصص والنوادر التي تروى عن قراقوش (الكذابي) على سبيل التسلية، وبهذا يكون أبو عمر في حلّ مما أخذه عليه أبو العزّ، وبالتالي يمكن لأبي عمر أن يروي لهم ما يعلم من تلك القصص والنوادر لأن ساعة البسط ما بتتفوّت كما يقولون. وقد اشترط أبو

العزّ على أبي عمر أن لا يخبّص بما يرويه وأن لا يحكي شروي غرويّ بحق قراقوش. فما كان من أبي عمر إلاّ أن انتفض حانقاً إزاء موقف أبي العزّ وهو يقول:

- **أبو عمر:** إي لآ أبو العزّ تخّنتها.. لأوي.. يعني إذا سايرناك بدّك تركب علينا. شو هاد يا.. لسّا منداريه مثل العين الرّمدانه وهوّ كل ماله عم يعنفظ؟!!.. شوفوا يا جماعة: أنا لحا روح لبيتي وغناني الله من حلاقة هالزلمة.. وخلّيني إشحذ على باب الجامع.. يمّا بدّه ياني اقتل حالي منشانه.. وهه هي عم اقتل حالي منشان خاطره.. خليه ينبسط (وهو يلطم خديه ورأسه).

استغرب أبو العزّ سلوك صاحبه وحسب أنّه قد أصابه عارض في عقله.. لكن أبو دياب طلب أن يُتاح لأبي عمر أن يفشّ خُلْقه علّه يخرج ممّا هو فيه، وأردف ذلك بعدم وجود حرج في ما يرويه أبو عمر وبالتالي لا سبيل لأن يكون ذلك مدعاة للزعل أو الخلاف بين الجانبين.. وإزاء ذلك قبل أبو عمر أن يروي للحاضرين بعضاً ممّا يُنسب لقراقوش.

شرع أبو عمر برواية قصّة اللصّ الذي قفز من على السطح إلى جدار جيران البيت الذي يريد السطوَ منه، فكان أن إنهار ذلك الجدار باللص فمات فادّعت زوج اللص على صاحب البيت وطالبت بحقها وحقّ أولادها الجياع منه، لأنّ جدار بيته مهملاً وغير جيد البناء، فلما عرض الأمر على قراقوش أمر بتغريم صاحب البيت بمصاريف أسرة اللصّ وأن يجري شنقه أمام الجدار الذي قتل تحت أنقاضه ذلك اللصّ، فلمّا ادّعى صاحب البيت أن ذلك بسبب المعماري الذي غشّه في البناء، فحول قراقوش الحكم إلى المعماري ولما كان المعماري طويلاً أمر قراقوش بشنق معماريّ آخر أقصر منه.. حتى يأخذ العدل مجراه!!..

ولم يكد أبو عمر يُنهي هذه الحكاية حتى ابتدره أبو عجاج بالسؤال عمّا إذا كان ما رواه أبو عمر من المرويات التي تُروى عن قراقوش، أجاب أبو عمر أنّ ذلك ليس شرطاً.. لأن كل ما رواه أبو عمر مثل ما يروى عن جحا.. لأنّ الناس اعتادوا على نسب مثل الأمور إلى جحا. ولما لاحظ أبو العزّ اعتداد أبو عمر بما رواه، طلب إليه أن يخفّف من خيلائه، لأنّ ما رواه إنّما هو مجرّد قشط وكلام لا يقوم على أساس ولا يقدّم أو يؤخّر.

ولما لم يُعرب أحد من الحضور عن استيائه مما رواه أبو عمر ورغبتهم في رواية المزيد، تردّد أبو عمر بالاستجابة إليهم، فقال له أبو العزّ:

- **أبو العز:** الله الله يا دُنيا، صار بيطلع لأبي عمر يتدلّل علينا.. لابق لك يا أبو عمر.. إه شو عليه؟!. الله يرحم أهل أول، لأنهم ما تركوا شي إلاّ وقالوه.

ثم يلتفت إلى أبي عمر ويقول: قال لا تقول للمغنّي غنّي ولا للرقّاص ارقوص!!.

وحسماً للقيل والقال قبل أبو عمر أن يروي لهم حكاية الحرامي الذي سرق (جزدان) حافظة نقود أحد المارّة، فلما وجدها فارغة عاد إلى صاحب الجزدان باللائمة والتوبيخ، لأنه جعل من سرقته سدى وبلا فائدة. وسيق السارق والمسروق إلى قراقوش بدعوى أن صاحب الجزدان غشّ ذلك اللصّ بجزدان فارغ.

كان استغراب الكبارية كبيراً من رواية أبي عمر، لكن أبو العزّ قلّل من أهمية ما قاله أبو عمر بقوله:

- **أبو العز:** إي شو هالسّحبة يا أبو عمر.. ما عاد ناقصك غير تاخذنا شهود مع الحرامي أمام قراقوش، والله يُستر ما تاخذنا وتجيبنا وتطالعنا عم نتفرّج على بعضنا.. شوف أبو عمر إذا ناوي تقطّع علينا وقت ما لحا يطلع لك.. بقا دير بالك وحطّها حلق باذانك(٥).

أجاب أبو عمر، بأن نصف الكلام ليس له معنى، وعندما يتمّ حكايته فإنّ أبو العزّ سيغير رأيه. وتابع قوله:

- **أبو عمر:** شوفوا يا جماعة انتم بتعرفوا إنّه عندي إيّاكم بالدنيا، واذا ما لكم مبسوطين، هي كسرنا الدف وبطّلنا الغناء، وكلّ مين له نبيّ بيصلّي عليه. ومنشان هيك خاطركم.. واستروا ما شفتوا منّا..

إنحمق أبو العزّ من كلام أبي عمر، وبخاصّة إنّه لم يعهد به على ذلك النحو من الحساسية فقال لأبي عمر:

- **أبو العزّ:** هلأّ إنت ما لحا تغيّر لنا هالاسطوانة؟!.. يمّا بدّك ياني قوم خربط لك هالواجهة وإحسب الله ما خلقك؟!!..

- **أبو عمر:** بتمون أخي أبو العزّ، أنا كلّي على حسابك.. وإذا ما كفّاك هالخدّ هيّ الخدّ الثاني.

- **أبو العز:** لكان لفّها برْمة، ولا تقيم عن الزاوية وتحطّ عالرواية وتقطش وتلحش.. هادا بزّك أبو عمر.. نحنا دافنينه سوا!!.

وخوفاً من تأزّم الأمور بين الجانبين طلب أبو دياب من أبي العزّ أن يفسح المجال لأبي عمر لمعرفة ما عنده من أمر ذلك الحرامي (اللصّ). أجابه أبو العزّ:

- **أبو العزّ:** أمرك أخي أبو دياب، بس منشانك لحا إترك لكم إياه..

ولدى مثول السارق والمسروق بين يديّ قراقوش، حكم قراقوش بجلد المسروق عشرين جلده، وأمر بأن لا يمشي إنسان في السوق وجزدانه فارغاً من المال. لأنّ صاحب (الجزدان) جعله ظاهراً من جيبه مما أغرى السارق على الإقدام على سرقته، بعد أن كان تائباً عن السرقة..

٤- سبحان مغيّر الأحوال:

وفيما هم باستغراب من حكم قراقوش في هذه الحادثة يدخل إلى جناح القصر من المقهى صديق لهم مولع بالغناء يطلق عليه أبي الروّض، فيفاجأ بوجود أبي عمر على ذلك النحو الذي دخل به إلى المقهى فقال له:

- **أبو الرّوض:** هَهْ.. شو هاد أبو عمر؟!!. شو عامل حلاّق جوال.. كنت جيب كرسي الحلاقة تبعك، يمّا لحا ترجع تحلق لزبوناتك عالكرّاجة مثل ما كنت تحلق لهم بسوق التّبن؟!! آه شو عليه كل إنسان بيرجع لأصله.. سبحان مغيّر الأحوال..

أجابه أبو عمر:

- **أبو عمر:** يا زلمة خاف الله!!. يعني كنّا ناقصينك.. يمّا كمل النّقل بالزعرور؟!!.

- **أبو الرّوض:** لكان شو عم تساوي هون، وإنت شاكل موسك بطربوشك وقشاط المسنّ بخصرك؟!!. يعني ما بقي عليك غير إنّك تخشخش بالمقصّ وتنادي: على أونة، وعلى دوّة، وعلى تريه... يالله لحّق على أوّل الدور.. وتارك القطاط عم يتخانقوا عالمعلاق يلّلي تاركه بالشبّاك.

ولمّا سأل أبو عمر عن أجيره، أخبره أبو الرّوض بأن الأجير عم يلعب بالدّهل بالحارة، فسارع أبو عمر للذهاب إلى دكانه لكن أبو الروض طمأنه بأنه أرسل له المعلاق إلى البيت، وما عليه إلاّ أن يقشّ له ذقنه. عمد أبو عمر إلى التملّص لأنّه لم يأت إلى المقهى للحلاقة وإنما استوقفه الكبارية ليروي لهم بعضاً من عمايل قراقوش. فقال له أبو الرّوض:

- **أبو الرّوض:** مسكين هالقراقوش ما خلص من إبن مماتي لحتّى علق بلسان أبو عمر.

اعترض الجميع على رأي أبي الرّوض، لأنّهم في حكْيات أبو عمر عن قراقوش ما يمكن أن ينسمع، فقال أبو الروض بأنّه لا يصدق ذلك ما لم يسمع بإذنيه. قبل أبو عمر التحدّي، وشرع في رواية حكاية نسبها إلى قراقوش، حتى لا يتيح لأبي الروض فرصة للغناء، فيشاغب عليه ويدعس على كعاره.

تتلخّص رواية أبي عمر هذه المرّة عن رجلين غريبين يتجوّلان في السوق فلحق بهما إثنان من اللصوص، وفيما كان الغريبان يشتريان الهريسة خطف أحد اللّصين كيس دراهم أحد المشترين وولّى هارباً، فلحقا باللص الخاطف، لكنّه رمى بكيس الدراهم المسروق إلى رفيقه، فأمسكا به، لكنه رفض إعطائهما الكيس لأنّه لم يأخذه منهما. فاحتكم الجميع إلى قراقوش. الذي أصدر حكمه بإكرام اللص الثاني لأنه أُهين على يد الغريبين، فضلاً عن ذلك فقد جعل قراقوش ذلك اللص من حاشيته على أن يعيد هذا اللص الكيس إلى صاحبه (اللص الآخر). أما الغريبان، فقد كان نصيب كل منهما عشرين جلدة مبطوحاً أمام الناس فضلاً عن حبس كل منهما عشرين يوماً لاعتدائهما على ابن البلد (اللص الآخر).

ولما توجّه أبو عمر إلى الحاضرين بالسؤال عن رأيهم فيما رواه لهم. أجاب أبو العزّ:

- **أبو العز:** شوف أبو عمر!!. بيني وبينك.. إي والله لو عرف قراقوش إنّك لحا تعمل فيه هيك لكان ملص لسانك وتزنّر بمصارينك.

- **أبو عمر:** أي لآ أبو العزّ.. طوّل بالك، نحنا صحاب.

- **أبو العزّ:** لكان بدي إسألك، إنت منين بتجيب هالقصص؟!!..

فقال أبو عمر أن قراقوش صاير بهذه الأيام مثل جحا، وصار الواحد كل ما إجا على باله شي نهفة شغلة.. نكتة بيسندها إلى جحا، وأن أبو عمر كل ما طلع على لسانه شي شغلة أو أتت بباله قصّة ما فإنّه يقول أنها من عمايل قراقوش!!.

علّق أبو الروض على كلام أبو عمر راجياً من الله أن يأتي قراقوش أبا عمر في نومه ويُريه نجوم الظهر لحتى يجعله يمشي على العجين فلا يلخبطه (يخرّبه)... فيردّ عليه أبو راشد بأنّ أبو عمر ما بينخاف عليه لأنّه قدّها وقدود، وعمر الشقيّ بقي (باقٍ)(٦).

٥- شابت وما تابت:

عندئذ اقترح أبو العز أن يُسمع أبو الروض الحاضرين مما عنده. سارع عبّودة إلى إحضار العود (آلة للطرب) والدربكّة (أداة للإيقاع) ولما لم يعارض أبو الروض رغبة الحاضرين، قال لهم بأنه سيسمعهم من ما كان يؤديه أبو سليمان الكركوزاني يوم كان يقدم بابات مسرح الظلّ المعهودة عنه في مدينة حمص بعد أن أنهى جولة له في الساحل السوري اللبناني والفلسطيني، فرحّب الجميع بذلك وشرع بالأوف:

- **أبو الروض:**

أوف يا با أوف أوف.. شـــابت ومـــا تابــت

يا با شابت من الــصدّ والهجــران لامتنـــا

أوف يـــــــــــــا بــــــــــــا أوف.. أوف

ويا ما لبـــسنا لحــرب هواهـــا ومـــا متنـــا

- **أبو راشد**: عدوينك إن شاء الله يا أبو الروض.

- **أبو الروض:**

ويا ما لبـــسنا لحــرب هواهـــا ولــم مِتْنَـــا

خضنا لحرب الأحبّــة ومـــا نكــضنا العهــد

نحنا عالمودة ما نخون العهد أوف يـــا بـــا

نحنا عالمودة وما نخون العهد ولـــو متنـــا

يـــا بـــا أوف يـــا بـــا أوف يـــا بـــا بـــاه.

وقد أُعجب الجميع من تقديم أبي الروض حتى أن أبو عمر قال له:

- **أبو عمر:** والله يا عمي قال: عطي الخباز خَبزه ولو سرق نصّه، عفيه يا أبو الروض صعي (صحيح) أنا هلأّ من بعدك، لأنك طفيتني!!..

٦- طقّ برغي:

ولما لاحظ أبو عمر تحرّك أبي العز، همس في إذن أبي دياب بأنه سيكسر لأبي العز برغيّاً (مقلب) حتى يخلّص حقه منه، وقد حاول أبو دياب ثني أبي عمر عن رغبته لأنّ أبو العزّ رجّال نزق وإيده فاروطية ولا ينلعب معه!!.. فما كان من أبي عمر إلاّ أن توجّه إلى أبي العزّ بقوله:

- **أبو عمر:** شو يا!!. وين يا مهوّن؟!!.

- **أبو العز:** خير؟!..

- **أبو عمر:** ليش إنت وشّك (وجهك) وجه خير!!.. قوم شوف حالك عالمراية.. وشوف شلون مرعوب وكأنك عامل عملة ومالك قدران تتحوّك (تعالج) فيها. ومنشان (لأجل) هيك بدك تفركها..

ولما ردّ أبو العزّ بأن لا دخل لأبي عمر في هذا الأمر، تحدى أبو عمر قول أبي العزّ وقال:

- **أبو عمر:** عمي.. كلّنا النا عليك ضربة لازمة مو بسّ أنا.. يمّا بدك تعمل علينا أبو عنتر ونجي أمير ونروح وزير.. شوف أبو العزّ، إنت مالك أحسن من حدا (أحد).

أجابه أبو العزّ:

- **أبو العز**: إذا كان هيك الحق معك، أنا ما لي أحسن من حدا.. بسّ انت شو دخلك؟!!..

فما كان من أبي عمر وقد انتفض غاضباً إلاّ أن ردّ عليه بقوله:

- **أبو عمر**: شوف أبو العزّ، إنت فهمان عليّ، وبتعرف كمان أنا اللّي دخلني وعامل حالك مالك عرفان شو عملت بأخيك أبو عمر منشان صاحبك قراقوش.. وهلأّ ناوي تفركها.. ما حزرت هلأّ الدور دورك وما بيطلع لك تظلّ مأنزع وشايف حالك علينا.

فكان أن تصدى أبو العزّ لقول أبي عمر، بأنّه في خدمة الطيّبين، وأنّ رقبته سدّادة للجميع، لولا أن ما سمعوه كفاية، وسيحكي لهم ما يسرّهم في مرّة قادمة. ثم توجّه إلى أبي عمر بقوله:

- **أبو العزّ**: بقآ يا أبو عمر من وين جئت لنا بهذه النغمة؟!!.

اعترف أبو عمر بأنّه أحب أن يغبّر على أبي العزّ، آملاً أن يصطاده بمقلب يكركبه.. عسى أن يكفّ أبو العز بلاءه عن أبي عمر، لأنّ الطّحان لا يغبّر على كلاس كما يقولون.

كاد أبو العزّ يقنع الحضور برأيه لولا أن طلب إليه أبو دياب مسايرة أبي عمر ويروي لهم شيئاً مما يعرفه، فاستجاب أبو العزّ لذلك، لأنه على قناعة بأن ما يسّر ويسعد الحضور يسرّه ويسعده، فضلاً عن ذلك لأنّه يريد أن يجعل أبو عمر يقول: إن الله حقّ، ويتوقّف عن مثل تلك الأساليب والبوليتيكات مع الآخرين[٧].

٧- الرطل بدّه رطل وأربع أواق:

شرع أبو العزّ يروي للحضور حكاية التاجر الذي كان يُدعى باسم أبي النور وكان على درجة كبيرة من الحبّ والعطاء للآخرين من التجار، حتى

لكأنه شيخ بندر التجار كما يقولون. وكان التجار يحتكمون إليه في معالجة ما يقع بينهم من أخذ وعطاء أو إشكالات، فيقبل ذلك برحابة صدر، ولو كان ذلك على نفقته الخاصة، لأنّ همه الوحيد أن يكون الجميع في ودّ وصفاء والرّزق على الله.

حتّى دار الزّمان، (والدهر دولاب) على أبي النور وأصبح على الحديدة ولا حول له ولا طول.. ذلك أنّه تعامل مع تجّار عليهم جناب مثل الطّناب، ولا يهنأ للواحد منهم عيش ما لم يحتال على الآخرين أو يخوزق أحدهم ببيعة أو شروة تكون فيها آخرته. قال شو؟!.. بدّه يعيش ومن بعده لا ينبت حشيش!!..

وهكذا أصبحت أموال وثروة أبي النور بين يديّ عدد من التجار الذين لا يخافون الله.. وكلّما حاول أبو النور أن يطالب أحدهم بما له في ذمّته من سندات أو كمبيالات، فإنّه يشكو القلّة والدلّة، ولا يسمع منه إلاّ مقولة: بدّك تطوّل بالك، صار لنا كذا يوم لم نستفتح!!. وهذا ما جعل أبي النور يفكّر في مغادرة البلد علّه يجد سبيلاً لرزقةٍ يحسّن بها أحواله وبالتالي يتخلّص من أولئك التجاّر الذين كان همه إسعادهم فقابلوه بالجحود... بل بالتشهير والسّخرية!!..

اضطر أبو النور للعمل في دكان يأكل وينام فيها وبأجر زهيد.. وقرش فوق قرش أصبح لديه، بعد عدد من السنين، مبلغاً من المال قد يمكّنه من العودة إلى بلده ويعاود نشاطه، عسى الله أن يجبر بخاطره ويعود إلى ما كان عليه من السِّعة واليسر. وهو في قرارة نفسه مصمم على توخّي الحذر مع جميع ما سوف يتعامل معهم، لأنّ الشاطر إذا وقع في جورة (حفرة) عليه أن لا يقع فيها ثانية، والإنسان لا يتربّى إلاّ من كيسه!!..

وفيما كان أبو النّور خارجاً من المسجد، كان بباب المسجد متسوّلاً ضريراً يطلب الصدقة من الناس، طلب إليه أبو النور أن يصرف له ربع مجيدي ليعطيه، لكن المتسوّل قال له: أن ربع المجيدي أمسحاً، فأعطاه أبو النور ربع مجيدي آخر.. وآخر، وفي كل مرّة كان المتسوّل يوجد عيباً بالربع

المجيدي، فكان أن أعطى أبو النور ذلك المتسوّل كيس دراهمه حتى ينتفي منه ربع مجيدي يصرفه لأبي النور. لكن المتسوّل وضع كيس دراهم أبو النور في عبّه، وما لبث أن أنكر على أبي النور كيس دراهمه. وعبثاً حاول أبو النور أن يقنع الناس بأن المتسوّل اقتنص منه كيس دراهمه. إزاء هذا الوضع لم يكن أمام أبي النور إلاّ أن يفكّر بطريقة تُعيد له دراهمه من ذلك المتسوّل. فكان أن اشترى جرّة (آنية فخاريّة) ودهنها بالعسل من داخلها، ووضعها في مكان تكثر فيه الزلاقط والدبابير، فلما دخل الجرّة العدد المناسب من تلك الزلاقط والدبابير، أغلقها أبو النور، ثم أتى المسجد وقد غيّر حلاّسه (مظهره) وطلب إلى المتسوّل أن يضع له عنده جرّة العسل ريثما يؤدي الصلاة.

فما كان من المتسول إلاّ أن فتح تلك الجرّة ليأكل من العسل فإذا بالزلاقط والدبابير تتلبّسه. فولّى هارباً، فسقط منه كيس دراهم أبي النور، فتناوله وهو يقول:

- **أبو النور**: شايفين يا جماعة الخير، هاد هوّ كيس المصاري تبعي، يلّلي نصبه مني هالشحاذ الأعمى.

فقال له أحد جوار المسجد:

- ومين قال لك إنه أعمى، هادا زلمة عامل حاله هيك لأنّ الشحادة شغلته.

ولمّا سأل أبو العزّ الكباريّة عن رأيهم بما حكى لهم قال له أبو دياب:

- **أبو دياب**: الله يسلّم هالتمّ يا أبو العزّ، حكاية هالتاجر حرزانة، لأنه الرطل بدّه رطل وأربع أواق، ولو كان داير باله على حاله ما كان غدر فيه الزمان.

- **أبو العزّ**: أي والله يا أبو دياب، لأنّ الواحد إذا ما كان قدّ حاله، بسّ بالحلال، بيصير فيه مثل ما صار بأبي النور. ومنشان ما يزعل اخونا أبو عمر، أنا بأمر القبضايات إيمتى ما حبّوا!!..

- **أبو عمر**: له له.. يا أبو العزّ.. ببالي نحنا همشرية وصحاب(٨)؟!!.

الحواشي والإيضاحات:

١ - الكبارية: الوجهاء. هدا: حدا. هون: هنا. خمسين بواردي: مسلّح بالبندقيّة. هيك: هكذا. خصّ نصّ: على الأخص. أبصر: الله أعلم. شو: ماذا.

٢ - يا دوبه: لا يكاد. قشة الذقن: حلاقة الذقن بالموس أو نحوه. دوم: دائماً. كام: بضع. هلأّ: الآن. هيّ: هذه. خلنج: لم تستعمل من قبل. هندز: هندس، أرادوا، إصلاح. المرسة: حبل رفيع. ليش: لأي شيء، لماذا. كمان: أيضاً. بازاونك: حقير.

٣ - بشت: سافل. إلت: قلت. الصغير: أرادوا: الأجير. ما بيحلّ ولا بيربط: لا يفقه شيئاً من أصول العمل. يلّلي: الذي. بسّ: لكن. تخينه: لا تحتمل. مو هيك: أليس كذلك. فاير دمّه: مشغول فكره. شلون هيك: كيف. على ريق بطنه: لم يفطر بعد. وينك: أين أنت. عالحارك: عاجلاً. وين: أين. إيمك منّه: دعنا. يزرعها بذقنه: كناية على عدم تكرار الخطأ. البهللة: كلام لا طائل منه. تمسيح الجوخ: المبالغة في المسايرة.

٤ - يعمل بالرّز بصل: يغالط، يخطئ. الكلام الطالع النازل: الكلام المثير الذي لا طائل منه. الدّون: المنحطّ. الخزّانة: التجار الذين يخفون المواد التموينية لوقت الحاجة لبيعها بأغلى الأسعار. مو إله: ليست له. هديك: تلك.

٥ - يخبّص: يشتّط في قوله. شروي غروي: كلمة من الشرق وأخرى من الغرب، عنوا بذلك عدم الافتراء في قوله بحق قراقوش. لأوي: مهلاً. تركب علينا: تفرض رأيك. لسا: لا نزال. يعنفظ: يزداد غلّواً. الزلمة: الرجل. اشحذ: اتسوّل. يمّا: أو. يفش خلقه: يروّح عن نفسه. شو هالسّحبة: ما هذه، أو ما أكبر هذه المغالطة بل الكذبة. ناوي: ترغب. تقطع علينا وقت: تريد أن تتسلّى بنا. حطّها حلق بأذانك: دعها عبرة لك.

٦ - كسرنا الدفّ: كناية عن التوقف عن ما هو فيه. تغيّر هالاسطوانة: هذه القصة أو الأسلوب. خربط لك هالواجهة: الوجه. لفّها برمة: كفاية عليك. يقيم من على الزاوية وبحط على الراوية: كناية عن الاستمرار في غيّه. لحا: سوف. سوق التبن: سوق شعبي. النّقل: النقولات، الموالح. ومنهم من يعيد ذلك إلى صرير محور الباب. على أونه.. على دوّه: أسلوب المناداة الشعبي في المزاد العلني. يقشّ الذّقن: يحلقها بالموس أو نحو ذلك. يدعس: يدوس بقدميه. يدعس على كعاره: يزاحمه. قدّها وقدود: على قدر المسؤولية.

٧ - لامتنا: من اللوم. طفيتني: أطفأت تفوّقي وزهوّي. إيده فاروطية: لا يتورّع عن استخدام يده للانتقام. لا ينلعب: لا مجال للمزاح معه. شلون: كيف. تفركها: تذهب على عجل. ليس له ضربة لازمة: ليس له الحقّ عليه. وين: أين. هذه النغمة: هذا الكلام. يغبّر: يثير. يكركبه: يعكّر عليه صفوه. البوليتيكات: المحاولات.

٨ - شيخ بندر التجار: زعيم التجار. على الحديدة: معدم. جناب مثل الطناب: لا يشعرون بالآخر. المجيدي: نقد عثماني. تبعي: خاصتي. شغلته: عمله. التمّ: الفم.

٣- مشحّر يا زوج التنتين!..

١ - بساط أحمدي.

٢ - المعونة بالله.

٣ - الاذنّامه.

٤ - الله لا يتوّه لنا رأي.

٥ - الهستريا..

٦ - خرّاب البيوت العامرة.

٧ - استلقي وعد ربك.

٨ - الشهريار أبو مستو.

٩ - مقدمات زواج.

١٠ - جنان أيام الباذنجان.

١١ - محطة طرب.

١٢ - يلّلي بدّه يعمل جمّال.

١٣ - واسطة خير.

١٤ - ضراير أبو رياض.

الشخوص المشاركة:

١ - الكبارية: أبو دياب، أبو راشد، أو العز، أبو أحمد، وأبو رياض.

٢ - أبو صبحي بائع الحليب وابنه سالم.

٣ - أبو عمر الحلاق.

٤ - صانع المقهى عبّودة.

٥ - تحسين صانع أبو راشد.

٦ - أبو مستو، وأم مستو وضرتها سعاد.

٣- مشحّر يا زوج التنتين!..

١- بساط أحمدي:

لم تكن الغرفة التي اتخذها المختار أبو دياب على نحوٍ مميّز من الأناقة والترتيب. كانت على بساطتها تفي بمتطلبات ما يفد إلى المختار من المراجعين، لم يكن فيها أكثر من أريكتين أكل عليهما الدهر وشرب، وبضع كراسٍ واطئة من القشّ وبضع طربيزات (مناضد صغيرة) موزّعة في أرجاء الغرفة، ويتصدّر ذلك طاولة قديمة اتخذها المختار مكتباً له، على ما تكدّس عليها من السجلاّت والأوراق. كانت حصّة المختار من هذه الطاولة مساحة صغيرة يدوّن فيها ما يُطلب إليه من وثائق الإقامة وصكوك الزواج أو حسن السلوك بل والوفاة، وما إلى ذلك من أمور مناطة بالمختار. وهو (المختار) في ذلك لم يكن يفكّر في أن يكون مكتبه على نحوٍ آخر من الترتيب. ولم يكن ذلك الوضع من قبيل الحرص أو الشحّ، وإنما كان من باب البساطة، وبخاصّة وأنّ علاقة المختار بمراجعيه هو القيام على خدمتهم وتسهيل أمورهم والسهر على مراعاة أحوالهم وراحتهم أكثر من أيّ شيء آخر.. وهو في عمله هذا لم يكن يتطلّع في يوم من الأيّام إلى كسب أو منفعة بقدر ما كان عمله حُسبة لوجه الله تعالى.. لأنّ من يتعامل معهم أو يقوم على تسهيل أمورهم إنما هم لحمته وأهله وصحبه وجيرانه. فضلاً عن ذلك فقد كانت صلته بصحبه وعلاقته بهم في كثير من الأحوال لا تخرج عن ذلك النحو من النهج في تعامله.

جلس المختار أبو دياب وراء طاولته صباح ذلك اليوم، كعادته كل يوم، يلبّي ما يطلب إليه، وأمامه امرأة طلبت إليه تزويدها بوثيقة (صك) ولادة

لحفيدها، في حين توزع المراجعون الآخرون على الأريكتين والكراسي المذكورة.

٢- المعونة باللّه:

لم يكن المختار أبو دياب ليطجّ (يختم) بخاتم المخترة وثيقة أو صكّ دون أن يأخذ ويُعطي مع طالب هذه الوثيقة أو الصكّ. لأنه تعوّد أن لا ينجز طلباً إلاّ بعد أن يتأكد من صحّة ما ينجز، وذلك من خلال سؤال عابر أو استفسار من صاحب الطلب، وقد يكون ذلك على شكل توجيه أو مداخلة كلاميّة مع المعنيّ، كأن يقول لطالب سند إقامة:

ألست ابن فلان يلّلي فاتح برأس الحارة.. أي والله أبوك ابن حلال والنّعم منّه، والسّبع تنعام على ما في طرح المختار لهذه المقولة من غمز ولمز.. أو يعمد إلى توجيه لطالب سند إقامة فيوصيه فيه بجيرانه، لأن الله أوصى بالجار وقد يقول لصاحب طلب حسن سلوك.

أنا هالمرّة لحا أعطيك ها لحسن السلوك منشان خاطر أبوك الله يرحمه، لأنّه من خلف ما مات، وبدّي إيّاك تقدر تحمل اسم الوالد الله يتغمّده برحمته.. شو قلت لّك؟!!. بدّك توعدني هه.. ووعد الحرّ دين!!.

وكان المختار أبو دياب في كثير من الأحوال التي يُطلب إليه فيها التوسّط في حلّ إشكال بين طرفين، يتحمّل عبء تبعة ما يتطلّب توسّطه الماليّة من جيبه الخاصّ أملاً في التوصّل إلى الوفاق بين الجانبين.

وعند إنجاز ما يُطلب إليه من وثائق لم يكن ليطلب أجراً محدّداً، وإنّما كان المراجع يضع على الطاولة ما يرغب دفعه إلى المختار من أجر والمختار في ذاك يتجاهل ما قام به ذلك المراجع، وإن كان المختار ينظر إلى تلك النّقود بطرف عينه..

٣- الاذنّامه:

ومن الشواهد على تعامل المختار أبو دياب، ما كان من أمر سالم ابن بائع الآلماسية أبو صبحي بالمصلّبة، فقد أتى سالم مع والده المختار صباح ذلك اليوم ليزوّده بوثيقة صك زواج لإجراء معاملة الإذنّامة فبعد أن أخذ أبو دياب هويّة سالم ودفتر عائلة العروس قال أبو دياب لسالم:

- **أبو دياب:** شوف عمي نحنا البارح عملنا لك جاهة لطلب إيد المستورة وأنا هلأّ كرمال أخي أبو صبحي وكرمال هالعينتين بدي أخدم ابن أخي أبو صبحي، واتكفّل له بالإذنّامة نقوط منّي لابن الحبايب. لحا مشّي لك هالاذنّامة بالمحكمة، وعلّق إياها عندي هون بالمخترة وعلى باب الجامع بذات نفسي، وبعد كمّ يوم مننزل عالمحكمة لكتب الكتاب. والله يقدّم ما فيه الخير.. مليح هيك؟!!. إنت والله بتستاهل كل خير وما إلك عليّ يمين لو عندي بنت ما عطيتها لغيرك!!.

هلّلت أسارير أبو صبحي وأشرق وجهه، وانحنى سالم ممتّناً ليقبل يد المختار، لولا أن منعه المختار من ذلك وهو يقول:

- **أبو دياب:** لك عمّي هادا واجبنا، وانت ابن أخونا جار الرضى، يعني أقلّ منها؟!!.

لحظ أبو صبحي أبا عمر الحلاق داخلاً المخترة (مكتب المختار) قاطعاً على أبي صبحي والمختار تلك اللحظة الحميمة. ألقى أبو عمر السلام عاجلاً، فأهّل به أبو دياب وسهّل. ثم التفت أبو عمر إلى أبي صبحي مباركاً وهو يطلب منه أن يحلق لابنه سالم عنده حلاقة العرس.

قطع أبو دياب على أبي عمر ما كان من سعيه لكسب حلاقة عرس سالم سائلاً إياه عن سبب تركه دكانه في مثل هذا الوقت، تقدّم أبو عمر من أبي دياب وهمس في اذنه أمراً جعل أبي دياب شديد الدهشة والاستغراب، وتابع أبو عمر ذلك بقوله:

- **أبو عمر**: بمعيتك مختار، الزلمة ما بينسفط فيه.

سارع أبو دياب إلى الاعتذار من المراجعين متعللاً بمشوار ضروري، على أمل اللقاء بمن يريد صباح اليوم التالي[١].

٤- اللّه لا يتوّه لنا رأي:

كان أبو العزّ واقفاً في جناح القصر من المقهى وهو ينظر إلى روّاد المقهى عبر الزجاج الذي يفصل جناح القصر عن بقيّة المقهى. فلما وصل أبو عجاج وأبو أحمد إلى ذلك الجناح لم يشعر بهما أبو العز، حتى أنّه لم يردّ عليهما السلام بالشكل المعهود بين كبارية الحي. فقد ردّ عليهما السلام ببرود بل دون أن يلتفت إليهما استغرب أبو عجاج وأبو أحمد تصرّف أبا العز، وحاولا تبرير ذلك بوجود ما يبرّر تعكّر صفو أبي العزّ، وبخاصّة بعدما سمعاه يقول:

الله يعافينا ولا يتوّه لنا رأي.

فما كان من أبي أحمد إلاّ أنّ توجّه إلى أبي العزّ بقوله:

- **أبو أحمد**: شبنا أبو العزّ؟!!. مالك على بعضك.. خير؟!.

رحّب بهما معتذراً بأنه كان باله مشغولاً، راجياً منهما عدم المؤاخذة. قاطعه أبو عجاج مستغرباً ومهوّناً على أبي العز، على اعتبار أنّهم إخوة، وأن ما يسعده يسعدهما، وما يُشغل باله يشغلهما. ردّ أبو العزّ بأن لا شكّ في ذلك، وكل ما في الأمر شيء عرضيّ. لكن أبو عجاج اعترض عليه بالقول:

- **أبو عجاج**: أخي أبو العز، مثل ما بتعرف نحن إخوات، ومنعرفك مثل ما نعرف أنفسنا، إنت ما بيخلّيك (يجعلك) هيك غير الشديد القويّ ومنشان هيك لك أخي شاركنا.. والحمل على الله..

أجاب أبو العزّ أن ليس من أمر يستدعي قلقهم، وأن ما يزعجه إنما هو ما حدث مع أبي مستو.. المسكين، شوفته بتخلّي الحجر يرقّ.. يا لطيف على هالدنية شلون الواحد بيكون عمّ يلاطش فيها عالجنبين، بعدين العشا خبّيز، وما له آخذ منها شيء.

أجابهُ أبو أحمد بأنّ كلامه على العين والراس، بسّ المحيّر كيف حدث ما حدث مع أبي مستو، وهل من سبب وجيه لذلك؟!. فقال أبو العزّ:

- **أبو العزّ**: يا جماعة الله يرحم أهل أول شو قالوا.. قالوا كلام كلّه حِكَم وعِبَر.

قال: الله يثبّت علينا العقل والدين.. العقل زينة لبني آدم.. مو هيك يا جماعة؟ يمّا أنا غلطان؟!!.

ولما ألحّ أبو أحمد وأبو عجاج على أبي العزّ بأن يقول ما عنى من ذلك قال لهم:

كلنا منعرف أنّه دكان أبو مستو قريبة من دكانة أبي عمر، ومنشان هيك وبحكم الجوار، اعتاد أبو مستو أن يحلق عند أبي عمر، وها الأبو عمر عليه لسان مثل مقصّ السكافي ما بيقص غير على نجاسة، قال شو، حب أبو عمر أن يسلّي أبي مستو وهو يقص له شعره حتى لا ينام على كرسي الحلاقة.. إه.. ومن هون لهون، وقصة من هون وسيرة من هون خلّى أبو عمر ها لمسكين أبو مستو ينقر زواجة على مرته..

تدخل أبو أحمد بهذه القصة وقال لأبي العزّ:

- **أبو أحمد**: بس أنا يلّلي بعرفه إنّه أبو مستو ما له بهيك سيرة، الرجال آدمي وما بيعملها.. وما بيتسرّى ولا بينام برّة، ولا له شوكة ولا دبّاحة، ومن بيته لدكانته ومن دكانته لبيته، كلّ همّه شغله، وكل الناس بتشكر منّه.

- **أبو العزّ:** هالشيء كل الناس بتعرفه، بسّ المخفي أعظم، لأنّه يلّلي صار مع أبي مستو بعد هالزواجة ما بيتصدّق.. المسكين كانت هالزواجة وبال عليه.. وعينك ما تشوفه وهوّ قاعد عالأرض، ودمّه حميمه، والناس حوله وحواليه ما لها عرفان شو صاير معه.

المسكين كان عم يشوبر بإيديه، ويحكّ راسه ويأكل من رأسه أو يلعق الدم الذي يسيل من وجهه وهو بين ضاحك وباكي، أو يهبّ مذعوراً ويصرخ مستغيثاً متصوراً أشياء تقذف عليه وهو يهذي بقوله:

- **أبو مستو:**

حوح.. حوح يـــا بـــرد اللحلـــوح.

حوح.. حوح يـــا بـــرد اللحلـــوح.

بـــردان تعـــا صـــوبي لحلـــوح.

بس بس.. مو حلوة سعدية.. هي هيء.. مو حلوة منشان أم عزو ما تحسّ علينا.. لسّا ما غفلت.. حاجّ هلأّ.

ثم يتصور أنّ زوجتاه قد اتفقتا عليه وانهالتا عليه بالضرب والقذف بكل ما تطال أيديهما. فيعود إلى هذيانه:

- **أبو مستو:** أيّ.. أيّ.. أخْ.. أخ.. آخ راسي.. آخ عيني.. خاصرتي ظهري.. كلّي على بعضي آخ.. آخ يخرب بيتك انت وإياها.. لك ليش هيك؟!.

آخ.. آخ يا بردو.. آخ يـــا بـــردو

أنا بردو يا ميمتـــي.. أنـــا بـــردو

حوح.. حوح يا بردو.. يـــا بـــردو

أنا بردو وانتـــوا مـــا لكـــم بـــردو

مــــــــــــــالكم بـــــــــــــــــردو

وين الحناين يا بردو.. أنا بردو[٢]

٥- الهستيريا:

وافق أبو عجاج صاحبه أبا العزّ على مشاعره نحو أبي مستو، لأنّ المعروف عن أبي مستو إنّه رجّال ما بينسفط فيه وهو لا يستأهل ما هو فيه، المسكين كان همّه شغله، وكل الناس بتشكر منّه.

هذه الحال التي أصبح عليها أبو مستو، لم تكن (عندما تواتيه) أكثر من اضطراب يجعله وكأنه مرعوباً أو كأنّه تشاجر مع متعامل معه.. أما في هذه المرّة فقد كان وضعه أسوأ من المرّات السابقة.. ولعلّ السبب في ذلك إتفاق زوجتاه عليه، وهذا أمر لم يكن في الحسبان، لأن ذلك الاتّفاق بين زوجتيه جعله لا حول له ولا طول، وفي حالة من الضياع، وعدم الدوزان في تفكيره.. فضلاً عن حرمانه من السعادة والمتعة اللتان طالما صورهما له أبو عمر الحلاق إذا تزوّج على إمراته المترهّلة التي لم تعد قادرة على جرّ نفسها لما عليه من السمنة، وهي إن أفلحت فلا تكاد تسرّح شعر رأسها، ونسيت ما كان يُعرف بعلبة مكّي وما تضمّه من مساحيق وعطورات لتزيين المرأة وتحسين شكلها.. كما تكاد تنسى أن تبدّل فستانها الذي اتخذته للنوم والمطبخ والاستقبال، وهذا كله جعل كلام أبو عمر مسموعاً لدى أبي مستو، وبالتالي استجاب أبو مستو لما بثّه أبو عمر وما زرعه في عقله لدرجة أنه لم يعد يفكّر إلاّ في زهزهة حياته، ناسياً ما كان من أمر زوجته التي وهبته زهرة صباها وقاسمته الحياة حلّوها ومرّها من فم صامت وقناعة تنبض بالوفاء.

٦- خرّاب البيوت العامرة:

ما لبث أن عاود أبو العزّ الكلام عن دور أبي عمر في مصيبة أبي مستو بقوله:

- **أبو العزّ:** كلّه من هالمنظوم أبو عمر، يلّلي ما بيخلّي الواحد راكن بحاله، وطوال ما له وراء كرسي الحلاقة يا دوبه يزنّ.. يزنّ، يا إما بيشتغل بهاد (هذا) وهاد.. وبيقيم راس هاد وبيحطه على هاد، يا ويلك يا أبو عمر من الله.. لك مع مين لعب لعبته هالمرّة؟!!.. مع هالدرويش أبو مستو، يلّلي ما كان إله لا شوكة ولا دبّاحة.

ولما اعترض أبو عجاج على إسناد ما كان من أبي مستو إلى أبي عمر لأن الإنسان العاقل لا تأخذه كلمة وتأتي به كلمة أخرى. وأنّ أبو مستو هو الذي أوصل نفسه إلى تلك المواصيل.

أجاب أبو العز:

- **أبو العز:** يا جماعة صعي (صحيح) الواحد منا ما له حاطط خيمة على راسه، وبني آدم تحت ألطاف الله، وكل مين عقله براسه بيعرف خلاصه.. بس هادا أبو عمر مثل السوس بيضل ينخر بالواحد لحتّى يجيب له أجله!!..

لم يكن الوضع أكثر من حوار بين أبي العز وأبي أحمد وأبي عجاج، لكن سماع أبو عمر ما قاله أبو العزّ بحقه عن دوره بما آل إليه أبو مستو، جعل أبو عمر في حالة من التوتر والرّيبة من موقف أبي العزّ، الذي كان يحاصصه على كل كبيرة، أو صغيرة بل كل كلمة تصدر عنه. فلما شاهد أبو العز قدوم أبي عمر إلى جناح القصر توجه بالقول إلى الحضور وهو يغمز من أبي عمر:

- **أبو العزّ:** وهه، وهي المكلمدان إجا (جاء) قال: اذكر الذئب وهيّر القضيب.. الله لا كان جاب الغلاء!!..

كان بودّ أبو عمر أن يردّ أو يجابه أبا العزّ لكن وصول المختار أبو دياب إلى جناح القصر الجم أبو عمر، وبخاصّة وأنّ أبو دياب سأل عن سبب ما هم فيه.

أعاد أبو العزّ على الحضور ما كان من دور أبي عمر في الحال التي وصل إليها أبو مستو متّهماً أبا عمر بأنّه سبب بلاء أبي مستو. فما كان من أبي عمر إلاّ أن اتهم أبا العزّ بأنه لا يحبّ له إلاّ الفاينة، لأنّ نيّته نحوه دائماً عاطلة؟! قطع هذا الجدل قول أبو دياب:

- **أبو دياب:** مسكين ها الأبو مستو.. الله يعافيه.. وأنا جاية لهون كان أبو راشد أخذه لعنده عالمحلّ.

التفت أبو العز مخاطباً الحضور، بأنّ ما حصل لأبي مستو كان بفضل أبا عمر وهوّه الذي وصّله إلى هذه المواصيل، إلاّ أنّ أبو عمر نفى علاقته بذلك قائلاً:

- **أبو عمر:** يا جماعة هلأّ إذا إجت براس الواحد وانضرب على قلبه وطقّ زواجة على مرته.. أنا شو دخلني!!. بعدين أبو مستو ما له ولد زغير.. أبو مستو رجال شواربه ملاة (ملئ) وجهه.. وبعدين الزلمة عقله براسه بيعرف خلاصه..

- **أبو العزّ:** انت طول عمرك هيك!! بتقتل القتيل وبتمشي بجنازته. ضلّيت تزنّ تزنّ باذن هالزلمة لحتى طقّ هالزواجة ووصلّته لهالحالة!!..

أنكر أبو عمر صلته بما قاله أبو العز عن أبي مستو قائلاً: الزلمة عمّا يقول أنّه مرته (امرأته) عجّزت، ودايم الدوم مخستكة، إه سألني شو إعمل، قمت نصحته.. حرام يعني الواحد ينصح جاره.. لك يا جماعة الله أوصى بالجار، وشو فيها إذا نصحته. ولما سأل أبو دياب أبا عمر بماذا نصح أبو عمر الزلمة.. أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر**: كل شي قلت له إياه، أنه شو بدّه بها العيشة مع مرته يلّلي ما لها نافعة لنافعة.. حرام يقبر حاله بالحيا.. يا جماعة الرجال لسّاته بعزّ شبابه.. فيها شي يا جماعة.. إذا قلت له يتزوج واحدة ثانية؟!!..

فأجابه أبو العزّ، بأنّه بهذه النصيحة خربت بيت أبو مستو.. وخلّيته يطقّ عقله ويسوح بالشوارع(٣).

٧- استلقي وعد ربّك:

كان حضور أبو راشد مفاجئاً لأبي دياب، فقد أخذ أبو راشد أبا مستو إلى عنده ليخفّف عنه ويهتمّ به عسى أن يخرج من الحالة التي هو فيها!!..

رحّب أبو دياب بأبي راشد، دعاه للجلوس إلى جانبه، وما لبث أن سأله عن أحوال أبي مستو. تنهّد أبو راشد راجياً من الله أن لا يبارك لمن كان سبباً في وصول أبي مستو إلى هذه الحال، وأن ينتقم الله منه. ثم أردف أنّه ترك أبا مستو وقد غفل (نام) منذ قليل، ولكنه كان يهلوس وهو نائم بكلام فايت ببعضه. تارة يضحك وتارة أخرى يبكي. بسّ الظاهر إنّه خرمان عليك يا أبو عمر ومحروق قلبه منّك. وعم يحلف (يقسم) ويتتالف إنّك وقعت تحت إيدك لحتى يطلع بروحك ويبسمرك بكعب كندرة واحدة قهرمانية لحتّى تضل تدوسك لتشبع دوس. بقآ استلقي وعد ربّك يا أبو عمر وإن شاء الله نعيماً!!.

ولما سأل أبو دياب أبا راشد على مين ترك هالمسكين، أجاب أنه ترك عنده صانعه تحسين حتى يرعاه ويقدم له كل ما يحتاج.. وتحسين سيأتي إلى هنا ليخبرني حالما يصحو أبو مستو من نومه.

وهنا سأل أبو أحمد أبا عمر عن كيفية إقناع أبو عمر لأبي مستو بالإقدام على الزواج من امرأة ثانية على زوجه. أنكر أبو عمر قيامه بمثل العمل مع أبي مستو، وكل ما في الأمر أن أبا مستو كانت لديه الرغبة في ذلك وطلب مساعدة أبي عمر في هذا الأمر..

فما كان من أبي راشد إلاّ أن تصدى لأبي عمر، وشرع يروي للحضور على لسان أبي مستو، كيف عمل أبا عمر على توريط أبا مستو في ذلك الزواج!!..

كان من جملة ما دار على لسان أبي مستو وهو على تلك الهلوسة أنّه أتى أبا عمر ليحلق عنده، وما أن شرع أبو عمر يرغي (وضع) الصابون على ذقن أبي مستو حتى شرع يقنعه بالزواج ثانية وبخاصّة وأنّ زوجته لم تعد قادرة على القيام بواجبات البيت فضلاً عن عدم قدرتها على واجباتها كزوجة. طلب أبو مستو من أبي عمر أن يغيّر هذا الحديث، وأنّ يخلّي الطابق مستوراً بينه وبين زوجه لأنه أصبح متعوّداً على زوجه وهي على تلك الحال وزوجه تعوّدت عليه، وماشي الحال ومن ليس له قديم ليس له جديد، وتابع قوله:

- **أبو مستو:** خلينا عم نتعكّز على بعضنا، مستورة والحمد لله، وأهل أول قالوا: يلّلي بيشلح توبه بيبرد..

٨- الشهريار أبو مستو:

أجابه أبو عمر بأنّه غلطان، وحتى يقرّب له الأمر ويزيد في رغبته، سأل أبو عمر أبا مستو ما إذا كان قد سمع بقصّة شهريار وشهرزاد التي تُروى في قصّة ألف ليلة وليلة فلما أخبره أبو مستو بأنّه سمع بذلك؛ أخبره أبو عمر بأنّه إذا تزوج ثانية سيكون شهريار زمانه. وستكون حياته حياة جخّ ودلال، وبين يديّه صبيّة لبيّة تقول للقمر غيب لاقعد مكانك قاضي ومفتي ونقيب.. وعلى غمز ولمز وغنج ودلال.. لك يا عمّي الحياة هيك غير شكل!!.. ولحا تقول إنّ الله حقّ، ووقتها لا الدنية دنية ولا الناس ناس!!.. لك لحا تغرق بالعسل لقراقيط أذانك، وما لحا تشبع لحوسة.. لك كانت النصيحة بجمل وانت خود منّي هالنصيحة ببلاش.

أي والله الواحد وهو متطهمز عند عشيّة على هالطرّاحة، وقدّامه الميّ عم تخدق بالبحرة خدق، والأركيلة (النارجيلة) قدامه وصبيّة لخدمته وعلى قولَةْ: تقبرني وتقبشني وتشكل آسي، وتطلع على قبري وهيّة عم تغسّل له إجريه.. غير شكل يا أبو مستو.. وفوق هيك على دلال وغناج وسأسلة وشيء مكشكش وشيء مزنّر مزلّط وشي مخبّى وما بينعدّ ولا بينوصف يعني شو رأيك إذا كنت هيك؟!!.

ويستفيق أبو مستو مذعوراً وهو يقول:

- **أبو مستو:** آخ منّك يا أبو عمر.. آخ يا ابن الحرام الله لا يوردّك يا أبو عمر.. دبحتني.. دبحتني.. امسكوه يا ناس امسكوه.

يسارع تحسين إلى أبي مستو ويقدم له بعض الماء، ثم يهديء من روعة بقوله:

خير.. خير.. أبو مستو.. هاد كابوس الله يبعده عنّك.

فيعاود أبو مستو الهذيان:

أيّ.. أيّ آخ راسي.. ظهري.. آيّ.. آي.

حوح حوح يا برد اللحلول.. حوح.. حوح.

أخذ أبو راشد يهدّيء من روع أبا مستو بقوله:

- **أبو راشد:** طوّل بالك أبو مستو!!. وكل شيء إلاّ خاطرك.. وما بيصير إلاّ مثل ما بدّك إهدى أبو مستو إهدى.. إنت هلاًّ نام والصباح رباح.

ثم طلب أبو راشد إلى صانعه تحسين إنّ يُحسن وفادة أبا مستو، ريثما يعود من المقهى، وإذا حدث أمر طارئ عليه أن يأتيه إلى المقهى على وجه السرعة.

سأل أبو دياب أبا راشد عن ما إذا كان علم شيئاً عن الحال الذي وصل إليه أبو مستو، أجاب أبو راشد، إنّه عندما سأل صانعه تحسين ما إذا كان أبو

مستو قد أخبره بشيء عن ذلك، قال تحسين أنّه لم يقدر الحصول على حق أو باطل من أبي مستو، لأن المسكين لا يزال مدروخاً، وما له عارف رأسه من قدميه وبالتالي ما عمّ يصحى من كابوس حتى يقع في كابوس آخر.

عقّب أبو العزّ على قول أبي راشد، موجهاً الكلام إلى أبي عمر، بأن الفضل في حال أبي مستو، إنّما هو لهالمنظوم (أبو عمر) الله يكسّر من أمثاله، ثم أردف:

- **أبو العزّ:** الله يخرب بيت سنتك على هاللسان الحِلس المِلس النَجِس، لك يا منظوم شلون هيك بتبلف هالزلمة وتدهي بعقله وتخلّيه يصير فيه هيك؟!.

ردّ على ذلك أبو عمر:

- **أبو عمر:** يا جماعة.. يا جماعة والله أنا ما بلفته، وما دهيت بعقله، بسّ قلت لحالي خلّيني سلّيه عم بين ما قشّ لّه ذقنه، لحتّى ما ينام على كرسي الحلاقة. بعدين أنا شو بقدر اعمل إذا كان أبو مستو قابضها وبياكل عليها بالدين؟!!.. أنا شو دخلت بالله.. آ.. أبو العزّ؟!!.

- **أبو العز:** الله يرضى عليك لا تجيب ذكر الله على لسانك بهيك شغلات. الله ما قال لأبي مستو تزوّج على مرتك لحتّى يصير فيك هيك.. بس الشيطان يللي لابسك يا منظوم فات بأبي مستو.. وعلى دروشته سمع منّك، وتزوّج على مرته، وصار يلّلي صار.. الله يصطفل فيك يا أبو عمر.

٩- مقدمات زواج أبي مستو والبداية:

لاحظ أبو راشد أن صانعه تحسين واقفاً بباب المقهى.. أدرك أنّ أبا مستو قد استفاق من نومه، الأمر الذي جعل أبو راشد يعتذر من الحضور والعودة مع صانعه تحسين إلى محلّه (دكانه)[٤].

قال تحسين لمعلمه أبي راشد، ما سمعه من أبي مستو عن أسلوبه بالتمهيد لأم مستو:

فقد عمد أبو مستو إلى التظاهر بتقدير مدى الجهد واللهفة لدى زوجه أم مستو ورجا من الله أن يُعينَه على إسعادها لردّ جمايلها، ووعدها بأن يُحضر لها امرأة تساعدها في شؤون البيت، فقد آن لها أن ترتاح وتعيش على كفوف الراحات، وتكون الخانم في بيتها. لكن أبو مستو لما أتى بتلك المرأة إلى البيت، وجعل لها مكان الصدارة.. عرفت أمّ مستو أنّ تلك المرأة (سعاد) هي ضرّة لها.. عندئذ جنّ جنون أم مستو، وكادت تفقد صوابها، ونشبت بين الضرّتين مشادّة صاحبها زعيق وضرب وشدّ شعر، ولم يفرّق بينهما إلاّ تهديد أبو مستو لزوجه أم مستو بالكف عن ذلك. أجابته أمّ مستو:

- **أم مستو:** شو عليه يا أبو مستو.. هَيّ آخرتها معك بعد هالعمر كلّه.. أكلتني لحم وبدّك ترميني عظم!!. ومع مين؟! مع وحدّه مثل العصاية طقّي.. لك ولادك أكبر منها!!.

وهذا جعل أم مستو تعمد إلى مكايدة ضرّتها، بعد أن اشتعلت فيها نار الغيرة، ومن ثم أصبحت المرأة التي كانت لا تكاد تستطيع القيام من مكانها لهلوبة زمانها وغنّاجة عصرها وأوانها. مع ما يرافق هذا السلوك من ارتداء المزلّط والمزمزم والمكشكش، وما إلى ذلك من المساحيق والألوان التي تصلح من مظهرها (الماكياج). وبالتالي أصبح همّ أمّ مستو السّعي لإرضاء زوجها نكاية بضرّتها سعاد. كان أبو مستو بين السفاقين، كما يقولون، ويُله زوجه أمّ مستو، وويله ضرّتها سعاد أصبح وضعه بينهما من المعاناة على حدّ سواء أكانتا متفقتان أم على غير وفاق، وكان إذا أراد أن يبعد الواحدة عن الأخرى عند تصادمهما.. يأكل نصف القتلة بما يُلقى عليه من الأحذية ومن ما تقع عليه يد أيّ منهما لتقذف ضرّتها.. ويا ويله إذا كان الاتفاق عليه.

وهذا أمر جعل أبو مستو يعتقد أنّه إذا نوّه لهما بنيّته الزواج عليهما، قد تهدّا الحالة بينهما، وقد أخذت هذه الفِكرة على تفكيره وجعلت تكبر وتكبر قناعته بها، حتى أخذ يتصور ما سيؤول إليه من السعادة وراحة البال.. لكن

ذلك كان وبالاً عليه. ذلك أنّه فيما كان يغطّ في نومه، رأي فيما يراه النائم أنّه تزوج من جديد، وأنّه تخلّص من زوجه أم مستو التي لم تعد في نظره نافعة لنافعة كزوجة له، وبالتالي تخلّص من سعاد زوجه الثانية الطويلة التي مثل عصاية طقّي.

فلما سمعتا ذلك منه، ما كان من كلّ منهما إلاّ أن انهالت عليه ضرباً ورشقاً بالأحذية وبكل ما يصل إلى يد كل منهما، ومن ثم طردتاه من البيت وأنذرتاه بأن لا يعود إليه ثانية!!.

١٠- جنان أيام الباذنجان:

كان الأكابرليّة المتواجدون في جناح القصر من المقهى على شبه قناعة بعدم مسؤوليّة أبي عمر في وضع أبي مستو لأنّه هو الذي جنى على نفسه. لكن أبو العزّ كانت لديه رغبة في أن يعمل بأبي عمر مقلباً، فابتدر أبي عمر بقوله:

- **أبو العزّ:** وهلاًّ يا أبو عمر، شو رأيك تقوم تنقرلك شي زواجة على أم عمر إسمنّها أيّام الباذنجان والجنان فيها ماشي هذه الأيام. وإلك عليّ أني خلّي إختك أم العز تبردخ لك الوضع مع أم عمر؟!!. بعدين أبو عمر، لا يكون لك همّ من ناحية الكلفة، أنا بكفل إنّه الكبارية بيعملوا لك العرس والتلبيسة وثبت الملبّس، وكمان العراضة.. وهه إسمنّه أبو الروض إجا لحا خليّه يغنّي لك بالعرس كشّة (ببلاش) مليح هيك!! زواجه ببلاش.. لو صحّت لجدّك ما مات.

طلب أبو عمر من أبي العزّ بأن يحلّ عن ياقته، وهوّ بألف خير من الله، لأنّه لحا يضّل على عنزته العرجاء وماشي الحال. أيّد أبو الروض أبا عمر في رأيه، وهذا الموقف ليس بسبب عدم رغبته بالغناء بعرس أبي عمر، وإنّما لأن أبي عمر غير متحمّل البهدلة التي حلّت بأبي مستو. لكن أبو العزّ

ظلّ مصرّاً على رغبته بزواج أبي عمر، لأن ذلك سيجعل أبو عمر يلبس عقله بالمقلوب، وبالتالي يرتاح كلّ منهما من الآخر[٥]!!..

١١ - محطة طرب:

رغب أبو دياب إلى أبي الروض، أن يلطّف الجو بين أبي العزّ وأبي عمر بأغنية تريح أعصاب الجميع، أبدى أبو الروض رغبته في تقديم أغنية من نشوة الماضي قلّ تداولها في هذه الأيام، وقد بدأ أبو الروض بموال اتبعه تلك الأغنية.

- أبو رياض:

هيهات يا بو الزّلف عيني يا موليّا.

الله أكبر على من زغــرغ النيّـــة.

يشرب حصانك هنا ولو عكّر الميّة.

ردد الجميع الموّال مع أبي الروض ثم طلع أبو رياض بالأغنية التي مطلعها: برده برده:

- أبو رياض:

بــــــردُه يُــــــمّ بــــــردُه   لاوي راســـه مـــن بـــردُه.

يــــا حبيبـــــي يــــا نـــايم   فـــــتّح ورد الجنـــــاين..

صـــار لـــي سـنتين هـــايم   علـــى بوســـة مـــن خـــدّه.

الجميع:

بــــــردُه يُــــــمّ بــــــردُه   لاوي راســـه مـــن بـــردُه.

- أبو رياض:

كشّفتيني غطّيتيني يَمّ بردُه

يــــا حبيبـــي شـــو بتريــــد   بيني وبينك ما فـــي بعيــد.

الجميع:

بـــــــردُه يُـــــمّ بــــــردُه   لاوي راســـه مـــن بـــردُه.

- أبو رياض:

يــــا حبيبـــي شـــوف كيفـــك   والليلــــة أنـــا ضـــــيفك.

كـــــــشّفتيني غطّيتينــــــــي   يُـــمّ حـــوح مـــن بـــردُه.

الجميع:

بـــــــردُه يُـــــمّ بــــــردُه   لاوي راســـه مـــن بـــردُه.

ما إن انتهى أبو رياض من تقديم الأغنية حتى بادر أبو عجاج إلى سؤال أبي رياض عن ما إذا كانت الأغنية التي يرددها أبو مستو هي نفس الأغنية التي قدمها أبو رياض، فسارع أبو رياض إلى نفي ذلك بقوله:

- **أبو رياض:** شو جاب لجاب.. أبو مستو الله يعافي لنا إياه كان عم يحكي عن وجعه مع نسوانه، والأغنية التي غنّيتها لكم هي من نشوة الماضي.. إه.. الله يرحم أهل أول.

تدخل أبو العزّ وتوجه بالكلام إلى أبي عمر:

- **أبو العزّ:** هلاًّ يا جماعة مو شي بيحيّر.. شلون هالمنظوم أبو عمر بيسفط بجاره أبو مستو، وبيرميه هيك رمية!!..

- **أبو عمر:** شو رجعنا أبو العزّ.. خلصنا بآ.. لك ما صار الحكي إنه أنا ما دخلت ولا خرجت بالشي يللي صار مع أبي مستو؟!! وهلأّ إنت ما عاد خصّك.. طلاع منها وارفع ايدك من يلّلي صار مع أبي مستو.

- **أبو العزّ:** شلون يعني؟!! هيك ما بيصير!!.

عرض أبو عجاج على أبي عمر أن يخلّصه من تدخّل أبي العزّ. وجد أبو عمر في عرض أبي عجاج طوق نجاة. لكنّ أبو العزّ لم يُعير ذلك التفاتاً. فقال له أبو عجاج:

- **أبو عجاج:** أخي أبو العز هالمسبحة بينك وبين أبو عمر بدنا نفرطها ومنشان تكون رايق، أخوك أبو عمر بدّه يبيضّها معك ومع الحاضرين، ولحا يوصّي لنا صهره على أكلة تماري وكعك نحلّي ضرسنا فيها هون.. بآ كرمال الحاضرين لا تردّ لنا هالطلب.. وهيّ أبو عمر لحا يقوم يبوس شواربك.. لأنّه نحنا كلنا همشريّة وأخوات، وما حدا منّا بيسفط بالثاني!!.

وافق الجميع على فكرة أبي عجاج، الذي سرعان ما قال لأبي عمر:

- **أبو عجاج:** اي سيدي.. أبو عمر مدّ إيدك على عبّك لحتّى ربّك يحبّك!! بالله هات لنشوف شندي.. ناولني فوّاشة حقّ التماري والكعك.. هيك أحسن.. يا لله ما بدها حوّصتي لوّصتي!!.

وبعد اللتا والتيّا بين أبي عجاج وأبي عمر، أخرج أبو عمر كيس الدراهم من عبّه ودفع لأبي عجاج دفعة عالحساب.

إنفضّ الجميع من جناح القصر بالمقهى على أمل اللّقاء في اليوم التالي، وبينما كان عبّودة ينظف المكان عثر على كيس دراهم أبا عمر تحت كرسيّ.. إنمزع عقل عبّودة بذلك وشرع ينط فرحاً وهو يقول ويعانق كيس الدراهم ويقبّله[٦].

١٢- يلّلي بده يعمل جمّال:

- **عبّودة:** شو يابي!!. مصاري.. والله مصاري.. آه يا دين النبيّ.. مصاري.. إجت والله جابها مصاري.. وهي تسوكرت الجوازة. لك يا ناس صار معي مصاري.. فُرجت.. يا ما انت كريم يا رب.

ويا ام العيون اللوّيزة دبحي قلبي بقزارة.

هِهْ.. هِهْ.. يابا.. هَهْ.

والصدر ناصب بستنة والخدّ إله غمّيزة.

يا أم العيون اللّويزة.

لحظ أبو العزّ عبّودة، حاول عبودة إخفاء كيس الدراهم لكن أبو العز نصحه بردّ الكيس إلى صاحبه أبا عمر، خوفاً من يتهمه أبو عمر بأمور ليست بالحسبان، وذلك على أمل أن ينال عبّودة إكرامية من أبي عمر.

التأم شمل الكبارية في جناح القصر من المقهى، ولم يحضر أبو عمر، فلعب الفأر في العبّ كما يقولون، فأخذ كل من الحضور يؤوّل عدم حضور أبي عمر. أما أبو العز فقد كان على نحو آخر، فكيس دراهم أبا عمر معه، والجميع سيأكل التمرية والكعك، ثم توجه إلى الحضور بقوله:

- **أبو العز:** يا جماعة أكل التمرية والكعك اليوم لوجع الرأس، لأن هذه التمرية والكعك من مال خسيس حنتيت، وهذه التمريّة والكعك ستكون أكثر لذة بحضور أبي عمر وخلّيها تطقّ مرارته!!..

وفيما كان الكبارية في ذلك يأتي أبو عمر إلى المقهى، ويسأل عبّودة عن ما إذا وجد كيس دراهمه، لكن عبودة لم يعره التفاتاً، فتوجه أبو عمر إلى جناح القصر بالمقهى، وعمد إلى شكوى فقدانه كيس دراهمه، ثم طلب إلى أبي عجاج أنّ يسلّفه بعض المال ليحاسب الزبون الذي تركه على كرسي الحلاقة، ضحك الجميع من طلبه، حتّى أنّ منهم من فسّر ذلك إنما هو ليس أكثر من استرداد لما دفعه كسلفة للتمرية والكعك.

تدخل أبو العزّ، وقال لأبي عمر:

- **أبو العزّ**: ولا على بالك أخي أبو عمر.. أنا أخوك وبأمرك من المائة للألف.. الجماعة انت عازمهم، وأنا رقبتي سدّادة.. يا إمّا قول إنك ناوي تملص وبدك تفركها من الناس يللي عازمهم!!.

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر**: لآ أخي أبو العزّ لآ، لا يكون لك فكرة.. راجع.. راجع بس خلّيني خلص حلاقة هالزبون.

ثم التفت إلى أبي عجاج قائلاً:

- قوام أخي أبو عجاج شو معك عطيني لحتى فكّ حالي وإجي.. بسّ بيني وبينك أخي أبو عجاج يعني شو بدّي قول.. يعني مثل مالك شايف صاروا دبساتي مراق.. وبمعرفتك.. شي منّه ولا كلّه من التماري والكعك.. هيّة تحلاية.. مو أكلة يشبعة. يعني بنور الله!!.

أجاب أبو عجاج بأن هذا عيب لأن يلّلي بدّه يعمل جمّال بدّه يعلي باب دار، والواحد إما إن يفتح بابه ويفتخر، وإما أن يغلقه وينستر.

ولما سأل أبو دياب أبا العزّ عن ما إذا كان لا يزال عند عزمه بدعم أبي عمر، أكّد أبو العز دعمه لأبي عمر ولكن على مبدأ المثل القائل: عدس بترابه وكل شيء بحسابه. وذلك حتّى لا يكون لأبي عمر أية حجّة ويعمل لأبي العزّ بالرز بصل!!.

اضطر أبو عمر إلى المسايرة وقال وهو يحدث نفسه:

- **أبو عمر**: شو بدّه يعمل الواحد، قال: إذا تتاكل زادك رحّب عليه، وهيّ ليلة بإمكاري.

وأقسم في نفسه: والله لطالعها من عيونكم عامص، وبدّي خلّيك يا أبو العزّ تبطّل تفوت هيك فوتات وتعمل كثرة غلبة.

طلب أبو دياب إلى أبي العز أن يمسك حساب عزيمة أبو عمر.

لكن أبو عمر قال: إنها ليست حرزانة، الشغلة كلها بضع أقراص من التمرية والكعك وصلّى الله وبارك. أجابه أبو دياب:

- **أبو دياب**: لَهْ يا أبو عمر، يعني ما بدّك تقدم للجماعة كاسة شاي مع التمرية والكعك.. وإذا إجا على بال الواحد شي نفس أركيلة. بدّك تقول له بلاها؟!!. عيب والله عيب.. لك أخي صارت وصارت.. وما بيغلى غالغوالي غالي!!.

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر**: أي أخي أبو دياب مثل ما بدك.. مثل ما بدك.

ثم يحدث نفسه..

هي آخرتها يا أبو عمر.. إه شو عليه.. هَيّ آخرتها؟!! بدهن يعلّموا عليك هالسلتجيّة.. إي والله لطالعها من عيونهم عامص.. والله لبزّقهم الدّم.. لكان شو؟!! أنا أبو عمر.. لحمي قاسي وبعيدة عن سنانهم(٧).

١٣- واسطة خير:

وحتى لا يكون تناول التمريّة والكعك، ملفتاً لأنظار روّاد المقهى، اقترح أبو دياب أن يلتقي الجميع في القسم البراني (جناح الضيوف) من داره في اليوم التالي على أن يكون أبو عمر متكفّلاً بما يلزم لذلك..

لدى خروج أبو دياب (المختار) من المقهى اعترضت طريقه أم مستو وضرّتها أخذت كل منهما تتوسّل إليه وترجوه أن يصلح بينهما وبين زوجهما أبا مستو، حيث إنّه خرج من بيته مقهوراً، ولم يكن لهما القصد في ذلك، لقد كانت فورة زعل منهما، وقد عادتا الآن إلى رشدهما، وأردفتا ذلك بقولهما:

- **الزوجتان:** ما إلنا (ليس لنا) غيرك يا مختار، قاصدين الله وقاصدينك. ونحن من هلأ من إيدك هَيّ لإيدك هَيّ، وأنا وإياها صرنا سمن على عسل، وما لحا نخلّيه يزعل منّا منوب منوب!!.

طلب أبو دياب إليهما الانتظار عنده بالبيت، وأرسل إلى أبي راشد بأن يحضر أبو مستو معه إلى عزيمة التماري والكعك..

بعد أن التأم الجمع في القسم البراني من دار المختار أبو دياب، طلب المختار إلى أبي مستو أن يجلس إلى جواره، ثم أخذ يقارب له ويباعد حول ما كان من أمر تصرف زوجتيه معه، ويبيّن له كيف أن زواجه جعل أم مستو تشعر بالإهانة في بيتها حتى إنّها لم تعد ترى نفسها في بيتها أكثر من طرطورة، كما أن زوجته الثانية (سعاد) لمّا سمعته يقول أنه سيتزوج عليها لم تستطع أن تتحمل ذلك، ولو كان قوله ذلك في منامه (وهو نائم).. فلما شعر أبو دياب أن أبو مستو لا يحقد على أيّ من زوجتيه. أخبره أبو دياب أن زوجتيه عنده وقد اتيتا إليه بالمقهى وفي المخترة ووعدتاه أن تكونا طوع أمره وأن تكونان معه مثل السمن والعسل، ولن تعودا إلى البيت ما لم يكون زوجهما معهما. وأتبع أبو دياب قوله لأبي مستو:

- **أبو دياب:** بآ.. نحنا يا أبو مستو أملنا كبير أن لا تكسر بخاطرهما.. الله يجبر بخاطرك.

فما كان من أبي مستو إلاّ أن قال:

- **أبو مستو:** والله يا جماعة ما خلّيتوا لي حكي.. أنتم أهلي وعزوتي ويلّلي بتفصّلوه لحا إلبسه..

- **أبو دياب:** يحرز دين البطن يلّلي لمّك، بتضلّ أبو مستو المعدّل يلّلي منعرفه.

وعندئذ طلب أبو عجاج من أبي الروض أن يقول لهم شي نهفة أو يغني لهم أي طقطوقة من يلّلي بباله.

استجاب أبو رياض للجماعة بتقديم مقطوعة الضراير التي كان يقولها عبده المسحر بعد الإفطار:

١٤- ضراير أبو رياض:

عالـــــــضراير والربّـــــــة   ربّــوا علـــى قلبـــي الدبلـــة

من جـــورهم بعـــت الطبلـــة   وصـــفّيت حـــافي وعريـــان

لمـــا الـــضراير كـــادوني   ومن بعــد عــزّي هــانوني

وشلوطوا ذقني بالنار

لمـــا العتيقـــة الكـــرارة   يلّلي صوتها مـــلاة الحـــارة

لمـــا الجديـــدة بجـــدّتها   لمـــا يتفـــرش فرشـــتها..

هيّ الوزير وأنا السلطان

ما أن انتهى أبو رياض من تقديم مقطوعة الضراير، حتى سارع أبو دياب إلى دعوة الحضور إلى تناول التمريّة والكعك. استغرب أبو عمر ذلك وقال:

- **أبو عمر**: من وين (أين) إجت التمرية والكعك؟!!.

- **أبو العزّ**: أبو عمر!!. ألاعيبك مو علينا.. هادا بزّك، وإذا قلت لصهرك يفركها من الوشّ، لحتى ما نقول له يعمل لنا التماري والكعك.. بالبلد ما في أكثر من يلّلي بيعمل التماري والكعك.

ثم يخاطب أبو دياب:

خود أخي أبو دياب هادا جزدان المنظوم (أبوعمر) شوفوا شو دفعتوا.. وخليه يعرف إن الله حق!!.. ولحا قول لك يا أبو عمر، هَيّ العملة (النقود) وسخ الدنية وعمرها ما خلّت واحد يوطّي راسه منشانها.

- **أبو دياب:** له يا أبو العزّ.. انت ما بتريدها الجماعة دايسين بساطي والتمريّة والكعك على أخوكم أبو دياب.. يا الله يا جماعة قرّبوا بحبّ النبّي والأكل على قدر المحبّة.. وانت يا أبو عمر خود كيس المصاري تبعك.. بس لا تنسى عبّودة لأنّه هو اللّي لقا لك الكيس.

الحواشي والإيضاحات:

١ - يلّلي: الذي. رأس الحارة: بدايتها. النّعم: من النوع العال، الجيد. السبع تنعام: غير جدير بالاحترام. هالمرّة: هذه المرّة. لحا: سوف. منشان: كرامة. شو: ماذا. المصلّبة: ساحة الحيّ. الألماسية: حليب مطهوّ بالنشاء والسكر. الإذنّامة: الإذن بالزواج، أو الموافقة. المستورة: أرادوا العروس. هلأّ: الآن. كرمال: إكراماً. نقوط: هدية. هون: هنا. ما عطيتها: أرادوا: زوجتها.

٢ - باله: فكره. هيك: هكذا. شلون: كيف. العشا خبيز: كناية عن عدم الرخاه. بسّ: لكنّ. السكافي: الإسكافيّ. ينقر زواجة: يتزوّج. مرته: زوجه. شروي غروي: كلام لا طائل منه. يشوبر: يحرك يداه على غير هدى. مو حلوة: كفاية. حاج: كفاية. ليش: لأي شيء، لماذا. وين: ابن.

٣ - يهلوس: يهذي. الدوزان: التركيز. علبة مكّي: الماكياج. يزن: يقول ويكرّر. هاد: هذا. لا شوكة ولا دبّاحة: كناية عن المسالمة في السلوك والتعامل. المكلمدان: المتفاصح. مخستكة: من الخستخانة وهي المشفى، عنوا بذلك كونها مريضة.

٤ - خرمان عليك: ناقم. كندرة: حذاء نسائي. قهرمانية: عجوز. يخلّي الطابق مستوراً: عدم الرغبة في بحث الموضوع. خود: خذّ. متطهمز: مصمود على الأرائك. قراقيط: أطراف. تقبشني: مقولة تحبّب. تشكل آسي: الآس: نبات حرجي تستخدم أغصانه لتزيين القبور. إجريه: قدميه. سأسلة: مبالغة بالعطور والمساحيق. قش دقنه: حلقها. دروشته: بساطته.

٥ - هَيّ: هذه. مين: مَنْ. العصاية طقّي: كناية عن الطوال بلا جمال أو صحّة. لهلوبة زمانها: ناشطة. بين السفاقين: بين نارين. تتقرلك: تقوم بـــ:. اسمنّها: طالما. أيام الباذنجان: عنوا بذلك قلّة أو خفّة العقل. خلّي:

إجعل. تبردخ الوضع: تجعله مقبولاً. الكلفة: النفقات. كمان: أيضاً. يحلّ عن ياقته: يتركه وشأنه. عنزته العرجاء: أرادوا زوجه. يلبس عقله بالمقلوب: يُصاب بمسّ في عقله.

٦ - شو جاب: الفارق كبير. نشوة الماضي: أيام زمان. مو شي: أليس شيئاً. شلون: كيف. رمية: مصيبة. ما دخلت ولا خرجت: ليس لي دخل أو شأن. طلاع منها: أرادوا ارفع يدك ولا تتدخل. ما عاد خصّك: ليس لك دخل. مدّ إيدك على عبّك: سارع بدفع ما ترتّب عليك من نقود. همشرية: اناس تآخوا بالدم فيما بينهم، بأن يجرح كل واحد منهم يده ويضع جرح يده على جرح يد الآخر، فهم في ذلك إخوة على السرّاء والضرّاء. شندي: على الحارك وبسرعة. فوّاشة: قطعة نقد ذات قيمة، قد تكون مائة ليرة سورية. التماري: نوع من الخبز المحلّى بالدبس. حوّصتي لوّصتي: زوغان. انمزع عقل: شده.

٧ - إجت: أتت. تسوكرت: توفرت. لعب الفار في العب: ساورته الشكوك. قوام: أسرع. دبساته مراق: في ضيق مالي. شي منّه ولا كلّه: طلب عدم الإسراف. بنور الله: أرادوا عدم التبذير. مو: ليست. يعمل بالرّز بصل: يختلق المبررات للتخلّص. ليلة يامكاري: حال ضيق وتنقضي. طالع من عيونه عامص: أحسن الاقتصاص منه. ليست حرزانة: لا تستحقّ. السلتجية: الطفيليون.

٨ - من إيدك لإيدك: طوع بنانك. منوب: بتاتاً. يقارب ويباعد: يحاول الخوض في الموضوع. طرطورة: لا قيمة لها. بتفصلوه يلبسه: يوافق على كل شيء. نهفة: طرفة. الدبله: الملل والقرف. الكرّارة: الحكي بلا طائل. ملاة: مليء. هاد بزّك: ارادوا أن لا تكون ألاعيبه عليهم. الوش: الوجه. لقا: لقي.

٤- الطمع.. والجشع..

١ - مأساة أعمى.

٢ - السعي وراء الرزق.

٣ - جراب الكردي.

٤ - مع حمدي السمان.

٥ - الله أعلم بالسرائر.

٦ - بعد الكبرة جبّة حمراء.

٧ - التمرتينا أبو عمر.

٨ - حكاية ملك ووزير.

٩ - خناقة بين أعمى وأطرش.

١٠ - مصائب قوم عند قوم فوائد.

١١ - الصلح سيّد الأحكام.

١٢ - مرب الأب ما بتتحبّ.

١٣ - لحم السير عالقبقاب.

١٤ - الزبون القشق.

١٥ - ختامها أغنية.

الشخوص المشاركة:

١ - الكبارية: أبو دياب، أبو راشد، أو أحمد، أبو فياض، أبو العزّ، وأبو عجاج.

٢ - محمود الضرير والبرديسي الأطرش.

٣ - أبو عمر الحلاق.

٤ - عبودة صانع المقهى.

٥ - أبو الخير الخياط.

٦ - حمدي السمان.

٧ - الملك ووزيره.

٨ - ديبو الفجعان.

٤- الطمع.. والجشع..

١- مأساة أعمى:

لم يكن محمود مصاباً بالعمى، كان كغيره من انداده الفتيان على نحو من الإلفة والتحابّ والتعايش مع أقرانه، في دارة الخوجة ومن ثم في مكتب الشيخ إبراهيم، يتعلم مبادئ القراءة والكتابة.. حتى.. كان من أهمّ ما تميز به في هذه السن اعتداده بنفسه وحبّه أن يكون ملفتاً للأنظار، كأن يكون عريفاً على أنداده بالمكتب، أكان ذلك في الفصل أم في باحة المكتب. وكان على قلّة ذات يده، يعيش في بحبوحة بما يقدمه من خدمات لأصحاب دكاكين حارته وما جاورها. على ما كان عليه والده من حرص على القرش، وتشوّق إلى كنزه ومن ثم تحويله إلى ليرات ذهبية. فكان ذلك الأب إذا توفرت لديه الليرة يعمد إلى إدّخارها بقوله:

- إقعدي فوق إخواتك وسمّعيني رنّاتك.

أما متطلبات البيت من مأكل ومشرب وملبس فلم تكن في حسبان أبي محمود، ويمكن تداركها بما قلّ ودلّ، كونها ليست أكثر من حشو مصران وتلاؤم مع حر الصيف وقرّ الشتاء بأقل ما يمكن من النّفقات.

ولم يكن في قاموسه شيئاً اسمه المرض وما يتطلّبه من علاج أو دواء، فلا يموت إلاّ من خلص عمره.. حتّى أنّه عندما أصيب ابنه محمود بالجدري اعتبر ذلك أمراً عادياً، لأن جميع الناس يصابون بالجدري ويتعافون.. ولا ضير في ذلك. فلما فقد ابنه محمود نظره بسبب ذلك الجدري، قال: هيك الله كاتب. وإن تألّم لذلك آنياً.. فالمكتوب ما منّه مهروب!!.

ولما توفيت والدة محمود، ما كان لأبي محمود إلاّ أن تزوج ثانية، وكان نصيب محمود من زوجة والده السمّ والدّم، وبخاصة بعد أن أصبح له أخوة منها.

٢- السعي وراء الرزق:

كان على محمود أن يسرح طوال يومه، ليقدّم لوالده ما قد يحصل عليه من مال، لقاء إيوائه وإطعامه. كان يساعده في الحصول على المال بما كان عليه من معرفة بأصحاب المحالّ التي تشغل المصلّبة التي يتفرّع عنها سوق حي الشاغور إلى باب الحديد وشارع البدوي. وجامع السروجي والمزّاز فالقراونة. فضلاً عن ذلك قد يضطر إلى البحث عن رزقه في الأسواق المجاورة، كسوق البزوريّة ومدحت باشا ومئذنة الشحم حسب ما تقتضيه الحال. لأنّه في جميع الحالات لا يهدأ له بال ولا يرتاح له كعب ما لم يحصل على ما يتوجب عليه دفعه من مال يقدمه لخالته زوج أبيه أو إلى والده إذا اقتضى الحال.

انطلق محمود كعادته وهو يدندن ما كان سمعه من عيده مسحّر الحارة عن البخيل:

قالوا البخيل مات.. قلنا استراح منه الحـــيّ.

كـم خـزوة بالدنيـــة عملهـا وهــو حــيّ.

يـــستاهل الكـــيّ بالنـــار وهـــو حـــيّ.

يلّلي ما عمل خيــر بالدنيـــة وهــو حــيّ.

فإذا بعبودة صانع المقهى يبتدره بقوله:

- **عبودة:** طوّل بالك محمود شبنا يا فتاح يا عليم؟!!.

- **محمود:** هادا انت ولا عبودة.. الله لا كان جاب الغلاء، شو عمّ تساوي هون؟!! وليش مالك بالقهوة.. آ.. ضارب مقصّ مو هيك؟!!. ولي على بدنك على هالعادة ما بتبطّلها.. مو هيك؟!. يا الله ارجاع على شغلك لك محورق.

- تابع محمود قوله عن البخيل وقد تجمّع حوله بعض المارّة:

القبر قـــال للبخيـــل اوحـــشتني يـــا جـــار.

لازم أضمّ عظامك، كما ضمّ الحديـــد بالنـــار.

بكـــرة تقـــوم قيامـــة وينتـــصب ميـــزان.

يبقى المـــوفّي معـــدّي والبخيـــل غرقـــان.

صفق لمحمود من حوله، وشاركهم في ذلك أصحاب المحال القريبة منه، ذلك أنّ بين محمود وأصحاب محال السوق وحدة حال كما يقولون، وهو عندما يقف أمام أحد هذه المحال على ثقة أنّه سينال من صاحبه بعض المال، وكان أكثر ما يغيظه التلكّؤ في منحه ما تسمح به نفس صاحب هذه الدكان أو تلك، أو التهرب من ذلك بشتى السّبل التي لم تكن خافية على محمود.

توقّف محمود أمام دكان أبو الخير الخياط، تلمّس مدخل الدّكان وهو يقول:

- **محمود:** أبو الخير.. لِك أبو الخير.. ليش مالك عمّ تردّ.. أنا بعرف إنّك بالدكان بلا شغل دواوين.. يا الله تحكوك ومدّ إيدك على عبّك وخلّي الله يحبّك.

يُعطي الأجير محمود مبلغاً من المال، يُمسكه محمود ثم يقلّبه ويقول:

- ٩٥-

- **محمود:** شو هي خيرو.. ربعيّة.. ردّها على جوعتك.. أنا بدّي اليوم ونّة. بدّي ونّة بشحمها ولحمها.. يا الله تحكوك بلا طيلسة!!. عم تضحك مو هيك!! أنا عرفان إنك هون.. ولي على بدنك(١)..

- **أبو الخير:** يخرب بيت سنتك.. شو عرّفك إنّي هون، خود وهي ونّة، مليح هيك.. بسّ ادعي لي.

- **محمود:** من ريحتك المعتّة عرفت إنّك هون، لأنك ما بتجي غير بالرّص.. لك يا منظوم مدام لحا تدفع ليش ما دفعت من الأوّل وبلا لك هالبهدلة!!. يمّا بدنك عم ياكلك.. تجيك دفشة عالفرشة!!..

- **أبو الخير:** أنت بتعرف ليش ما دفعت بالأول؟. لأنّي بحبّ اسمع حكياتك ومنشان تدعي لي.

- **محمود:** لكان سمعنا الفاتحة عن روح أبوك.. الله يرحمه كان أحسن منّك الله يجعل مأواه الجنّة.. بسّ وينك، أنا لحا أول لك ليش الواحد بيدفع.. أو ما بيدفع. لأن الشغلة بإيد ربّك، هوّ يلّلي بيألهم الواحد لحتّى يدفع أو ما يدفع ونيّال فاعل الخير عند الله..

٣- جراب الكردي:

غادر محمود دكان أبو الخير متوجهاً نحو دكان أبو عمر الحلاق، وهو على يقين أنّ أبو عمر ما منّه شيء، ودخّانه بيعمي.. لكن محمود فوجئ بأنّ أبا عمر يلوم أبو الخير على دفعه لمحمود ما دفعه، لما في ذلك مع تزايد طمع محمود فلا يعود يقنع باليسير. كان رد أبو الخير لأبي عمر مقحماً، فقد أخبره بأن محمود هذا لم يكن ضريراً.. وهو رفيقه منذ الطفولة وبيته لصيق بيت أهله.. والمسكين لولا الجدري ما كان عمي، وتابع أبو الخير قوله:

- **أبو الخير:** بآ يا أبو عمر الله يكون بعون محمود.. وإدعي لربّك يلطف فينا ويستر آخرتنا. لأنّه ما حدا حاطط على راسه خيمة.. يمّا أنا غلطان؟!!..

تجاوز محمود دكان أبي عمر الحلاق إلى دكان حمدي السّمان الذي كان في شغل شاغل عن محمود، حتى أنه لم يشعر بوجوده لكثرة ما أمام دكانه من الزبائن، وكل منهم في عجلة من أمره.. فدكان حمدي مثل جراب الكردي كما يقولون. ذلك أنّه لا يكاد يخطر على بال المرء حاجة إلاّ ويجدها متوفرة في دكان حمدي السمان (البقّال)، فهذا يطلب اللبن وهذه تريد إشنان، وأخرى نيلة مع قطعّه من الشبّة، وتلك رغبتها بالكشكة اليابسة، وحمدي في هذا كله لا يتوانى عن تلبية طلبات الجميع برحابة صدر ويُسر حتى لكأنه يلبي الجميع في آنٍ واحد، وهو في ذلك لا يكفّ عن تقديم النصائح كلّما تطلّب ذلك. كأن يسأل من يريد اللّبن، أكان اللبن الذي يريده للطهي أم لاستعمال آخر، فاللّبن المراد تناوله أو استخدامه في الأمور العادية، يكون من النوع المعروف بالجوبراني، ولبن الطبخ من نوع آخر أكثر دسماً. وفي ضوء ذلك يعطي اللبن لطالبه. ويوصي المرأة التي تطلب الإشنان، بالمسارعة إلى شراء كمية من صابون مميز من إنتاج معمل الايتوني على سبيل المثال، وقد يرشدها إلى معمل صابون سيفيض عنه مادة الميلطون الضروري للجلي أو التنظيف. وقد يقدّم لمن تطلب النيلة للغسيل قطعة من الكلس لوضعها في الماء ومن ثمّ أخذ رائق ذلك الماء للغسيل الأبيض، كونه يزيد في نصاعة ذلك الغسيل.. أو أن يقول لمن يريد الكشكة اليابسة أن يأتي إليه بعد بضعة أيام حيث يتوفر لديه الكشكة البيتيّة الجيدة[٢]...

وهو في ذلك يُعطي الأولوية للأولاد والنّساء، وبالطبع لا غضاضة في ذلك لدى الزّبن الآخرين، بل إن ذلك أحلى على قلب كل منهم من السكّر. فقد تكون تلك المرأة أو ذلك الولد في ذات مرّة أحد ذويه.

لم يكد حمدي ينتهي مما هو فيه، ويخفّ عنه زبنه حتى كان أبو راشد يلقي عليه السلام، رحّب حمدي بأبي راشد، لكنّ هذا قال له لا مجال للترحيب

الآن، فالدكان باب رزق، ولكنه أحبّ أن يعزمه على كشكات وبرغلات بيتيّات ظراف.. ثم أعقب ذلك بقوله:

- **أبو راشد:** إذا على بالك لا تحرم حالك.. شي يبيّض الوجه..

شكر حمدي هذه الاستفقادة من أبي راشد على أن يوافيه بعد صلاة عصر ذلك اليوم.

٤ - مع حمدي السمان:

كان محمود قد وصل إلى دكان حمدي وهو يُشوبِر بكلتا يديه ويبرطم استياء من ما سمعه من أبي عمر. فلما لحظه حمدي سأله ما إذا قد أحضر معه وعاء للزيت الذي وعده به، أجاب محمود أنه يريد نصفية (نصف ليرة) خرجاً ناشفاً، أجابه حمدي بقوله:

- **حمدي:** مو تكرم.. وهي النصيّة منشانك بس هَهْ!!.

أجابه محمود بأن هذه النصيّة ليست له، وإذا كان عنده رزقة منشانه، الله وإيده. أخبره حمدي بأنّه يريد أن يوصل كيس سكر إلى دار أبي ممدوح بالدقّاقين، أصرّ محمود أنّ يوصل الكيس بنفسه.

حاول حمدي أن يثني محمود عن ذلك، لكنّ ذلك لم يجد، رغم تدخل أبو راشد.. تعلّل محمود بإصراره على توصيل الكيس إنما هو نكاية بحمدي الذي لم يعيره التفاتاً وهو على مقربة من دكانه. فقد ترك حمدي محمود ملطوعاً أمام الدكان، رغم ما كان يقوم به ليلفت إنبتاه حمدي، حتى أنّه ناداه أكثر من مرّة ولكن دون جدوى. ومن ما قاله محمود في ذلك:

- **محمود:** ولك حمدي: ما لحا تسمع.. يمّا ضاربك الطّرَش.. إه.. شو عليه!! الله يعينك على آخرتك.. بقا عجبك عمى أبو راشد؟!!. الحقّ على مين؟ وإذا هالحمدي لحا يبقى هيك، بدّه قلبي يثقل عليه. يعني بدّه يحلب معي صافي، وإذا كبرانة البيتنجانة معه شي تاني!!.

هدّأ أبو راشد من حنق محمود على حمدي وأقنعه أن حمدي لم يكن يقصد ذلك، وطمأنه بأن كلّ شيء إلاّ خاطره. وعقّب على ذلك حمدي بقوله:

- **حمدي**: خلص محمود خلص!!.. ازرعها بذقني هذه المرّة.. أخطأنا ومنّك السماح.

انطلق محمود وكيس السكّر على كتفه، وهو يشقّ طريقه عبر طريق الدقاقين إلى دار أبي ممدوح، وهو يقول:

- **محمود**: يا معين يا الله.. أوعى.. أوعى الزيت.. أوعى الزيت طاطوت طاطوت.. خشب.. خشب أوعى الزيت.. بعّد أخوي!!.

كان أبو راشد تاجر حبوب، لكنّه يتعاطى بالكشكة والبرغل وأحياناً الجبن والبيض.. حسبما يُتاح له ذلك. والبرغل والكشك الذي دعا إليه أبو راشد حمدي السمان كان من مؤونة فائضة لدى أحد الفلاحين. وعندما قصد حمدي يابكة أو حاصل (مخزن) أبا راشد، كان أبو دياب المختار في ضيافة أبي راشد. وما أن جلس حمدي بينهما حتى قال له أبو راشد:

- **أبو راشد**: أشهد بالله إنك ابن حلال.. من شويّ كنّا بسيرة صاحبك محمود.

عقب على ذلك أبو دياب بأن محمود هذا عمّ يزيدها عالدكنجيّة، فأجابه حمدي بقوله:

- **حمدي**: هادا محمود ما في منّه!!.. الله يكون بعونه. المسكين برقبته همّ بيهدّ جبال. ويلّلي بيعرف بيعرف ويلّلي ما بيعرف بيقول كفّ عدس!!. كما يقول أهل أول.

ثم تابع حمدي قوله:

- **حمدي**: هالمحمود ما بيقدر يفوت عالبيت كل يوم إذا ما ناول خالته مرت (زوج) أبيه المعلوم. واليوم ما إله غير إجرة الكيس يلّلي ودّاه لبيت أبي ممدوح. بآ.. الله يكون بعونه.

عقب على ذلك أبو دياب بقوله:

- **أبو دياب**: اي والله، الله يكون بعونه.. ربّك كبير بيبلي وبيعين[٣]!!..

اطلّع حمدي على نمونة من البرغل الناعم والخشن، وعلى مثل ذلك من الكشك، وتأكّد أنّها من مؤونة السّنة ومن النوع الخارق، ونظراً لأنّ لا مجال للخجل في البيع والشراء، وحتّى لا يكون هنالك غبن للبائع أو المشتري، ولأن الله يبارك لكل من ربح وربّح، اتّفق أبو راشد مع حمدي على سعر الجملة لكل من البرغل والكشكة.

٥- اللّٰه أعلم بالسرائر:

عرّج حمدي في طريق عودته إلى دكانه، على دكان أبي عمر الحلاق، لقشّ ذقنه. دبق أبو عمر بحمدي عسى أن يرضى قص شعر رأسه لدى أبي عمر. لكنّ حمدي اكتفى بقشّ ذقنه، وخلال ذلك عمد أبو عمر إلى التقريع بمحمود الذي لم يعد يشبع، حتى أنّ نشاطه (تجواله) امتدّ إلى سوق مدحت باشا والبزوريّة ومئذنة الشّحم، وختم أبو عمر قوله عن محمود:

- **أبو عمر**: العمى بقلبه.. ما كان ناقصنا غير محمود!!..

لم يسكت حمدي على ما قاله أبو عمر بحقّ محمود فردّ على أبي عمر بحماس:

- **حمدي**: لك عمي حِلّ عن هالزلمة.. لسّا بتمسك واحد وبتترك واحد وعلى نجر بهالمسكين محمود!!. لك إتركه بحاله همّه بيكفيّه، الله يكون بعونه.

ولما استغرب أبو عمر قول حمدي.. تابع حمدي قوله:

- **حمدي**: أبو عمر سماع منّي هالكلمتين.. الناس إلها الظاهر والله أعلم بالسرائر.. وبسلامة عرفك حياة الناس أسرار، ومحمود يلّلي ما له معبّي عينك، وعمّ تنتف بريشه إذا ما جاب لخالته مرت أبوه كل يوم المبلغ المرقوم،

ما بتخلّيه يفوت عالبيت، وفوق هيك بدّه ياكل قتله من أبيه حتى لا تعكنّن عليه زوجه.

عمل أبو عمر من نفسه أنّه مقتنع بما قاله حمدي عن محمود فقال لحمدي:

- **أبو عمر**: لكان أخي أبو حميد خلّينا نقلب صفحة، بسّ يعني بدي قول لا حسيدة ولا ضيق عين، الله يهنّيك بها الدكان ما بها شي موهيك؟ بسم الله وما شاء الله عتبتها خضراء.

تعوذ حمدي من الشيطان الرّجيم مما قاله أبو عمر بشأن الدكان وكاد ينفجر غيظاً.. وما لبث أن قال لأبي عمر:

- **حمدي**: شوف أبو عمر الدكان ما لك فيها.. هَيّ باب رزق مو حكاية تتسلى فيها للفايت والطالع.

سارع أبو عمر إلى الاعتذار من حمدي قائلاً:

- **أبو عمر**: خلص.. خلص.. متل ما بتريد.. انبسطت؟!!.. كل شي إلاّ خاطرك ومنشان هيك لحا إحكي لك قصة بتعجبك.. قصة تازة مدوزنة!!..

اعتذر حمدي من أبي عمر بشتّى الأعذار كونه في عجلة من أمره. ردّ أبو عمر على حمدي بقوله:

- **أبو عمر**: لك أخي شو صاير عليك.. انبسط.. انبسط.. ما حدا آخذ منها شي ساعة إلك وساعة لربّك!!. وإزاء إصرار حمدي على رأيه قال له أبو عمر:

- **أبو عمر**: مو بإيدك ما لك بالطيّب نصيب.

٦- بعد الكبرة جبّة حمراء:

لم يعتاد أبو أحمد التخلّف أو التأخر عن موعد أو ارتباط، فقد اتفق مع أبي دياب على ملاقاته لزيارة أبي راشد في البايكة (مستودع الحبوب). ولما

تأخّر أبو أحمد عن الموعد سبقه أبو دياب وترك له إعلام بالمخترة بذلك. ولما لحق أبو أحمد بأبي دياب لعند أبي راشد ابتدره أبو دياب بالسؤال عن سبب تأخره. اعتذر أبو أحمد عن تأخره وعزا ذلك إلى أبي عمر. لكن أبو دياب لم يكن قانعاً بحجّة أبو أحمد. فقال ممازحاً:

- **أبو دياب:** والله يا عمّي الحقّ معك.. قال مكتوب على ورق الخيار.. يلّلي بيسهر بالليل بينام بالنهار.. بقا منين ما بدّك تنسى إنّك واعدني وتنسى الدنيا وما فيها. قال يلّلي بيصح لّه جبن الضرف بيغرف غرف!!. وعلى الدنيا السلام.. مو هيك بالله أبو راشد؟!!.

وافق أبو راشد على قول أبي دياب وهو يضحك، لكن أبو أحمد أنكر ذلك وقال بأن يا حسرة بعد ما هو عليه من تقدّم العمر. وأعقب ذلك بقوله:

- **أبو أحمد:** وكّل الله يا ابن الحلال، هاد يلّلي كان ناقصنا.. بعد الكبرة جبّة حمراء. لِك عمي أنا ما عدت خرج سهر.. قول يا رب الستره الله يستر آخرتنا(٤).

ضحك أبو دياب وأبو راشد وقال أبو دياب:

- **أبو دياب:** بسم الله حولك وحواليك حندق بندق وعين تشوفك وما تصلّي عالنبيّ (على قولِةْ النسوان) تطق وتنبق. وإذا كان هيك يا ريت المرا (المرأة) توضع لك بالجيبة شي صرّة ملح. وخرزة زرقاء من العين!!.

ضحك أبو أحمد من قول أبي دياب، وأقسم أنّ سبب تأخره إنما هو أبو عمر فضلاً عن خناقة محمود مع البرديسي.

٧- التمرتينا أبو عمر:

فقد مرّ أبو أحمد وهو بطريقه إليهم على دكان أبي عمر ليسلّم عليه، ولم يعرف كيف أدخله أبو عمر إلى دكّانه وجعله يجلس على كرسيّ

الحلاقة.. وهيهات هيهات لمن يستطيع التملّص من على كرسيّ حلاقة أبي عمر. أمسك أبو عمر بالمقصّ والمشط، سأله أبو أحمد ماذا يفعل، أخبره أبو عمر أنّه يُريد أن يهندز له شعره. لم يقبل أبو أحمد، لكن أبو عمر أقنعه بأنه سيحكي له حكاية خلنج وهي حكاية مرتبة ومدوزنة وإذا لم تعجبه فسيسامحه بإجرة الحلاقة وقشة الذقن. وقد كان سيحكيها لحمدي السمان لكنه ليس له بالطيّب نصيب. قال أبو أحمد لأبي عمر:

- **أبو أحمد:** يعني منشان نرمي عليك السلام فوّتتني على دكّانتك وقعّدتني عالكرسي وهلأّ بدك تهندز لي شعري.. بس بدّي إسألك مين قال لك بدّي إحلق؟!!.

أجابه أبو عمر:

- **أبو عمر:** إي عود (اقعد) عود، شو فيه وراك، خلّيني إحكي لك هالحكاية وما لحا تندم.

ما كان من أبي راشد إلاّ أن قال:

- **أبو راشد:** وهيك هالأفندي أبو عمر اسمّخ عليك ونزل بشعرك طالع نازل قرمطة.

قال أبو أحمد أنه لا يمزح وكل ما هنالك أنّ أبو عمر بلفه وما عاد قدر يقوم من على كرسي الحلاقة، لأن الفوتة لعند أبي عمر ليست مثل الخروج منها.. الواحد عنده بده يسمع ويدفع وإذا شرب عرقسوس بدّه يزيد الحلوان للأجير(٥). لك يخرب بيت سنته بيعلق بالواحد مثل التمرتينا.

- **أبو دياب:** وهيك يا أبو أحمد، انت قعدت على هالكرسي وغرقآن بالحكاية ومالك حاسس شو عم يعمل أبو عمر بشعرك طويل من هون قصير ومأرمط من هون. المهم عندك الحكاية مو هيك؟!!.

أجاب أبو أحمد ببرود:

- **أبو أحمد:** شوف أخي أبو دياب إذا جاية على بالك اليوم تحطّ حطايط أبو عمر. الزلمة، من عمره وأبا عن حبّه حلاّق، يمّا على أيامك صار كخّ وحلاّق قراضة!!.

حسم هذه المناقرة أبو راشد بأن يُترك أبو عمر ومعلمّيته بالحلاقة، وسأل أبا أحمد عن ما إذا كانت حكاية أبي عمر تستأهل أن يسمعها المرء، أجاب أبو أحمد:

- **أبو أحمد:** شوفوا يا جماعة، الشهادة لله الحكاية يلّلي (التي) حكاها أبو عمر ما عليها حكي وحرزانة الواحد يسمعها.. أبصر منين كايشها!!..

٨- حكاية ملك ووزير:

تشوق أبو دياب وأبو راشد إلى معرفة المزيد عن حكاية أبي عمر، فكان أن عمد أبو أحمد إلى ذكر موجز لتلك الحكاية التي تتلخص بوجود ملك ليس له دوزان وعقله شغل إيده. ولهذا الملك وزير يخاف الله ولا يتأخّر عن تقديم النّصح للملك كلّما تطلّب ذلك. ولذلك كان الملك يتضايق منه وينتظر الفرصة المناسبة للتخلّص منه. وبيوم جمع الملك أركان مملكته وطلب إليهم ذكر ما هو أنجس شيء في هذه الدنيا، فكان هذا بقول أنجس ما في الدنيا الخيانة، وهذا بقول الغش وآخر الكذب واللّوفكة وغيره يقول أن أنجس ما في هذه الدنيا هو دناءة النفس والافتراء والدسّ. لكن ذلك كله لم يعجب الملك. ولذلك سأل وزيره عن أنجس ما في هذه الدنيا، قال الوزير إذا لم يعجبك ما قالوه أمهلني بعض الوقت، فأعطى الملك وزيره ثلاثة أيام للإجابة على سؤاله أو يقطع رأسه.

خرج الوزير من مجلس الملك وهو على يقين بأنّ الملك يترصّد له ليخلص منه وأنه هالك لا محالة. ثم قال لعلّي إذا سرت في الفلاء أصل إلى

جواب للملك، وهكذا سار الوزير هائماً على وجهه لا يكاد يعرف إلى أين ستأخذه قدماه، وطول ما هو ماشي يترجّى الله أن يرشده إلى حلّ. وهيك ما شاف هالوزير حاله إلاّ أمام درويش هرم مصوفن يا دوبه يتعكّز على عصاه. قص الوزير للدرويش حكايته مع الملك. فسأله الدرويش:

- **الدرويش:** انت قاعد وزير، من أجل المال والجاه يمّا أنا غلطان؟!!..

فقال الوزير بالإيجاب، أخرج الدرويش من عبّه صرّة مملوءة بالمجوهرات واللؤلؤ والمرجان والياقوت، وقال للوزير: هدول أغلى من مملكة الملك تبعك وعندي مثلهن كنز، لكن صحتي لا تساعدني على إخراجه، وإذا بتساعدني يكون الكنز لي ولك النصف بالنصف، وشو بدّك بالملك!!..

قبل الوزير البقاء مع الدرويش لاستخراج الكنز وتقاسمه. لكن الدرويش اشترط على الوزير أن يأكل من لحم حمار مات مؤخراً أكله بشبعه حتى يقبل أن يدلّه على موضع الكنز.. احتار الوزير بين العودة إلى الملك ومواجهة قطع الرأس أو معصية الله وأكل لحم الحمار!!.. حدثت الوزير نفسه بأن ياكل من لحم الحمار لأنه لا أحد يراه.. ولما مدّ يده ليأكل أمسكها الدرويش وقال له: إذا ما حدا شايفك الله موجود وشايفك. قم روح لعند الملك وقول له ما حدث معك.. لأنّ هذا هو جواب سؤال الملك... وفي نفس الوقت أخبر الدرويش الوزير أنه ليس عنده كنز والمجوهرات التي رآها كلها مزيفة.

استمع الملك إلى ما حدث مع وزيره واستنتج من ذلك أن الدنيا إلى زوال ولا يبقى غير محبّة الناس وأن الطمع هو أسوأ شيء في هذه الدنيا، لأن الطمع يا ما كان سبباً في تخريب ممالك وانكسار جيوش.

وما لبث الملك أن قال للوزير: صدقت يا وزير، لأنك طول عمرك كنت على حقّ.. والله يلعن الشيطان يلّلي كان يخلّيني شوفك أنك طمعان بالعرش.

٩- خناقة بين أعمى وأطرش:

أعجب أبو دياب وأبو راشد بهذه القصة واستغربا أن يصدر عن حلاق مثل أبي عمر تلك القصة. لكن أبو دياب ما لبث أن قطع ذلك الاستغراب بسؤال أبا أحمد:

- **أبو دياب:** أي سيدي أبو أحمد، حلاقة وحلقت والحكاية وسمعتها بدنا نعرف ضريب محمود والبرديسي.. يمّا كنت غاطط هالناح وهالناح.. قول أبو أحمد قول بصراحة وما فيه حدا (أحد) غريب.. يعني بتعرف شيخ زنكي نحنا دافنينه سوا (سوية)[٦]!!..

أجاب أبو أحمد بقوله:

- **أبو أحمد:** خاف الله يا شيخ.. يمّا بدّك ياني بعد الكبرة جبّة حمرا. قول اللهم حسن الختام والله يجعلها عالإيمان!!. وأنّ كل ما في الأمر أنه بينما هو قادم إليهما عرّج في طريقه على أبي عكيد الجليلاتي سلّم عليه ثم جلس على المسطبة المقابلة للجامع بانتظار آذان العصر حتى يؤدي صلاة العصر وياتي إليهم. وكان محمود يجلس على المسطبة وإذا بالبرديسيّ قادم. دخل البرديسي ليتوضأ ثم خرج وجلس إلى جوار محمود. لكن محمود سرعان ما تناقر مع البرديسي. تصوّر أطرش وأعمى يتناقشان. لا هذا يفهم على هذا ولا هذا يرى ذاك، محمود يحاكي البرديسيّ كلمة فيجاوبه البرديسي بكلمة أخرى لا علاقة لها بما قاله محمود.. أنه حوار أطرش مع أعمى، وخمسين ترجمان لن يجعل الأول يعرف ما يريد الآخر.. وكلمة من محمود وجواب طائش من البرديسي جعل الأمر يتحوّل إلى مماسكة فمشاجرة وعلى ضرب بعضهما لبعض حتى أدمى كل منهما الآخر وعلى قول آخ يا أعمى الكلب ويا أطرش الدبّ.. فكان أن أخذا إلى ازخانة (صيدلية) سليم فارس بالبروزية لكن سليم حولهما إلى خستخانة (المشفى الوطني).

استهجن الحضور تصرف الصيدلي سليم فارس وهو المعروف بالوقوف مع أهل الحارة بكل ما يطلب إليه من علاج ودواء، حتى أنّه كان يركّب لهم الدواء الذي لا يتوفر لديه. ولم يردَّ أحداً من أولاد الحارة خائباً من عنده. خَلَص جدالهم حول هذا الأمر إلى أنّ الصيدلي سليم فارس خاف أن يتعرّض للمسائلة والجرجرة إلى الكركون ثم المحكمة إذا أسعف محمود والبرديسيّ.. فأراد أن لا يدخل بين القبور وأن لا يرى المنامات الوحشة.. وهكذا نُقل محمود والبرديسيّ إلى المشفى بعربيّة أبي فارس وكان معهما أبو العزّ وأبو رياض..

سأل أبو راشد عن سبب عدم إسعاف أبو عمر لمحمود والبرديسيّ، هل حسب أبو عمر إنها فزعة وما لحا ينوبه من إسعافهما شي. قال أبو دياب:

- **أبو دياب:** اذا كان هيك علينا أن لا نحلق عنده، وأنا من جهتي والله لحرّم حدا من أهل الحارة أن يحلق عنده.. يعني إذا كان محمود والبرديسي منتوفين ما لازم يداويهم، بيقوم بيفركها من الوشّ (الوجه) وبيعطيها كفّ مغيب.

عقّب أبو راشد على قول أبي دياب بأنّ أبو عمر طول عمره هيك. لك يخرب بيت سنته اذا المشوار لقماته أقل من خطواته ما بيمشي فيه، ومنشان هيك يا أبو دياب لازم تحرّمه يفتح غلق دكانته بالحارة..

انضمّ أبو عجاج إلى أبي راشد وأبي دياب في وضع أبي عمر بالمقلاية، وأخذ كلّ واحد يدلي بدلوه في ذكر مساوئ أبا عمر، وبالأخصّ تواريه حتى لا يسعف محمود والبرديسيّ.

١٠- مصائب قوم عند قوم فوائد:

أما ما كان من أمر والد محمود عندما علم بما حدث بين محمود والبرديسيّ فكان غير شكل، فقد طار صواب والد محمود وكاد يفقد عقله، ولم

يكن ذلك تألّماً على ابنه محمود، وإنّما لما سوف يؤول إليه ما كان يأتي به محمود من مال لأبي محمود مساء كل يوم. فمحمود بالنسبة لأبيه بقرة حلاّبة!!. وزاد بالطنبور نغماً بالنسبة لأبي محمود أن وقف أحد الجوار على درّاجة من درّاجاته للتفرّج على المشاجرة بين محمود والبرديسيّ، فانمعست هذه الدرّاجة (البسكليت) مما أدى إلى تعطّل تأجيرها.. وعندما رأى أبو محمود ذلك إنملص عقله وصار عم يجعر كالملووق وهو يقول(٧):

- **أبو محمود:** والله لعدّمه حياته لها الأطرش الكلب والله لبجّ له كرشه واتزنّر بمصارينه.. الله يعلّقه بايدي لكسّر له راسه بها الشاكوش.

ولما طلب أحد الجوار من أبي محمود أن يطوّل باله وأنّ الحمد لله يلّلي كانت بالمال ولا بالأبدان والشغلة ما لها حرزانه، وكلها كام (بضعة) يوم ومحمود بيتعافى والمسكليت بتتصلّح. أجاب أبو محمود(٧):

- **أبو محمود:** ومين بده يصلّح المسكليت ويدفع إجرة تصليحها. وكمان مين بدّه يدفع المعلوم يلّلي عم يجيبه محمود كل يوم.. وبعدين عطلة المسكليت على مين؟!!.

ولما عيل على الجوار إمكان إقناع والد محمود بأن يأخذ جزوه (جزاؤه) من الله قال أحد الجوار:

- **أحد الجوار:** أي حلّ عنّا يا، إنت وابنك ومسكليتاتك وانمحق... اتركوه يا جماعة وخليه يبلّط البحر. وخلينا نشوف شو لحا يطلع بايده إذا اشتكى البرديسي على محمود.

رد أحد الجوار الآخرين:

- **أحد الجوار:** الله يستر ما يطالب أبو محمود البرديسي بعطل وضرر!!..

قال أبو عجاج للمجتمعين عند أبي راشد:

- **أبو عجاج:** قولكم بيعملها أبو محمود بالبرديسيّ؟!!.

علّق أبو دياب على ذلك بقوله:

- **أبو دياب**: اذا بيطلع بإيده لا يقصر!!. بس قسماً عظماً إذا عملها مع البرديسيّ لإكسر له إيده وحملّه إياها. يخرب بيته الله لا يشبّعه هادا واحد ما بيخاف الله.

١١- الصلح سيد الأحكام:

لم يكد أبو دياب ينهي كلامه حتى كان أبو العزّ وأبو رياض قد عادا بمحمود والبرديسيّ من المشفى، فطمأنا الحضور بأنّ الإصابة سطحية لكل من محمود والبرديسيّ وأن لا شيء يستدعي القلق، وقد تصالح محمود والبرديسيّ وقبّلا شوارب بعضهما. فكانت تلك الصلحة وبالاً على أبي محمود الذي لم يناله منها غير خربان البيت، فمحمود لم يعد يسرح ليجمع لوالده المبلغ المرقوم والمسكليت تعطلت وتوقفت إجرتها. فلما تساءل الحضور عن استحالة أن يكون قلب والد محمود على هذه الدرجة من القساوة، قال أبو دياب:

- **أبو دياب**: يا جماعة أبو محمود ألعن من هيك وأدقّ رقبة، وإذا منتذكّر لما حاول ابني دياب، السّعي لمعالجة محمود من العمى، كيف كان موقف والد محمود. يومها قال أبو محمود لدياب:

- **أبو محمود**: يا عمّي أنا عامل لك شي؟! آكل مال أبوك شي؟!!. إلك معي شي؟!!. حِلّ عنا بقا، محمود يلّلي ماله عاجبك بكره بيسرح وبيجيب لنا كلّ يوم رزقة ما بتتفوت.. وين جاية تضوّعها علينا.. ما بقي علينا غير دياب أفندي.. قال شو.. كتب له كلمتين بالجريدة وحسّب حاله صار زلمة بيحلّ وبيربط!! وكله على بعضه حمار معبّى ببنطلون.

١٢- مرت الأب:

تابع أبو دياب إعلام الحاضرين بأن الذي كان يوزّ ويسلّط أبا محمود على محمود إنما هي زوج أبيه!! ولما استغرب الحضور قال أبو عجاج:

- **أبو عجاج:** يا جماعة لا تستغربوا.. هَيّ خالة مرت (زوج) أبّ، وأهل أوّل قالوا: مرت الأب ما بتتحب ولو حوريّة من الجنّة.. وهالمنظومة ما إجاها من أبي محمود غير البنات.. ومنشان هيك حطّت حطايط محمود وصار الأكل البايت لمحمود والخبزة اليابسة لمحمود والأواعي العتيقة لمحمود وفوق هيك، وقال شو!!. ما لازم ينام مع إخواته.. حرام، خليّه ينام عالاسطوح، وبالشتي بينام بالزريبة مع طرش جارهم أبو حسين، وبده يقضي خالته مرت أبيه غراض.. بدّه يكنّس ويمسح ويعصر الغسيل وبعدين لازم يسرح ويجيب لخالته المبلغ المعلوم.

تابع أبو العزّ كلام أبو عجاج بقوله:

- **أبو العزّ:** وما كفّى مرت أبي محمود كل هالشي، صارت تنقّ على أبي محمود حتى يبيع البيت ويشتري قطعة أرض إلى جوار بيت أهلها بالقناية. قال شو!!. البيت عم يهرهر وصار متختخ، وما عاد فيه قرنه تفشّ القلب. وأحسن من هالبيت شققة أرض بالقناية بيعمروا عليها أوضتين، أوضة لها وزوجها وأوضة للبنات، ومحمود خليه بالزريبة تبع جارهم أبو حسين. وكل يوم بياخذ أبو محمود المصاري يلّلي جمعها محمود، وبعد سنة سنتين بيعمروا لمحمود غرفة بينام فيها.

سأل أبو دياب: إذا كان أبو محمود ساكن بالقناية، شلون عم يجي على دكانته ويرجع على بيته، أجابه أبو العز: بأن هذه المشكلة حلّها عند أبي عمر، لأن أبا عمر فايت بأبي محمود مثل السوس بالخشب. فأبو محمود بينام على إيد أبي عمر. يعني الواحد للثاني قدره ولقيت غطاها[٨].

١٣- لحم السير عالقبقاب:

التأم جمع الكبارية في جناح القصر من المقهى، فإذا بأبي عمر يلقي السلام عليهم. أجابه أبو دياب أن لا سلام ولا كلام معه، قاطعه أبو عمر بقوله:

- **أبو عمر**: ها ها عم أول لحالي ليش ما عاد حدا دردر ناحي منكم، آه.. شو عليه.. بس أنا قبل ما روح من هون بدّي اعرف شو عامل؟!

طلب أبو دياب من أبي عمر أن يشم رائحة يده وهو بيعرف ليش فركها من دكانته وقت طباشة محمود والبرديسيّ.. فركها من الوش (الوجه) لحتى ما يداوي محمود والبرديسيّ. وفوق هيك الكبارية بدهن يعرفوا شو ضريب أبو عمر مع هالضلالي أبو محمود.

أنكر أبو عمر أنّه فركها من دكانه لحتى ما يداوي محمود والبرديسيّ. لأنّ ليس من مصلحة أبي عمر ذلك. فعلى الأقلّ ينوله شي قرشين برانيّات وقال:

- **أبو عمر**: أنا رحت مع حمدي السمان لحتى أرجيه بيت بزقاق الحكر بعد بحرة الدبّة بحارة الصبّاغ وبعد بيت مريش.. قام أذّن العصر وأنا عم قلّب البيت، قمت قلت لحمدي السمان خلينا نصلي العصر بجامع تحت المادنة.. وهي حمدي السمان حيّ يرزق إسألوه. ولمّن رجعت عالدكان كانوا آخذين محمود والبرديسي عالخستخانة.

قال أبو دياب هَيّ وعرفناها. بقا بدنا نعرف شو حكايتك مع أبي محمود. أجاب أبو عمر أن لا حكاية ولا قصّة، الزلمة سكن بالقناية وعم يجي عالدكان ويرجع عالبيت على المسكليت. لأنّه هيك أربح له.

ولمّا سأل الحضور عن ذلك قال أبو عمر:

- **أبو عمر**: لأنّ أبو محمود وهو جاية على بكرة عالدكان عمل من مشواره سيكار وبيكار، منّه شمّة هوا، ومنه وهوّ على المسكليت إذا شاف كوساية، خيارة بندوراية مشمشة دراقنة.. المستويّة لحنكه والماسكة إلى خِرج المسكليت، وهيك بيسوكر أبو محمود طبخة البيت والفواكي والذي منّه. وإذا شي زاد معه، كنت أنا اشتريه منّه من قريبه، واذا صحّ له بيعضّني وما

بيقصر، لأنّه أكبر همّ عنده إنّه يعبّي كرشه وخرجه.. أخضر يابس ما بتفرق[٩].

١٤- الزبون القشق:

عادت المياه إلى مجاريها بين أبي عمر وكباريّة الحارة وعادت العلاقة بينهم قشطة على لبن وسمن على عسل، ولكن أبو دياب وهو مختار الحارة احبّ أن يعرف شيئاً عن الزبون القشق الذي كان يحلق عند أبي عمر.

قال أبو عمر:

- **أبو عمر:** بس ما حدا يطلع لي سنجأ عرض، ويعمل لي بالرزّ بصل..

انتهز أبو العزّ كلام أبو عمر بقوله:

- **أبو العزّ:** يعني لحا تعمل لها إيدين وإجرين.. الجماعة بدهن يعرفوا منين كابش هالزبون.. الشغلة ما بدها بهارات ولف ودوران يعني مختصر مفيد. وكفى الله المؤمنين القتال.

- **أبو عمر:** إذا كان هيك الحق معك، لأنّه هالزلمة لحاله فردة ما لها إخت.. وبيني وبينكم مثله ما مرق على أخوكم أبو عمر. ومنشان هيك لحا قول لكم شو صار معي مع هالزلمة، بقآ هادا يا سيدي وسيدي وسيدك الله، من كام يوم وأنا قاعد بالدكان أنا وأجيري، ومفونسة معي الحكايا، لأنّه لحا تصير الدنية العصر وما فات حدا على هالدكان وقال شو بتشغل يا أبو عمر بها لدكان!!. ولآ فايت علينا زبون ما عرفته، قلت لحالي وشو عليه زبون غريب قريب ما لها فرق.. شو لحا اعمل له غير الحلاقة.. ولسّا ما قعد هالزبون عالكرسي وحطّيت على صدره هالفوطة النّظيفة وطالعت له هالبشكير الجديد.. ومسكت هالمقص والمشط وأنا عم اسأله ما إذا كان يريد..

حلاقة وقشّة ذقن أم قشّة ذق بسّ. وإذا بصاحبنا يتدشّق ويخرج من ما في بطنه على الفوطة، سارعت إلى مسح فمه وتغيير الفوطة له وأنا أسأله ما إذا كان متقّل بالغدا. فقال ديبو وهذا اسمه:

- **ديبو:** لا والله لسّا ما تغديت معزوم عالغدا ببيت حماي.. ولسّا الأكل ما استوى قلت لحالي باكل لي كام (بضع) كباية لبنيّة على لقمتين فولية وبحلق شعري عم بين ما يستوي الأكل.. يعني كلّهن كام لقمة عالواقف.

ولما قلت له يا ابن الحلال هاللقمتين تبعك بيعشّوا حوراني قال لي: شو عم تحكي.. هدول سندة. ومثل ما بتعرف. أكل الرجال على قدر فعالها.. والأكل مو للفرجة.. إي الله عليم.. الله عليم اذا ما سفئت عالعقدة عشرين ثلاثين كوساية ما بيهنى لي عيش!!.. يمّا بدّك ياني شمّ الأكل وإكذب عليك وقول لّك شبعت!!..

عقب أبو عمر على كلام ديبو بقوله:

- **أبو عمر:** عم تمزح مو هيك.. يمّا بطنك خابية.. لِك بدّي إسألك وين بتروح بالأكل.. هدول طنجرة كوسا!!..

- **ديبو:** يعني بلا منقوديّة لا تزعل إذا قلت لك بلا قلّة عقل!!. عمّي.. كل شي إله مطرح وكل داخل ينفع ولو كان مدفع.. وبعدين لا تخاف بتمرق. الله عليم هالبطن بيفرم الزّرد.. وبعدين يلّلي بيجيه شي وبيردّه.. يلعن أبوه على أبو جدّه.. حرام عمي حرام.. هاد رزق ساقه الله إليك!!..

- **أبو عمر:** والله وكيل لمّا سألته شلون هيك؟!!. ما شوف لك إياه إلاّ منتفض وقايل:

- **ديبو:** عمي اذا ما لك مصدّق نحنا ولاد هلأّ.. بتشارطني على فرش صبارة؟.

ما كان من أبي عمر إلاّ أن قال له:

- **أبو عمر:** الله يتم عليك.. خزيت العين وبسم الله وما شاء الله.

تابع ديبو قوله لأبي عمر:

- **ديبو:** شوف عمي أنا من كام يوم تشارطت أنا وجارنا على عشرين صرّة أوزي، وقبلها كنت ناقر بطن لوبية بزيت الله مولاه وفوق هيك هريسة..

تعجّب الحضور من الأكابرليّة مما سمعوه من أبي عمر حول نهم وفجع زبون أبي عمر.. وحسبوا أنّ ذلك كان على سبيل المبالغة والتهويل. فعقّب أبو رياض على ذلك بقوله:

- **أبو رياض:** أي هاد ديروه عالمعلف، شو الأكل مغابنة أي الله يرحم سوّست[١٠].

ردّ أبو العزّ على أبي رياض بقوله:

- **أبو العز:** أي لآ أبو الروض.. شو جاب لجاب!! سوّست ما كان فجعان كان زلمة لأله، وكل شي كان يحصل عليه.. كان عند عشية يعطيه للعِيل المستورة.. وإذا بدكن الحقّ بيجوز ينفّد زبون أبي عمر على أبوه لمحمود..

- **أبو دياب:** كمان يا جماعة شو جاب لجاب.. صعي أبو محمود بطنه كبير، وما بيحلّل ولا بيحرّم وما بيعرف طعمة تمّه.. بسّ في فرق بينه وبين زبون أبي عمر من السماء للأرض، لأن زبون أبو عمر زلمة ابن عالم وناس بس بطنه كبير.

كان ما ذكره أبو عمر عن ديبو وما قاله ديبو عن مأكله يستدعي مجالاً للشّك، لأنه لا يعدو عن كونه حكي بحكي، لكن زيارة دياب لأبي عمر وتحذير أبا عمر من ديبو أمر جدير بالاعتبار لأنّه وضع النقاط على الحروف في أمر ديبو. فقد قال دياب لأبي عمر:

- **دياب:** عمي أبو عمر شفت ديبو طالع من عندك، قلت لحالي هالطينة مو من هالعجينة، وشو جمّع الشامي عالمغربي!!.. عمي بدّك تكون قد حالك من هادا يلّلي اسمه ديبو!!. وأنا لو ما بحبّك ما بقول لك.. هالزلمة ما بدّك مشاكلته، وخليّك معه عالطويل، لأن مشاكلته بستوّد الوش (الوجه)!!..

حاول أبو عمر أن يأخذ ويعطي مع دياب حتى يعرف قصّة ديبو.. أخبر دياب أبا عمر أنّ ديبو حالوش ما بيشبع وما عنده همّ أكثر من تعباية بطنه. وأكّد ذلك بما حدث له يوم عزم ديبو على الإفطار عنده في شهر رمضان الماضي. فقد أحب دياب أن يمزح مع ديبو فقال لنفسه أن يجعل ديبو يشبع بالسلطة والفتّوش والتسقية، وقد عزم معه صانع حمدي السمان وتحسين أجير أبو راشد. فلما حسب دياب أن ديبو قد شبع بالعرق سوس والسلطة والفتوش والتسقيّة نزّل الطبخ إلى السّفرة، فما كان من ديبو إلاّ أن قال:

- **ديبو:** إي هَهَ هلأً بسم الله.

وعلى سفق ومعط وقطع وبلع وكأنّه لم يأكل من شهر، حتى صار عرقه مرقه كما يقولون.. وهو يقول: زكاتك ناولني والله يخليك قرّب لي هالأكلة وهالأكلة حتى كان آكل جُلّ ما على السفرة.. وفوق ذلك عنده رغبة للمزيد.

وعندما قال له تحسين صانع أبو راشد: عرق السقف.

أجاب: وشو بدّي اعمل له خلّيه يعرق ليشبع!!. فلما قال له تحسين يعني كفاها الله، أجاب ديبو:

- **ديبو:** مثل ما بدّك. بسّ يعني اذا فيه شي تحنيكة ما بقول لأ.

أجابه دياب: العمى بقلبك شو بلّوعة؟!!.

رد ديبو على دياب بحنق:

- **ديبو:** عمي.. اذا ما كنت قدّ الحمل ليش بتعزم الناس. حدا ضربك على إيدك وقال لك إعزمني وعميل حاتم طيّ.. قال يا فتاح بابك وافتخر.. يا سكّره وانستر. ما بتاكل غير العافية عمي!!.

استهجن المتواجدون في جناح القصر من المقهى من ما كان من نهم أو فجع ديبو. لكن أبو دياب برّر لهم نهم ديبو بأنّ ضرسه طيّب وهذا الأمر ليس بيده.. عندئذ طلب أبو عمر من أبي رياض أن يحكي لهم ما كان من أمر ديبو مع أبي فياض الخبّاز. أجاب أبو رياض أبا عمر بقوله:

- **أبو رياض:** لا عمّي لا.. قال من فمك أحلى يا كحلا.. يمّا لسانك أكله القط يا أبو عمر.. بسم الله وما شاء الله بتحكي على بلد وبتاكل عليها بالدين.. ما تحكي إنت للجماعة.. يمّا صرت بدّك تدلّل!!.

أخذ أبو عمر يروي للحضور ما كان من أمر أبا فياض الخباز مع ديبو كما روى له ذلك أبو مستو. ذلك أنّ أبو مستو بعد المصيبة التي أوقعه بها أبو عمر يوم ورّطه بالزواج على أم مستو، وحصل ما حصل لأبي مستو نتيجة لذلك الزواج.. عزم أبو مستو أن لا يدردر على دكان أبي عمر، لكنّ نفسه لم تطاوعه بأبي عمر عندما شاهد ديبو يخرج من دكان أبي عمر. لقد خاف أن يقع أبا عمر بين فكّي ديبو، فيأكله قبل أن يُسمّي.

دخل أبو مستو دكان أبي عمر وعمل من نفسه أنّه يريد أن يقشّ ذقنه (يحلقها). وما أن جلس على كرسي الحلاقة، عاجل أبو مستو أبا عمر بالتحذير من ديبو، ولما استوضح أبو عمر عن سبب ذلك، قال له أبو مستو بأنّ ذلك حتى لا يقع أبو عمر بما وقع فيه أبو فياض، يوم دعى أبو فياض ديبو ليواكله مع صنّاع الفرن بلقمتين ريثما يصبح الخبز جاهزاً، ذلك أن العجّان بالفرن تأخر ذلك اليوم، الأمر الذي نجم عنه تأخّر خبز الفرن، بسبب ما يحتاج إليه العجين من اختمار واستراحة وتقريص ثم رقّ. وحتى لا يتفرتن صناع الفرن عمل لهم أبو فياض صينيّة لحمة بالصحن، وما أن جلسوا لتناول الطعام حتى كان ديبو يسأل عن الخبز، فدعاه أبو فياض ليواكلهم بلقمتين وذلك باب اللّباقة.. تمغرز ديبو في بادئ الأمر وادّعى أنّه شبعان لكن تكرار الدعوة جعله يدخل ويجلس معهم، وما لبث أن سحب

صينيّة اللحمة إليه ونزل فيها سفق معط حتّى كان مارقاً بها وهم يتفرجون عليه.

لم يكد أبو عمر ينهي روايته عن ما كان من أمر أبو فياض الخباز وديبو حتى قال أبو العز لأبي عمر:

- **أبو العز**: إن شاء الله عقبال عندك يا أبو عمر.

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر**: بالله شو.. يمّا قالوا لك عنّي إنّى هالقدّ ناقص على شكله. أن حلق عندي وإن ما حلق.. حدّه ستين جهنم.

١٥- ختامها أغنية:

التفت أبو عمر إلى أبي رياض يترجّاه بقوله:

- **أبو عمر**: ايدي بزنّارك أخي أبو الروض، خذهم غنّي بشي غنّية احسن ما يطلع جناني.. ايدي بزنارك. خلينا نخلص من سيرة ديبو.

وافق أبو رياض على طلب أبي عمر، فصفق له الجميع. فقال لهم أبو الروض:

- **أبو رياض**: لحا سمّعكم غنّية بتحبوها ولحا يحبها ولادنا من بعدنا بسّ بدكن تردوا معي.

أبو رياض: مرمـــر زمـــاني يـــا زمـــان مرمـــر..
قلبـــي مولّـــع بهـــواك يـــا الأســـمر..

الجميع: مرمـــر زمـــاني يـــا زمـــاني مرمـــر

أبو رياض: ببـــاب الـــسرايا أنـــا شـــفت محبـــوبي
قاعـــد قبـــالي عـــم يكتـــب المكتـــوبي

لمـــــا رآنـــــي بـــــالهوى متعـــــوبي

دشّـــــر القلـــــم والحبـــــر والـــــدفتر

الجميع: مرمـــر زمـــاني يـــا زمـــاني مرمـــر

أبو رياض: يا رايحـــة عالحمـــام خـــديني معـــاكي

لاحمـــل البقجـــة وامـــشي وراكـــي

وان أبـــوكي مـــا عطـــاني إيـــاكي

لاعمـــل عمايـــل مـــا عملهـــا عنتـــر

الجميع: مرمـــر زمـــاني يـــا زمـــاني مرمـــر

أبو رياض: يـــا رايحـــة عالحمـــام ريتـــه صـــحّة

يـــا علبـــة العطـــار راحـــت معهـــا

وان أبوهـــا مـــا قـــدر يقنعهـــا

لخلّـــي لحمـــه عالـــسيوف تتنتّـــر

الجميع: مرمـــر زمـــاني يـــا زمـــاني مرمـــر

قلبـــي مولّـــع بهـــواك يـــا الأســـمر

الحواشي والإيضاحات:

١ - الحرص على القرش: البخل. هيك: هكذا. المصلبة: الساحة. يلّلي: الذي، مَنْ. ولي: ندبة يقال على سبيل المزاح. وحدة حال: إلفة وتوادّ. شغل دواوين: زوغان أو تلاعب. تحكوك: عجّل، أسرع. شو هَيّ: ما هذه. ربعيّة: ربع ليرة. ونّة: ليرة سورية. طيلسة: عدم مبالاة. هون: هنا. إقصده: بمعنى إذهب.

٢ - المعتّة: التافهة. بالرصّ: أرادوا الإكراه. لحا: سوف. يمّا: أو. عم ياكلك: يرعاك. منشان: لأجل. وينك: أين أنت. ما منّه شي دخانه بيعمي: مثل شعبي اردوا به الحرص أو البخل. حاطط على رأسه خيمة: أرادوا في غير منجاة. الأشنان: مسحوق قلوي يستخدم في جلي الصحون. الجوبراني: نسبة إلى محلّه جوبر بدمشق، وهو قليل الدّسم. الميلطون: حثالة ورواسب الصابون.

٣ - بيتيّات: من مؤونة البيت. ظراف: جيّدات. يشوير: يحرّك يداه على غير هدى. يُبرطم: يتفوّه بكلام غير مترابط. الدقّاقين: محلّة كانت بين مدخل سوق البزورية وباب الحديد بالشاغور وهو المعروف بالباب الصغير. ملطوعاً: مهملاً. ضاربك: أصابك. يحلب صافي: يكون حسن المعاملة. كبرانة البيتنجانة: عنوا بذلك الاستعلاء. ازرعها بذقني: سامحني. طاطوت: صوت منبّه السيارة، أرادوا بذلك طلب الانتباه. كلمة خشب: كلمة تنبيه للمارة. شويّ: قليل. يللي بيعرف بيعرف: كناية عن الجهل ببواطن الأمور. المعلوم: أرادوا المبلغ المرسوم عليه. ودّاه: أوصله.

٤ - نمونة: مسطرة، أنموذج، عيّنة. قش الذقن: حلاقتها. يشبع: يكتفي. العمى بقلبه: الله لا يورّ ده الخير. حِلّ: دعّ. نجر: قدح وذمّ. ما له معبّي العين: غير مقنع. تنتف بريشه: تستغيبه أو تسيء إليه. مرت: زوج. المبلغ المرقوم: كناية عن المفروض عليه قوّة واقتداراً. تعكنن: تسوّد معيشته.

نقلب صفحة: نغيّر الحديث. عتبتها خضراء: مرزوقة. هَيّ: هذه. مدوزنة: محبوكة. ما حدا آخذ منها شي: عنوا بذلك الحياة الدنيا. الفايت والطالع: الداخل والخارج عنوا بذلك دكّان أبو عمر. المخترة: مقرّ عمل المختار. منين: من أين. اللّي بيصحّ لّه جبن الضرف: كناية عن سعة ذات اليد.

٥ - حندق بندق وعين تشوفك...: تميمة تستخدمها النساء لردّ عين الحاسد. يا ريت: يا ليت. الكبرة: التقدم بالعمر. خرج سهر: من أهل السهر. صرّة الملح والخرزة الزرقاء: تميمة لردّ العين في عرف بعض النساء. خناقة: شجار. يهندس الشعر: يقوم بترجيله. خلنج: جديدة. استمخّ: عمل جهده. قرمطة: قص الشعر بلا نظام أو تنسيق. بلفه: غرّر به. الحلوان: الإكرامية.

٦ - تحط حطايط: تأتي بالقدح والذم. قراضة: من النوع الدّون. الزلمة: الرجل. كايشها: حصل عليها. ليس له دوزان: لا يستقر على قرار. عقله شغل إيده: غير سويّ. اللوفكة: القول بأكثر من مقياس على سبيل التملّق. مصوفن: على حافة قبره. يا دوبه: لا يكاد يقدر. هدول: هؤلاء. ضريب: أرادوا سبب خلاف. غاطط: زائغ. هالناح والناح: هنا وهناك. شيخ زنكي: قصة من التراث الشعبي تقوم على الدجل كان بطلها رجلان، أحب أحدهم أن يتفاخر أو يتعالى على زميله فنهاه عن ذلك بتلك المقولة.

٧ - بعد الكبرة جبّة حمراء: مثل شعبي يراد به نهي المرء الذي تقدم به العمر عن الطيش أو الجهل والتصابي. تناقر معه: تناقش من غير جدوى. الكركون: مخفر الشرطة. منتوفين: فقراء. بيفركها: يتوارى. كف مغيب: عذر غياب. يخرب بيت سنته: شتيمة بمعنى الله لا يبارك له. غلق الدكان: مدخلها. الوضع بالمقلاية: تقليب أوضاع المرء بذكر مساوئه. وزاد في الطنبور نغماً: أرادوا فضلاً عن ذلك. انمعست: هشّمت. انملص عقله: جُنّ

جنونه. يجعر: يصيح. بجّ: مزّق. الشاكوش: المطرقة. يطوّل باله: يهدأ. ما لها حرزانه: لا تستحقّ.

٨ - انمحق: انت وشأنك. خليّه يبلط البحر: يضل ما يشاء على سبيل التحدّي. خربان البيت: الخسارة. حلّ عنّا: اتركنا وشأننا. يوزّ: يوغل صدر، يحرّض. هَيّ: هذه. ما إجاها: لم تنجب. القناية: من أراضي الغوطة الشرقية. يهرهر: يتساقط. متختخ: متداعى. قرنة: مكان. اوضة: غرفة. المصاري: الدراهم. شلون: كيف. ينام على إيده: يثق به. فوق هيك: زد على ذلك.

٩ - دردر: افترب. يشمّ رائحة إيده: كناية عن طلب التعرف على عمايله. فركها: توارى. طباشة: شجار. برانيّات: إضافيات. بحرة الدبّة: مكان بزقاق الحكر قبل دخلة بيت الجليلاتي، كان يتعثّر عندها الأطفال. جامع تحت المادنة: هو الجامع المسمى بجامع القربيّ. على بكرة: صباحاً. سيكار وبيكار: فائدة مزدوجة. من قريبه: بسعر مهاود. بيعضّني: يغدرني بالسعر. الخرج: وعاء يوضع على خلف الدرّاجة أو الدابة.

١٠ - القشق: الغريب. سنجأ: سنجق. وسنجق عرض: أرادوا الاعتراض أو المعارضة. منين: من أين. كايش: باحث وآتٍ. لحاله: بمفرده. مفونسة الحكايا: في اسوأ حال. ولاّ: وإذ. البشكير: المنشفة. سندة: سدّ جوعه. الكبة اللبنية إذا طهيت مع الفولية معاً في طبخة واحد نتج عنهما طبخة تعرف بالمشمشية. سفئت: سفقت، تناولت. يّاني: إيّاي. ناقر: آكل. سوّست: أحد الدراويش المعروفين بدمشق في أوائل النصف الثاني من القرن العشرين. عشيّة: مساء. ديروه عالمعلف: كونه كثير الأكل.

١١ - ما بيعرف طعمة فمه: لا يحسن التذوّق. هالطينة مو من هذه العجينة: مثل شعبي يراد به عدم توافق الجانبان. قدّ حالك: يقظ. حالوش: أكول.

الفتوش: نوع من السلطة مع الخبز اليابس أو المحمّص. السفرة: المائدة. سفق: بلع. عرق السقف: كناية عن طلب الكف عن تناول المزيد من الطعام. تحفيكة: مأكل أو تحلاية. بياكل عليها بالدين: شديد الرغبة للشيء. يدردر: يقترب. يتفرتن: يتفرّق. مارق بها: قد أتى عليها. ايدي بزنّارك: أرجوك.

٥- الكراكوزاتي!!

١ - المقلاية والمرس.

٢ - صاحب المال تعبان.

٣ - طق برغي.

٤ - أراضي أبو شاكر الكركوزاتي.

٥ - الحوت وما أدراك.

٦ - مجال الكركوزاتي.

٧ - مهارة أبي شاكر.

٨ - بكري مصطفى سبع اسكيدار.

٩ - يحبّ دبّاحه.

١٠ - بياكل وبينكر.

١١ - السنحوك.

١٢ - تاريه منام.

١٣ - الكركوزاتي.

١٤ - أساطين الكركوزاتية.

١٥ - عرض مـــن نـــشوة الماضـــي.

الشخوص المشاركة:

١ - الكبارية: أبو دياب، أبو راشد، أبو العزّ، أبو رياض، وأبو عجاج وأبو أحمد.

٢ - أبو عمر الحلاق.

٣ - عبودة صانع المقهى.

٤ - أبو شاكر الكركوزاتي.

٥ - أبو حدّو.

٥- الكراكوزاتي!!

١- المقلاية والمرس:

اعتاد الكباريّة الالتقاء في جناح القصر في المقهى عصريّة كل يوم لقضاء بعض الوقت يتعرضون فيه لبعض الأمور التي تواجه أهل الحيّ أو الحارة، أو تدخين الأركيلة (النارجيلة)، واحتساء الشاي وارتشاف القهوة السادة (المرّة) من آن لآخر.. ومنهم من يتسلّى بلعب النرد (طاولة الزهر) والدومينا.. وهم لا يتوانون عن تناول أبا عمر وأمثاله بالمقلاة، فلا يحلّون (يتركونه) عنه إلاّ وقد تشلفط، أو يعرّضونه للمقالب أو ما يعرف بطقّ برغي فلا يتركونه إلاّ وهو بالع الموس عالحديّن ويأكلها بجنابه، وقد سلوا (نسوا) ما هم فيه بما يصاحب ذلك من أجواء مرحة!!..

انهمك أبو عجاج وأبو رياض وانشغلا عن ما حولهما في لعب النرد (طاولة الزّهر) وقد عمد كل منهما إلى تسبيط همّة صاحبه والتقليل من خبرته في اللعب بالتعقيب على كل رمية (لحشة) منه للنرد. فقد عمد أبو عجاج إلى التنويه لأبي رياض بأن اللعبة (الدقّ) انتهت، وأصبح ميؤوساً منها، فالمكتوب باين من عنوانه، على حين يقلل أبو رياض من قناعة صاحبه، بأن لا يغترّ. لأنّ للزهر وجه من العظم، فهو لا يستحي من لاعبه (راميه)، ولا يأتي كما يرغب راميه أو لاعبه. لكنّ أبو عجاج لا يلبث أن يخيّر أبا رياض بين الاستسلام والتخلّي عن النرد (الزهر) أو تكملة الدقّ حتّى يستمتع بهزيمة أبي رياض وبالتالي ليقول لأبي رياض نعيماً على هزيمته أمامه.

يرمي أبو رياض بالنرد فيأتي النرد بدوشيش (رقم ستة لكل فردة من النرد) فيقول لأبي عجاج: وهذه شو (ما) رأيك فيها اجت حفر وتنزيل. فيردّ

أبو عجاج طالباً من أبي رياض أنّ يدبر الدوشيش بمعرفته إذا كان يعرف أن يلعبها!!..

فيجيبه أبو رياض: أنا يلّلي بيعرف يدبّرها وهه شوف، هي فردة الدوشيش الأولانيّة، وهي الثانية، وهيّ إختها الثالثة، وكمان شو رأيك بها الرابعة.. شو رأيك؟!! حفر وتنزيل مو هيك؟!!. وهلأً صار إنت يلّلي بدك تسلّمها.. وما بدّها حياء لأنها بتصير بأكبر العائلات (على سبيل الاستهزاء).

يأكل أبو عجاج المقلب (الهزيمة) بجنابه، لكنّه يكابر وهو يتحرّق شوقاً للاقتصاص من أبي رياض، فيرمي أبو عجاج النرد فيأتي على هَبّ يك (رقم واحد من فردتي النرد) عقب على ذلك أبو رياض قائلاً:

- وهَيّ (هذه) قول لي شلون بدّك تتحوّك فيها.. ياالله لشوف افتح لي الخانة (المكان) يلّلي ما بدك ياها، وأنا بأخذها وما بزعل.. وعلى راحتك!!. فيرمي أبو رياض النرد فيأتي على: شيش يك (فردة على رقم ستّة وفردة على رقم واحد) فيقول أبو رياض وهو يلعب وهيك سكّرنا عليك. وصار الدق عليك مرس يعني صايمة.. فيمسك أبو عجاج طاولة الزهر ويغلقها معصّباً وهو يقول: أنا بدي إلعب معك يمّا لاعب الزهر.. حِلّ عنا ياه!!.

فيردّ أبو رياض:

- **أبو رياض:** لك عمي زهري مدلّل.. أنا كل يوم بغنّي له وبطعميه لوز وسكر، لحتى يضلّ مبسوط وما يخاوز!! وأنت زهرك الله يكون بعونه حامل الدنية معك على كتافك. ومنشان هيك بدّك تأخذ هالطاولة معك عالبيت لحتى تأخذ إيدك عالزهر.

لم يردّ أبو عجاج بأيّة كلمة.. اعتقاداً منه أن الجايات (القادمات) أكثر من الرايحات.

٢- صاحب المال تعبان:

وفي جانب آخر من جناح القصر، انتحى أبو عمر الحلاق ركناً منعزلاً وقد انكبّ على ورقة صغيرة وبيده قلم كوبيا يبلّه بريقة كلما كتب على تلك الورقة شيئاً. لحظه أبو دياب وأبو راشد فقال أبو دياب:

- **أبو دياب:** بإيش هالأبو عمر غرقان، بعدين ما له بالعادة يترك دكانته ويجي عالقهوة في هذا الوقت.

قال أبو راشد:

- **أبو راشد:** بسلامة عرفك أبو دياب اليوم الاثنين، يعني أبو عمر اليوم فرار من دكانته، بس يلّلي بيحيّر بإيش غرقان.

تابع أبو عمر ما هو فيه من الاستغراب والدهشة وقد عمد إلى قلب شقته استغراباً وهو يعدّ على أصابع يده ويدوّن ذلك على تلك الورقة. فقال له أبو دياب:

- **أبو دياب:** الله يعينه، صاحب المال تعبان، مسكين يا أبو عمر لك لحا تصير على حافة قبرك وأنت عم تركض تركض.. الله مسخّرك لغيرك.

ذلك أنّ أبا عمر من الناس الذين أموالهم محرّمة عليهم بيشقوا وبيتعبوا وبعدين بياخذ هالأموال والأطيان والمالكانات الورّيثة (الورثة) عالبارد المستريح[1]. وما حدا (أحد) يترحّم عليه!!

لم يلبث أن انضمّ أبو العز إلى أبي دياب وأبي راشد في رصد ما يقوم به أبو عمر، وقد وصل الحدّ بأبي عمر إلى أن يجاهر بما يقوم به من حسبة دون أن يشعر، وبلغ استغرابه من تلك الحسبة أن جعلته يقول وهو يعدّ على أصابعه.

- **أبو عمر:** ثمانية وباليد واحد، صاروا، تسعة، تسعة وثمانية.. يا مرحوم إلبيّ سبعة عشر، وهي سبعة (يدوّن ذلك على الورقة) وباليد واحد،

وإثنان صاروا ثلاثة وجمعاً يكون ثلاثمائة وخمسة وتسعون، يعني لسّا ما طبّقوا المخمّسة.. يا لطيف على هالدنيا.. طارت البركة وصارت اللقمة مغمّسة بالدّم.. الواحد بيركض بيركض طول اليوم.. وبعدين العشا خبّيز!!.. أي والله انسلخ باطي من كتر ما حفّقت طول النهار.. اي شو هاد.. صارت الدنية بتخّوف.

٣- طق برغي:

رغب أبو العز أن يطقّ لأبي عمر برغيّاً ويعمل فيه ساعة سمّاعة، لكن أبو دياب لم يوافقه على ذلك، وطلب من أبي العزّ أن يترك أبا عمر بحاله لكنّ أبو العزّ أصرّ على الحركشة بأبي عمر فقال له:

- **أبو العزّ:** شو أبو عمر.. حاكينا.. تطّلع فيما.. يعني ردّ علينا يا عطينا وجهك، العين مغرفة الكلام.. يمّا صرنا بها الأيام ما لنا قدّ المقام..

اضطر أبو عمر إلى الخروج مما هو فيه من حيرة وتعجّب، ليقول لأبي العزّ وهو يوجّه كلامه إلى الحضور من الكبارية:

- **أبو عمر:** الله يسامحك يا أبو العز، والله وكيلكم وكيل السماء والأرض انتم عالعين والراس.. أعوذ بالله يا جماعة.. وبعدين من إيمتى بتعلى العين عن الحاجب؟! يمّا قالوا لكم ملحي على ديلي؟!!.

سأل أبو دياب أبا عمر عن ما يشغله عنهم، نفى أبو عمر أن يكون ثمّة شيء يشغله عنهم وكل ما في الأمر أنّ الواحد في هذه الأيام بيضربها يمين بتجي شمال، ومنشان هيك ما لها عم تزبط معه.

ردّ أبو العز على أبي عمر قائلاً:

- **أبو العز:** لك علينا يا أبو عمر.. يما مالك عرفان لهلأّ أنه نحنا عاجنينك وخابزينك؟!!. أبو عمر هادا بزّك.. لك طلاع من هالبواب حلاّب النملة.. أبو كمّونه..

طلب أبو عمر من الحضور أن يتركوه بعض الوقت ريثما يكفّي الحسبة التي تشغله ومن ثم سيتفرغ لهم. وتابع ذلك بقوله:

- **أبو عمر:** لأنّه الله وكيلكن وكيل السما والأرض صار لي من على بكرة الصبح، وأنا عم لابح من راس لراس وفوق هيك فتحت مصرف (كيّ) وركّبت علق وأخذت لزبون كاسات هوا (حجامة) وقلعت لواحد غيره ضرس عقل، وفوق هيك ما طبقوا المخمّسة.. حلفتكم بالله مو قليل.

عقب أبو العز على شكوى أبو عمر، بأن لا يشبعه الله!!.

أجابه أبو عمر بان يسامحه الله. ثم أخرج كيس دراهمه من جيبه وأخذ في عدّها. فقال له أبو العزّ:

- **أبو العز:** أبو عمر شوف شو سلت (وقع) منّك.. تحت كرسي أبو راشد[٢].

سارع أبو عمر إلى البحث تحت الكراسي والطربيزات. فعمد أبو العز إلى مغافلة أبا عمر وأخذ ما على طربيزة أبي عمر من أموال وجلس في مكانه دون أن يشعر أبو عمر بذلك. ولما عاد أبو عمر إلى كرسيه استفقد دراهمه فلما يجدها.. بحث عنها في جيبه وتحت الكراسي فلم يعثر على شيء فقال وهو يحدث نفسه:

- **أبو عمر:** العمى!!. وين راحوا، انشقّت الأرض وبلعتهن.. يا جماعة حدا شاف وين حطّيت المصاري؟!!. يعني وين راحوا هلاًّ كانوا هون (مشيراً إلى الطربيزة).

استغرب الحضور قول أبي عمر، حتى أنّ أبو دياب قال له:

- **أبو دياب:** عيب أبو عمر، استحي لك شوي!! لهون وصلت معك؟! مو ناقصك غير تتهمنا.

تابع أبو عمر البحث في جيوبه وعبّه وتحت الطربيزات والكراسي وهو يقول للمختار:

- **أبو عمر:** لكان بيصير أخي أبو دياب يروح تعبي بلّوش. وصفيّ على قماري الحمام أي والله انسلخ باطي اليوم لحتى جمّعت هالمصاري.. دبّرها بمعرفتك مختار.. كلّك مفهومية..

- **أبو دياب:** يعني شو بدّك ياني اعمل لّك؟!! قوم أحمل صينية واجمع لك ياهن؟؟!!.

تدخّل أبو العزّ وتوجه بالكلام إلى أبي عمر:

- **أبو العزّ:** ولوّ أبو عمر.. باطل. أنا أخوك.. خود أبو دياب هَيّ مخمّسة مني لأبي عمر.. عرق عيني.. وفوق هيك رقبتي سدّادة.. وقد ما بدّه أنا حاضر.

أراد أبو عمر أن يأخذ المخمّسة من أبي دياب، لكن أبو أحمد اعترض على ذلك واقترح على أبي عمر بانّ يضيّف الجماعة (الحضور) شي كاسة شاي.. قبل ما ياخذ المخمّسة عالبارد المستريح.

وافق أبو عمر على اقتراح أبو أحمد، ونادى على عبودة صانع المقهى وطلب إليه أن يحضر براد شاي ضيافة منه للحضور.

- **عبودة:** إذا كان هيك ناولني عمي أبو عمر حق الشاي شندي.. حاكم عمره طه ما ساواها. واذا ما معك، لا تعزم الناس أحسن لك.. ومثل ما بتعرف عمي أبو عمر.. يللي بده يعمل جمّال بدّه يعلّي باب بيته مو هيك!!..

تدخل أبو دياب، وطلب من عبودة أن لا يطوّل لسانه على أبي عمر، ومن ثم ناوله ثمن برّاد الشاي. واعطى ما تبقى معه من دراهم أبي عمر لأبي العزّ لكي يعطيهم لأبي عمر وهو يقول:

- **أبو دياب:** خود أخي أبو العز هدول المصاري، إذا بدّك عطيهم لأبي عمر، حاكم نحنا من غير دفّ عم نرقص.

- **أبو العز:** أخي أبو دياب خليهن بركي الجماعة جاية على بالهم شي مع الشاي.. يعني صارت وصارت، ومو كل يوم أبو عمر لحا يكون حاتم طي..

- **أبو عمر**: خير إنشاء الله؟!! إن شاء الله ناوي تركبني منشان هالمخمّسة.

- **أبو العزّ**: اي مخمسة.

- **أبو عمر**: شبنا أبو العزّ.. المخمسة مع الشاي يلّلي عازمنا عليه على حسابك؟!!.

- **أبو العز**: إي لآ أبو عمر لآ. بهيّ ما حزرت، يمّا قالوا لك عنّي إنّي أجدب لحتى ادفع عنك.. حبيبي.. أنا مالي ناقص على شكلك.. لك يا فهمان هَيّ المصاري تبعك.. يلّلي مالك عرفان وينهن، لك تئبشني عالعتمة.. دارت لك.. الله لا يقيمك.. وهاد كلّه لأنّك ما بتتّاكل غير قنص!!..

وحتّى ما يصير لك شي ومنشان مرتك وولادك، خود هَيّ مصرياتك نحنا طول عمرنا منشرب شاي بدونك.. بس أوعى تعيدها مع الكبارية[٣].

٤ - أراضي أبو شاكر الكركوزاتي:

انتهى أبو العز من مناغشة أبا عمر وخلُص الكبارية إلى السؤال عن أخبار أبا شاكر الكركوزاتي الذي دانت له ولأخيه أبي صياح شاشة مسرح الظل في دمشق لدرجة ضربت شهرتها الآفاق وباتت السلطة وبخاصة أيام الانتداب الفرنسي تحسب حساباً لكل كلمة تصدر عنهما وراء تلك الشاشة فقال أبو أحمد[٤] مكرراً السؤال على أبي عمر:

- **أبو أحمد**: إن شاء الله نعيماً يا أبا عمر وعقبال كل مرّة بسّ يللي بدي اسألك بعدما نتف ريشك أبو العز: شو أخبار صاحبك أبو شاكر؟؟.

أجاب أبو عمر ببرود:

- **أبو عمر**: شوف أخي أبو أحمد.. أنا على حساب الكبارية لأني تعودت عالنّتف، وصار هالخد متعود عاللّطم. والله يرحم هل الأمثال يلّلي قالوا:

مكتوب على هالساقّ، بيروح عاشق بيجي مشتاق.



كركوز وعيواظ

بعدين يا جماعة، أبو شاكر الله يطوّل لنا بعمره، صار لنا مدّة ما شفناه، بيكون غازز له على شي ضيعة حوالينا ومحبينه عصيانين فيه!!.

اعترض المختار أبو دياب على قول أبا عمر، لأن أبو شاكر رجّال ابن أصل ولو كان قريب من هون لكان دَرْدَرْ عالحارة شاف حبابه وزار صحابه. عندئذ قال أبو راشد:

- **أبو راشد:** يا جماعة أنا ما لحا خبّي عليكم، أبو شاكر برّات البلد، ومن كام يوم شافه جارنا أبو حسين نواحي حلب.

قال أبو العزّ:

- **أبو العزّ:** نواحي حلب، إي ليكها حلب، لحشة حجر، وإلكم عليّ إني اطلع من بكّير على حلب وما إرجع إلاّ ورجلي على رجل أبو شاكر.

ضحك أبو دياب من قول أبي العزّ وشاركه في ذلك أبو عجاج الذي عقب على كلام أبي العز:

- **أبو عجاج:** شو مفتكر حلب حارة من حارات الشام؟!!. هَيّ حلب عمّي.. يعني بلا مؤاخذة لحا تعمل مثل يلّلي عم يدوّر على إبرة بكوم قش. بعدين اذا طاب المقام لأبي شاكر بحلب.. لا أنا ولا إنت منقدر نخلّيه يجي، حاكم هدول الحلبية بيعرفوا طعمة تمّهم، وإذا خرط مشطهم واحد مثل أبو شاكر صعب يتركوه!!.. ويا خوفي إذا لفا على أبي شاكر زبونات الدبّاغ وزبونات هدهد وسرور.

ولما استفسر أبو راشد عن هولاء سارع أبو عمر إلى القول:

- **أبو عمر:** والله يا أبو راشد هادا الدباغ وهدهد وسرور كلّ واحد منهم برنجي من سلطن وراء الخيمة.. الواحد منهم بيهزّ البلد.. ما كان يصير

شي أو حدا يعمل له عمله إلاّ وكان منزّله بالخيمة، لك الحكومة ما لها قدرانة على واحد منهم، والله يستر إنّه ما يكون زبوناتهم لافيين على أبي شاكر، لأن أبا شاكر من هالدمعة تبع الدّباغ وجماعته. بعدين يا جماعة، لا يكون لكم فِكرة.. أبو شاكر وأنا بعرفه.. الرجال معدّل ومن ضهر أبوه، يعني ما بينسى أهله وعزوته وحبايبه.. وكلّها كام يوم وما منلاقيه إلا وراء خيمته هون بالشام الله يعمرها!!.. بس اسمحوا لي يا جماعة إني إسأل أبو أحمد، يعني شو جاب أبو شاكر على باله هلأّ.

- **أبو أحمد:** والله يا أبو عمر يلّلي جاب أبو شاكر على بالي قصة قديمة سمعانها من زمان.. بسّ مو مثل قصص أبو عمر المعتّة يلّلي بالي بالكم. قصة حرزانة بتخلّي الواحد يقول الله يأمننا بأوطاننا(٥)!!..

٥- الحوت وما أدراك:

تشوّق الجميع إلى معرفة هذه القصة، فطلبوا إلى أبي أحمد أن يرويها لهم، لمعرفة الصّلة التي تربط بين ما سيرويه أبو أحمد بأبي شاكر الكركوزاتي. قال أبو أحمد بأنّه على يقين بمعرفة الحضور بمن يُعرف بالحوت، لأنّه أشهر من نار على علم، كان الحوت يرابط عند جسر المطيّر بطرف الغوطة، وما كان يدع إنساناً إلاّ وكان ناصباً عليه. تذكر الجميع عمايل الحوت، ومن ذاك ما قاله أبو دياب:

- **أبو دياب:** أبو أحمد يعني هلأّ مو الحوت يلّلي مرّه حمل صينية ودار فيها بالسوق هوّ واثنين من عوانيّته، من دكان لدكان وهوّ عمّ يقول: حطّ الله يعوّض عليك، حط لها لمقطوعة الله لا يقطعك.. وقتها صارت الناس تدفع للحوت المصاري وتشكر الله يلّلي هداه وصارت إيده للخير.



المدلل

فقاطعه أبو أحمد بقوله:

- **أبو أحمد:** مزبوط أخي أبو دياب.. بس بعدين عرفت أن المقطوعة كانت اللحمة التي سيأخذها الحوت لعمل سيران مع أولاد آدو.. وهيك فينا نعرف قديش كان الحوت ضلالي وابن حرام. ثم تابع أبو أحمد قوله:

٦- مجال الكركوزاتي:

- **أبو أحمد:** وإذا حَدا بدّه يقول شو دخل أبو شاكر الكركوزاتي بالحوت الضلالي. أنا لحا قول لكم: إني عرفت الحوت مثل ما عرفه كل واحد منكم. وأبو شاكر الكركوزاتي وأمثاله وقت بيكون وراء خيمته ما كان الحكي يلّلي بيحكيه على لسان شخوص خيمته.. كلام قطع ولحش وإنما كان مدوزن ومدروس على أربع عشرين قيراط. لأنّ أبو شاكر كان طول النهار عم يفتل من مكان لمكان ومن إرنة لإرنة ومن دكان لدكان وسوق لسوق حتى المحاكم والكركونات والمقاهي بل والجبّانة، وعند عشيّة كان ينّزل كل شي شافه أو صار معه بالخيمة على لسان جماعته من كركوز وعيواظ، والمدلل وبكري مصطفى والآغا... فيقول للأعور أعور بعينه وللمليح مليح وبينحطّ عالراس وبينباس!!.. وإذا كان يوجد بيننا واحد مثل الحوت فإنّ لدى أبو شاكر شخصيّة مماثلة، وهي أبو الشباب بكري مصطفى سبع اسكيدار أبضاي خيمة كركوز والأزعر فيها الذي لا يحرم ولا يحلل، على نمط صاحبنا الحوت.

فشخصية أبو الشباب بكري مصطفى تحكي وتقوم بما يجول في خاطر أبو شاكر من أمثال الحوت من حرف واطي يجب أن يتخلّص الناس منه.

وإذا تساءل المرء عن سبب وجود الحوت بين الناس في تلك الآونة.. فلأنّ من كان بيده الحلّ والرّبط، كان أكبر همّه هَفّ المصاري (الدراهم)

ومص دم الناس.. ومن أجل ذلك جمع كل واحد منهم أوبة (جماعة) من الزعران والبلطجية ليكونوا عوناً لهم في تحقيق مآربهم.

وعندما يعالج أبو شاكر الكركوزاتي مثل هذا الأمر فلا يعني ذلك إنّه يقوم بنشر الغسيل الوسخ (القذر) على ملأ الناس وإنّما لتحذير الناس من السلوك الخاطئ والممارسة الغلط.. وبالتالي لجعل الناس يبتعدون عن العونطجيّة والسرسرية والناس الدون (قليلي الأهمية) من خزّانة ومحتكرين وكلاليب جنائز وسلتجيّة، وجماعة الثلاث ورقات والكشاتبين!!. اعتقاداً منه بوجود الكثير من أمثال الحوت في المجتمع وكل واحد منهم يسرح ويمرح كما بدا له.

٧- مهارة أبو شاكر:

وأبو شاكر في ذلك كله يعطي كل خيال من شخوصه لهجته وغنّة صوته وأسلوبه في مخاطبة الآخر.. ويرفق ذلك بالحركة المناسبة عنفاً أو ليونة حسبما يقتضيه الصوت الصادر عن جميع شخوصه، وإذا اقتضى الأمر أن يلطم أحد الشخوص الشّخص الآخر فإن ذلك لا يمنع أن يكون اللطم على خدّ أبي شاكر استكمالاً لعناصر الحدث من حركة وصوت.. وبالطبع فإذا ذلك كان ينطبق على جميع أعمال الكركوزاتية أكان ذلك في دمشق أم في غيرها من الحواضر.

٨- بكري مصطفى سبع اسكيدار:

وتعود شخصية أبو الشباب بكري مصطفى، ويُعرف باسم سبع اسكيدار، إلى أنّه أيام العثمنلي (الدولة العثمانية) كان يوجد حكمداراً (والياً) لفى عليه أزعر من نمرة (شاكلة) الحوت وقد رغب ذلك الحكمدار أن يتسلّى

بذلك الأزعر، ويقطّع عليه وقت، لكن الأزعر ما لبث أن أصبح من أصحاب الحكمدار المقربين. فأوكل الحكمدار إلى ذلك الصاحب مهمّة التحصلدار (المهام المالية في الولاية) فأصبحت أمور الولاية في يد الأزعر. فاعتقد أن بايقته (مكانته) قد ارتفعت، فعمد إلى إصلاح مظهره، فلبس الشروال الجوخ والميتان الحرير، وتزنّر بالشملة الحرير، وعوج الطاقية على رأسه، ولبس الكندرة (حذاء) الكسر وأصبح عنده عوانية (مرتزقة) وقال: يا أرض اشتدّي ما حدا قدّي..

وهكذا أصبح هذا الأزعر أنموذجاً أطلق عليه الكركوزاتية اسم أبو الشباب سبع اسكيدار بكري مصطفى.. وأصبح كل ما صادف كركوزاتي فصلاً خائساً من ذلك النوع، ينسبه لشخص بكري مصطفى المذكور. وأطرف ما في الأمر أن شخص بكري مصطفى نفسه اعترف بذلك: ففي أحد الفصول يصادف بكري مصطفى جنازة، فأمر بإنزال النعش، ثم اقترب منه وهمس في إذن الميت بقوله:

إذا سألوك عن أحوال البلد، قول لهم إن بكري مصطفى حاكمه.. وهم يعرفون أحوال البلد بأنفسهم.

وقد شبّه أبو شاكر وجود شخص بكري مصطفى في الفصول التي يقدّمها بحال البلد. فعندما يتراخى أصحاب الشأن في رعاية من لهم عليهم الرعاية والولاية والحماية تنعدم سلطة الدولة ويظهر أمثال الحوت من الزعر، ويصبح للبدوي أن يأكل على رأس ابن المدينة بالطبق وهو يقول له طورق (إنحني) على سبيل الاستهانة[٦].

٩- يُحبّ دبّاحه:

غادر أبو العزّ جناح القصر بعض الوقت، وقبل أن يدخل أبو أحمد في موضوع آخر يتناول شخوص أبا شاكر، اقترح المختار أبو دياب على أبي

عمر أن يحكي للحضور قصة قبل أن يأتي أبو العزّ ويطلع له سنجق عرض ويآجر به ويعمل من جلده دربكّات. لكن أبو عمر طلب التريث ريثما يأتي أبو العز، لأنّ السهرة بدون أبي العز ليست لها نكهة.

رد عليه أبو دياب:

- **أبو دياب:** والله يا أبو عمر، انت بتحبّ دبّاحك!! مو بإيدك متعوّد عالطروَقة، والحق مو عليك.. لأنّه إذا ما آجر فيك أبو العزّ ما بيهنئ لك عيش. ومنشان هيك انت واحد ما منّك خواصّ، والواحد معك بيدقّ الميّ (الماء) وهيّة بتبقى ميّ، وما بتنفّذ غير يلّلي براسك حاكم بدنك بياكلك.. ومنشان هيك تندهن منّك اله!!..

لم يكد أبو دياب ينهي كلامه مع أبي عمر حتّى كان أبو العزّ يلقي السلام عليهم. فلما أُخبر بما قال أبو عمر عنه قال:

- **أبو العزّ:** لا تصدقوه يا جماعة، هادا أبو عمر عم يحكي هيك لحتى يغطي السموات بالقبوات.. شو أبو عمر؟!! شو عامل.. قول وعليك الأمان مليح هيك؟!!.. يمّا خابص لك خبصة كبيرة من يلّلي بالي بالك؟!!..

- **أبو عمر:** لا والله أخي أبو العزّ.. وانت بتعرف معزّتك عندي بسّ أبو دياب بالظاهر ناوي يرميها بيناتنا. وهوّ عرفان أني بحبك.

- **أبو العز:** يحبّك الحبّ وغضب الربّ، يعني شو معناة هالكلام هلأّ. يعني وأنا كمان بحبّك وبحب الدبابة تمشي على قلبك.. لازم دقّ بالطبل ونادي: يا هو أنا بحب أبو عمر.. صعي أبو عمر إيمتى لحا تعزمنا على أكلة دبّابة من أكلات أيام زمان.

- **أبو عمر:** لك آخ منّك يا أبو العزّ آخ. والله احترت والله حيّرني معك من وين ما مسكتك بتزمط.. مثل الزيبق!!.



أبو شاكر الكركوزاتي

بعد أن استقرّ مقام أبي العز، واستباح من أبي عمر ما أراد أن يستبيح قال أبو راشد:

- **أبو راشد:** وهلاًّ أبو عمر.. صار الشغلة بدها ذوق.. أخي أبو دياب قال لك أن تحكي لنا حكاية سيرة.. قلت ليجي أبو العزّ قلنا لك شو دخله أبو العزّ، قلت ما بتحلى القعدة (الجلسة) بلاه. وهَيّ إجا أبو العزّ. بقا لحا تحكي، يمّا كل واحد منا يروح على بيته أحسن..

أجابه أبو عمر بنَزَق وعلى غير عادته:

١٠- بياكل وبينكر:

- **أبو عمر:** أخي أبو راشد، ما بدها كلام من فوق الأساطيح.. يلّلي دفعته بلاه (في غنى عنه) وباب القهوة بيطالع جمل.. يمّا إلك عليّ ضربة لازمة!!.

استنكر أبو العزّ كلام أبو عمر قائلاً:

- **أبو العز:** من إيمتى (متى) كنّا والشمس ترقعنا يا أبو عمر، شو نسيت أنك عم تحكي مع أبي راشد يلّلي طول عمره إيده لحلقك(٧)؟!!.

- **أبو عمر:** الله يخليك أبو العزّ، لآ أنا ما نسيت، بس ما بقي غير يركبني. شو عم يدفع لي زكاة عنّه.. عم يحلق ويدفع لي إجرة الحلاقة.. حدا قال له كثير.. قليل!!.. بعدين أخي أبو العزّ اله يخلّيك لا تحرف وأنت بتعرف الله ما إنشاف بالعين بس بالعقل انعرف.. وفوق هيك ما سمعت كلامه يلّلي بيهرّ اللقمة من الفم؟!!. ومنشان هيك أنا من هلاًّ على هوى السوق بدّي سوق.



بكري مصطفى وأشقو آغا

انتهر أبو العز قول أبا عمر بحقّ أبي راشد، ووصف أبا عمر بأنّه مثل القطط (الهرر) بياكل وبينكر، فتدخل أبو دياب بقوله:

- **أبو دياب:** ذوق بقا أبو عمر، ما وصلنا لهون.. نحن طول عمرنا إخوات عالحلوة والمرّة.. شو نسيت الخبز والملح!!. وبعدين إذا إنت حلاق وأبو راشد علاّف وأنا المختار وأبو عكيد سروجي.. شو فيها.. آ.. كون بدّه يعمر والله يديم المحبّة.. مو هيك؟!!.

فقال أبو عمر: الله يلعن الشيطان.

- **أبو العز:** بعد إذنك أخي أبو دياب. خلّيني قول لهالمنظوم شو دخل الشيطان.. آ.. يمّا كل ما عمل الواحد عملة يا خبص له خبصة.. وقع بطابوسة بيلعن الشيطان.. لك عمي الشيطان هون (مشيراً إلى رأسه) ومنشان هيك هالكلام ما عاد ينسمع بها الأيام.. ليش ألله عطانا عقل؟!!..

قنع أبو عمر بقول أبي دياب، وندم على ما صدر منه بحق أبي راشد. فما كان منه إلاّ أن تقدم من أبي راشد يعتذر إليه ويقبّله طالباً السماح منه. فقال أبو العز مخاطباً أبي عمر:

- **أبو العزّ:** أي سيدي.. فرتينتك وخلصنا منها.. بقا بدّك تقول لّي شو قصة هالحكاية؟!!.

أجابه أبو عمر أن لا قصّة ولا حكاية، وكلّ ما في الأمر، أنّ الجماعة طلبوا أحكي لهم شي قصّة.. حكاية.. نهفة، قلت لهم مو حلوة إحكي وإنت ما لك هون.. عقب أبو عجاج على ذلك بقوله:

- **أبو عجاج:** الله وكيلك يا أبو العز، كعينا فيه إنّه يبيض هالجوهرة، لكن لا تغلب!!. قال شو.. ما بيسلطن بالحكي بغيابك.. فيك تقول بياكله بدنُه وما بيعود في مين يبورد له.

حاول أبو عمر أن يدحض قول أبي عجاج لولا أن اختصر أبو العزّ ذلك الجدل، وسأل أبا عمر:

- **أبو العزّ:** أي سيدي أبو عمر ما علينا.. شو لحا تسمّعنا هلأّ؟!!.

أجاب أبو عمر: والله يا أبو العزّ جاية على بالي إحكي لكم شو حكى لي أبو حدّو، بس بدكن تطوّلوا بالكم عليّ شويّ وما حدا يطلع لي سنجأ عرض.

فقال أبو أحمد:

- **أبو أحمد:** إن شاء الله أبو حدّو.. هادا السنحوك، يلّلي كان شرطي؟!!.

- **أبو عمر:** إي أخي أبو أحمد هوّ بذاته.. بس يا جماعة هالزلمة شغلة وفردة ما إلها إخت.. وتاريه مخبّى بتيابه.

اعترض أبو العز على أبي عمر على تعداده مناقب أبا حدّو طالباً منه أن لا يغطّي السموات بالقبوات وأن لا يلف ويدور كعادته يا إما يفضّها سيرة.

سارع أبو عمر بالقول:

- **أبو عمر:** والله يا أبو العز من كام يوم قصدت رب العالمين وقلت يا رزّاق يا كريم. ولسّا ما فتحت الدكان، ولاّ كان أبو حدّو مكعّب ورايّ.. قال شو؟!!. مرته عاملة صبحيّة عند جارتها، قام ضاق خلقه.. إه.. حبّ يجي لعندي يتسلّى له شويّ.

اعترض أبو عجاج على خوض أبو عمر في خصوصيات أبي حدو، فضلاً عن أن هذا الأخير ليس في اهتمام أحد من الحاضرين، كونه ليس أكثر من زلمة مصوفن لا بالعير ولا بالنفير، وكلّه على بعضه عِرق ونصف وإذا شفّيته ما بيطلع منّه رطل لحم. وفوق هيك فإن أبا حدو خالص كازه وهربان من تحت إيد المغسّل وضيعان الوقت بسببه.

١١- السنحوك:

دافع أبو عمر عن رأيه بدعوى أن قصة أبي حدو قصّة وحكايته جرصه، لما تتضمن من الطرافة والغرابة. ولأنّ ذلك السنحوك يلّلي ما له

عاجب حدا، له كل نهفة أحلى من الثانية، وخصّ نصّ لمن بيعلق مع مرته الأربع غرف وصوفا، لأنّه وإياها مثل الفيل والنملة.. فامرأة أبي حدّو بتفصّل منه خمس زلم بعيون الشيطان، ويا ويله إذا وقع بين أيديها لأنها بتمعسه معس، مثل ما معسته يوم سلت من على التخت وحبّت تسحبه!!..

ولما استغرب الحضور ذلك أكّد أبو راشد قول أبي عمر وتحمّس لذلك بقوله:

- **أبو راشد**: يا جماعة لا تستغربوا هالمخلوقة أنا بعرفها.. ووقت سلت أبو حدّو من على التخت صار يبلعط تحت إجرها مثل الفرخة المدبوحة.. أي والله خطرة (مرّة) كانت بدها تركب تراماواي المهاجرين لك صارت فرجة.. لأنها ما قدرت تفوت من باب التراماواي، فدحشوها دحش وزركوها زرك. والله يعينها وقت بتمشي بتميل عالجنبين مثل الهودج.. وكلّ خطوة بطلقة (مخاض). ومنشان هيك هالزلمة بيخاف من مرته، لأنّها إذا نفخت عليه بتلزقه بالحيط. ومرّة عزمني أبو حدو أنا وحمدي السمان في يوم جمعة على كسر الصفرة، قامت الأربع وصوفا سوّدت له يومه. بقا منشان هيك خلّي أبو عمر يحكي لنا شو قال أبو حدو.

ردّ أبو دياب على قول أبي عجاج بأن من المعروف عن أبي حدّو بأنه زلمة بحاله، ولا يحب مشاكلة أحد، يعني لا بيتسرّى ولا ينام برّه (خارج بيته).

أجابه أبو عمر: أن أبا حدو في حقيقة أمره على غير ذلك النحو، لأنّه سكّرة ومهضوم وبيحب الناس. زد على ذلك أنه يحبّ المغنى والطرب كونه صوّيتاً، لكنه كان يحسب حساب لزوجة.. يقدح حريمها طابقة على صدره وما لها مخلّيته يوحّد ربّه مثل الناس. وفوق هيك ما لها مخلّية حيلته حيلة ومن هالشي بتلاقيه دايم الدوم مهبي وعالحديدة. قال شو بتغار عليه وخايفة لتلعب عينه لبرّة وينقر زواجه عليها.

علّق على ذلك أبو رياض بقوله:

- **أبو رياض:** لفّها أبو عمر.. أي والله هالسنحوك إذا بتحطّه على باب الزقاق ما في مين يقول له: مرحبا قراداش. لك ما له صفيان منّه المخبّر.. قال راح ساقه وسمّاقه وما صفّى منّه غير ضيق خلاقه (خلقه) لك عايش من قلّة الموت.

ما إن توقفت تعليقات الحضور عن أحوال أبي حدو حتى تابع أبو عمر قوله:

- **أبو عمر:** ما علينا.. بس يلّلي بيهمنا من أبي حدّو أنّه كان من صغره محسّب حاله صاحب طرب ومغنى.. وما كان يشم ريحة طهور تلبيسة إلاّ بتلاقيه عابط هالعود ومتصنيع لحتّى يغني.. وعلى الحضور سماعه حتى لا ينطمز.. وفي جميع الأحوال فإنّ أبي حدّو كان يعتبر المغنى باب رزق يدّر له بعض المال على مبدأ حصوة بتسند جرّة.. لكن ذلك المغنى كان دون علم زوجه.. ويا ويله وسواد ليله إذا علمت زوجه شيئاً عن هذا القبيل.

١٢- تاريه منام:

وذات مساء كان أبو حدو يضرب أخماس بأسداس فإذا بباب الزقاق يطرق، تطلّع هالنّاح.. وهالنّاح.. شاف مرته نايمة، تناوأ من وراء المندلون، شاف واحد على باب الزقاق، سأله أبو حدو عن ما يريد، فقال الرجل أنّه وصحبه قاصدين الله وقاصدينه لأنّ عندهم عرس وما بينبسطوا إلاّ على صوته. سأل أبو حدو عن موقع العرس، قال له الرجل إنّه قريب ولا يبعد أكثر من فركة كعب. سارع أبو حدو إلى ارتداء ملابسه وتأبط عوده (آلة الطرب) وامتطى وراء الرجل على الطرطيرة.

انطلق الرجل بأبي حدّو وهو يطجطج وراءه على الطرطيرة من طاروق إلى طاروق ومن بستان البلعوط إلى بستان الشيخ شمعون إلى توتة

السبيل فالقناية.. نزلا ليشربان، لكنهما لم يريا نفسيهما إلاّ محاطين بثلاث أربع مشلحين ملثمين، وكل واحد منهم ناترلك شبرية بتفري الزّرد، ولسّا ما تحرّكا إلاّ وكان أحد الملثمين يصيح بهما:

وقف عندك إنت وإياه قبل ما بجّ كرشك واتزنّر بمصارينك..

وهيك هالمشلحين خلّصوهما جميع ما معهم حتى العود والطرطيرة. وصفى أبو حدّو يد من وراء ويد من قدّام فوق ما هو منتوف.

ما كان من أبي حدّو إلاّ أن يضع قدماه بظهره ويشدّ هارباً من المشلحين وهو يقول يا فكيك ويا روح ما بعدك روح(٨).

وفيما كان أبو حدّو هارباً على ذلك النحو تشركل بحجر فوقع وأدمى رأسه. وصار دمه حميمه كما يقولون. ربط أبو حدو رأسه بجرابه وشد على قدر ما يقدر متابعاً هروبه.. فما وجد نفسه إلاّ بساحة المرجة عند سوق علي باشا.. بدّه يروح عالبيت خاف لتقوم مرته تفتح له محضر (تحقيق).. تطلع بساحة المرجة وجد ناس نايمين عالحشيشات، قال لحاله لإتلقّح لي ساعة زمان بيكون أذّن الصبح، بغسّل وبصلّي وبعدين بروح عالبيت. وما لحق يتلقّح حتى كان واحد نايم جنبه معانقه ونازل فيه بوس وكجمجة، ملص منه وتسطّح بإرنة ثانية، قام حسّبه واحد من النايمين مخدّة قام حط راسه على خاصرته ونزل شخير، كمان ملص من تحت راس هالزلمة واتداري بإرنة متطرفة، وما غفلت عينه إلاّ وكان واحد نايم حاطط رجله فوق وجهه.. بدّه يرفع رجل هالزلمة عن وجهه ما حسّ إلاّ واحد عم ينعره ببسطاره وعم يقول له: قوم ولاه.. ما تاري هالزلمة شرطي يرفسه ببسطاره ويقول له:

وأنت شو عم تعمل مع السكرجية والعواطلية هون.

تدحكل أبو حدّو من اللبطة. قام ما شاف حاله غير واقع من على التخت ومرته عم تشدّه ليقوم. ما تاري أبو حدّو كان متقّل بالعشا وشايف منام!!..

١٣ - الكركوزاتي:

أعجب الجميع برواية أبي عمر عن أبي حدّو. فما كان من أبي دياب إلاّ أن طلب إلى أبي رياض أن يختم هذه الجلسة بما يطرب من مغنى، لكن إلقاء السلام على الحضور من قبل أبي شاكر الكركوزاتي قلب الموازين، وجعل الجميع ينصرفون إلى الترحيب بأبي شاكر والتأهيل به والتعبير عن انشغال بالهم عليه خلال غيبته عنهم. برر أبو شاكر هذه الغيبة بفتور عزيمته عن المخابلة لإنصراف كثير من الناس عن مشاهدة مسرح كركوز وعيواظ..

لم يقبل أبو دياب قول أبي شاكر بشأن مسرح كركوز وعيواظ، بدليل أنهم لم يهدأ لهم بال طوال غياب أبي شاكر عنهم، لأنّ جماعة أبي شاكر من كركوز إلى عيواظ فالمدلل وبكري مصطفى وحتّى الآغا وقريطم منهم وفيهم كونهم يعيشون الآمال والتطلّعات التي تحدو بكل واحد من الحاضرين ومن لفّ لفّهم. وإذا صدف أن صدر عن هذه الشخوص ما يخرج عن تذوّق البعض أو مشاعره وتطلّعه فإن ذلك لم يعدو عن زلّة لسان أو تبرير سلوك للوصول إلى الهدف الأمثل.

وأكد على ذلك أبو العز بقوله مخاطباً أبا شاكر:

- **أبو العز:** شوف أخي أبو شاكر وحياة الخضرة ورب القدرة انّ كل شي سمعناه منّك محفور هون (مشيراً إلى رأسه) وما بينتسى منوب منوب. ووقت درينا إنك سافرت تخربط دوزاننا، وما لي مصدّق إنك بيناتنا، ولحا يرجع كركوز وعيواظ يعلمونا شلون لازم تكون الحياة وشلون بده الواحد يعرف الخير من الشرّ. وشلون إذا حط الواحد إصبعته بعينه لحا توجعه مثل ما بتوجع غيره!!..

واستكمالاً لقول أبي العزّ قال أبو دياب:

- **أبو دياب:** ومنشان هيك أخي أبو شاكر من بكرة لحا نزّين لك القهوة زينة تليق بمقامك، وهذا الشي لأنّ كلّ الناس حبّوك وحبوا يلّلي تعلموه منك وإنت وراء خيمتك. لأنّه إلك حق برقابنا وحق الخوّة دين.

أعرب أبو شاكر عن امتنانه للكبارية، كما أبدى اعتزازه بمعجبيه محبي مسرح كركوز وأعقب ذلك قوله:

- **أبو شاكر:** الله الله.. يا دنيا.. والله يا جماعة شي بينومس وبيخلّي الواحد يحنّ لهديك الأيام، لأنّه يلّلي ما له قديم ما له جديد.

استدرك أبو دياب قول أبو شاكر قائلاً:

- **أبو دياب:** ونحنا يا أبو شاكر بدنا إيّاك تظلّ فارس خيمة الشام.. بقا إذا بتساير لنا أبو العزّ وبتفشّ لنا قلبه لحا ننسر كلّنا ومثل ما بتعرف أبو العزّ أبضاي وزكرت وما بيهون عليك فيه.

فما كان من أبي شاكر أن قال:

- **أبو شاكر:** أخي أبو دياب، والله أنتم على راسي من فوق، وأبو العز حبيب قلبي من زمان. وهالشي يلّلي قلته أخي أبو دياب بيفرّحني بس يا حسرة.. العين بصيرة والايد قصيرة. أنا من وقت ما سافرت ما عدت عرفت شو عاد صار بجماعتي كركوز وعيواظ وأصحابهم.. وفوق هيك أنا ما بعرف شو عم يصير بالمحاكم والسوق والقهوة والدكاكين.

- **أبو العز:** مزبوط أخي أبو شاكر.. بس نحنا منعرف أنه بيت السبع ما بيخلى من العظام، يعني بدنا شي من قريبه.. والجود من الموجود.

وافق أبو شاكر على طلب الكباريّة، فعقّب أبو دياب بقوله:

- **أبو دياب:** يا جماعة.. أبو شاكر حاسس فيكم وهوّ ما لحا يأرجينا غير الشي يلّلي رضيان عنه.. اتركوها إله، وما لحا تكونوا غير مروّقين.

فكر أبو شاكر بطلب الكبارية وتشوّقهم إلى مشاهدة شيئاً من أعماله. لكن الإمكانيات اللازمة لذلك غير متوفرة. فشخوصه لم تعد على قدر كاف

من الجاهزية، وتحته الموسيقى الذي يرافق عروضه من صوّيت وعوّاد ورقجي وقانونجي ولاعب قصب تفرقت عناصره بحثاً عن لقمة العيش.. على ما لهذا التخت من أهمية، ذلك أن ظهور كركوز وعيواظ على الشاشة من دون ذلك التخت مثل اللّحمسة عالعتمة كما يقولون. والمشاهد لا يستسيغ ذلك بحال من الأحوال، فضلاً عن ذلك فإن من المشاهدين إذا انسجم مع العرض قد يدلي بدلوه بتقديم موال أو عتابا أو قرّادية.. وغير ذلك مما يعبّر عن مشاركته أحداث الفصل (البابة) المقدم على شاشة مسرح الظلّ.

ورغبة من أبي دياب في حلحلة ذلك، عمد إلى تسهيل الأمر على أبي شاكر بقوله:

- **أبو دياب:** أخي أبو شاكر هذه أمور مقدور عليها، فأبو مستو سيقوم بما يلزم للشخوص، بشدّ أوصالها وترميم ما أصاب بعضها، وعبودة سيقوم بتنظيفها وإزالة الرطوبة عنها وجعلها جاهزة للقيام بأدوارها.. وهيّ عندك أبو رياض سيوفّر ما يلزم التخت الموسيقي من مغنى وطرب، ومثل ما بتعرف أبو الروض أبوها راعي الزرقا. وعندك أبو عمر بيقدر يساعدك وراء الخيمة ويناولك كل شي لتحت إيدك.. وشلون ما كان حصوة بتسند جرّة.. ولا يهمّك أخي أبو شاكر.. كل شي مثل ما بدّك[٩]!!..

لم يعد أمام أبي شاكر ثمة سبب يعيقه عن تلبية رغبة الجماعة على أن يكون ذلك بعد صلاة عشاء يوم غد، بحيث يكون المقهى قد استكملت فيه الزينة على أحسن ما يرام.

سرّ أبو شاكر بما قال أبو دياب، لكنه بقي مشغول البال حول إمكانيّة قيام أبو رياض بتوفير الجوّ الموسيقي المناسب، فاستمزج أبا رياض حول ما يمكن تقديمه.. فقال له أبو رياض بأنّه سيسمعه هذه الأغنية:

- أبو رياض:

بــــــلا كنفـــــــشات ... بــــــلا طنطنـــــــات

ديــــــك الحـــــــبش ... ســــــلطانه مـــــات

وكـــل واحـــد مـــنكم ... عم بيضحّي بولاد جنسه

وعـــم يجـــرّ النـــار ... لقرصـــــــــــــــه

يــــــــــــا أوادم ... زوقـــوا وكمـــان حـــسّوا

يـــا جماعـــة الخيـــر ... خـــــــــــافوا الله

منـــــــــشان الله.. ... خـــــــــــافوا الله

وبــــــلا كنفــــــشات ... وبــــــلا طنطنــــــات

ديــــــك الحــــــبش، ... ســــــلطانه مـــــات

جبتـــوا لنـــا الـــضيق، ... مـــن فـــجّ عميـــق

ابــــــــــدا والله ... حالـــــة بـــــدّها:

حلــــــــــم الله.. ... حلــــــــــم الله

وبــــــلا كنفــــــشات، ... وبــــــلا طنطنــــــات

ديــــــك الحــــــبش، ... ســــــلطانه مـــــات

١٤ - أساطين الكركوزاتية:

سرّ أبو شاكر أيمّا سرور بما قدم أبو رياض وقبل أن ينصرف أبو شاكر بادر أبو دياب إلى سؤاله:

- **أبو دياب:** شلوني معك أخي أبو شاكر.. تمام مو هيك؟!! خوش الحال من بعضه وهالشي فضلة ديّاتكم لأنّ أبا الروض أحبّ على قلبه تقديم

شي لكركوز وعيواظ. بسّ أخي أبو شاكر خطر ببالي أني إسأل عن كركوزاتية حلب وحمص. فأهل حلب بيحبّوا المغنى والطرب وعندهم كل صوّيت بيسبي سبي.. يعني شو أخبار هالكركوزاتية بحلب، يا ترى لسّا الهم دور عند أهل حلب؟!!

أجاب أبو شاكر:

- **أبو شاكر:** والله يا أبو دياب بحلب الحال من بعضه، فأهل حلب بعد الدباغ وسرور وهدهد قلّ ميلهم إلى مشاهدة بابات (فصول) كركوز وعيواظ، ومنشان هيك فإنّ وضع الكركوزاتية بحلب ما عاد بيسرّ صديق وكمان (أيضاً) بحمص بعد ما راح البخّاش لرحمة ربه ما عاد في مين يعبّي مطرحه.. وفوق هيك فإنّ أبو سليمان بطرطوس واللاذقية يلّلي كان يجيب عشرة أصوات بغنّتها ورنّتها، ويللي كان يعمل عراضة لحاله (وحده) وراء الخيمة ما عاد أبو سليمان هداك!!. لقد فضيت الساحة من بعده وما عادت انتصبت خيمة كركوز في هداك الصايح، مثل زمان أوّل، بعد ما كان أبو سليمان يغطّي حتى طرابلس وبيروت وحيفا وعكا.. الله يرحمه. كان أواخر أيامه يجرّ حاله جرّ إذا كان بده يمشي خطوتين.. ولمّن يئس كبّ (ألقى) كلّ شخوصه بالبحر لحتّى ما حدا يبهدلهم من بعده!!. ليش؟ لأن المعلمية إلها أصول ومو كل مين صف الصواني بيحق له يقول أنا حلواني، وما حدا بيقدر يحلّ محل أبو سليمان!!. لك آخّ الواحد شو بدّه يقول يا أبو دياب لحتى يقول.. شلون ما كان ما لازم الواحد ما ينسى إنه كان في شي اسمه كركوز وعيواظ، ويا ريت يجي يوم يطلع فيه ناس يقدموا كركوز وجماعته لحتى يعلّموا هالجيل يلّلي ما تعلّمه بالكتب وما سمعه بالراديو مثل ما تعلّم أبو خليل القبّاني قبل ما يسافر إلى مصر، ومثل ما تعلّم سلامة الأغواني وخلاّه يقول الشي الذي قاله، ومحفوظ باسمه بفكرنا.. الله يرحمك يا سلامة الأغواني شو كان قلبك عالبلد وقديش كان لسانك يترغل بالأمل والألم!!..

١٥- عرض من نشوة الماضي:

استكمل عبودة (احتفاء بعرض أبو شاكر) تزيين المقهى ونصب خيمة العرض، واعد الفندي (الضوء) اللازم، ورتّب الشخوص المشاركة حسب نزولها على الشاشة، وأطلع أبا عمر على ترتيب تلك الشخوص كما رتّب الكراسي للجوقة الموسيقية التي سترافق العرض بحيث يمكن التواصل بينها وبين أبي شاكر وهو راء الخيمة.

وقد استقرّ الرأي مع أبي شاكر على تقديم غرزة (فقرة) يشارك فيها كركوز وعيواظ والمدلل شلبي ودروني زادا، فضلاً عن زوج عيواظ. وتضمّنت هذه الغرزة طقطوقة على لسان عيواظ وبمرافقة الجوقة وهي:

- **عيواظ:**

شـــاكل شـــبريته يـــا لا لا　　　على خشاف الـــورد يـــا لا لا

يـــا محـــلا دلالـــه يـــا لا لا　　　وبقلبـــي وصـــاله يـــا لا لا

وإن شاء الله بداله يا لا لا

بيغمـــز بعيونـــه يـــا لا لا　　　من تحت الحاجـب يـــا لا لا

يـــا محلـــى دلالـــه يـــا لا لا　　　وبقلبـــي وصـــاله يـــا لا لا

وإن شاء الله بداله يا لا لا

كما تضمّنت أغنية يا ماريّا يا واقفة عالباب وهي من الأغاني التي كان يرددها أبو سليمان وقد أدّاها أبو رياض بمرافقة الجوقة:

- **أبو رياض:**

يـــــا ماريـــــا يـــــا واقفـــــة عالبـــــاب،

يـــــا مـــــــسوسحة القبطـــــان والبحريـــــة

حنّي عليّا لاشتري لك تونس، لو كان معايا مال

لاشتري لــك تــونس واركــب علـــى الأدهــم

وخلّص لــك يــونس لــو كــان معايــا مـــال

آه يـــا ماريـــا يـــا واقفـــه علـــى البـــاب

ردّي عليّا يا مــسوسحة القبطـــان والبحريّـــة

لاشـــتري لـــك طنطـــا لـــو كـــان معايـــا مـــال

وآخد سبع بنات بالعونطة لو كان معايـــا مـــال

يا ماريا يـــا واقفـــة يـــا واقفـــة علـــى البـــاب

ردّي عليا يا مــسوسحة القبطـــان والبحريـــة

أراد أبو شاكر أن يقول من هذه الغرزة وعلى لسان شخوصة انّه يجب أن لا يكون الرجل مطيّة لزوجه ولا العوبة بين يديّها.. فلا يستطيع أن يردّ لها طلباً أياً كان ذلك الطلب.. محاولاً شتّى المحاولات التي لا تخطر على بال، أملاً في الوصول إلى إرضاء زوجه التي يكون همها الأكبر التفاخر والتعالي على أندادها..

ولما وجد كركوز عيواظاً مرمياً على الطريق وحوله أكوام القمامة بعد أن طردته زوجه.. حاول كركوز مساعدة عيواظ وتقديم النصح له.. لكن عيواظ لم يستجب لكركوز فقال كركوز:

- كركوز:

نصحتك ما انتصحت الطبع الردّي فيــك غالـــب

ذنب الكلب أعوج ولـــو حطّيتـــه بميـــت قالـــب

وفي خاتمة المطاف طلب كركوز إلى عيواظ أن يشتري قطعة من المرس (حبل رفيع) ويعمد إلى تشحيمها، ومن ثمّ يعمد إلى تعليق نفسه بذلك الحبل من على شجرة عالية فلما استنكر عيواظ ذلك من كركوز أجابه بقوله:

- **كركوز:** خرجك والله لا يقيمك، لأنّ يللي بيرضى تكون مرته (زوجه) راكبته لإيش عيشته.. خليه ينقبر أستر له[١٠].

الحواشي والإيضاحات:

١ - المقلاة: ارادوا تقليب وضع مساوئ المرء وإغفال محاسنه. بالع الموس عالحدين: مثل شعبيّ بحق من يتقبّل الهوان مكرهاً. حفر وتنزيل: وفقاً للرغبة. يلّلي: التي. الخانة: المكان، أو الموقع. مرس: غلب كامل. حلِّ: دع. يخاوز: يغالط. منشان: من أجل. هيك: هذا. بإيش: بأي شيء. فرار: أرادوا في عطلة. لحا: سوف. على حافّة القبر: دنوّ الأجل.

٢ - يطقّ برغي: افتعال إشكال. ساعة سمّاعة: جديرة بالاهتمام. الحركشة: التحرّش. يمّا: أو. ملحه على ديله: ناكر للجميل. هيك: هذا. عاجنينك وخابزينك: على معرفة كاملة بك. حلاب النملة: كناية عن الحرص ومثلها: أبو كمّونة. لابح: أعمل بعناء. العلق: نوع من الديدان تمتصّ الدم الفاسد من الإنسان. المخمّسة: خمس ليرات سورية. مو: أليس. سلت: وقع دونما انتباه.

٣ - لهون: إلى هذا الحدّ. بوش: هباء. على قماري الحمام: خالي الوفاض. عرق عيني: عزيز عليّ. رقبتي سدّاده: أرادوا على استعداد للوفاء. ما بيطلع عن ضربة: كناية عن الحرص أو البخل. شندي: نقداً وسلفاً. من غير دف عم نرقص: مثل شعبي أرادوا به النأي عن الإشكالات. بهيّ: في هذه. تئبشني: تسلم لي.

٤ - مناغشة: أرادوا مداعبة. أبو شاكر: انظر كتابنا معجم بابات مسرح الظل، إصدار مكتبة لبنان – بيروت ١٩٩٥.

٥ - نتف ريشك: شدد عليك الإحراج. غازز: أرادوا ذاهب. دردر: قدِم. برات: خارج. كام يوم: بضعة أيام. ليكها: ها هي. هدول: هؤلاء. خرط مشطهم: أعجبهم. الدباغ وهدهد وسرور: من أساطين مسرح الظل في حلب. الدمعة: ارادوا الأنموذج. من ضهر أبوه: بمعنى الأصيل. المعتّة: البايخة أو السخيفة.

٦ - أولاد آدو: الزعران. الكركون: مخفر الشرطة. هف المصاري: جمع الدراهم. كلاليب الجنازة: المتطفلون جماعة الثلاث ورقات والكشاتبين: النصابين.

٧ - سنجأ عرض؛ سنجق: أرادوا معارضاً. يؤآجر به: يتناوله بالنقد والتجريح. ما منك خواص: عديم الجدوى. تندهن منّك له: أنت وشأنك وإياه. يغطي السماوات بالقباوات: يخفي ما يجول بخاطره. خبصة: مكروه. أكلة الدبابة: برغل ناعم مع إلية الخاروف والبصل الناعم والملح والبهار مع الجوز تدعك حتى تتماثل وتقدم. ايده لحلقك: أرادوا كثير الإكرام.

٨ - كلام بيهرّ اللقمة من الفم: يسقطها، أرادوا: قسوة الكلام. الفرتينة: الإشكال. السنحوك: النحيف. يفضّها سيرة: يلغيها. شويّ: قليلاً. مصوفن: أرادوا: هرم. خالص كازه: أرادوا على حافة قبره. الأربع غرف وصوفا: كناية عن السمنة المفرطة. متصنبع: يجلس في مكان بارز. ينطمز: يأخذ على خاطره. هالنّاح: في هذه الناحية. تناوأ: طلّ، نظر. المندلون: شبك مع الخشب يسمح بالنظر. فركة كعب: مسافة قصيرة. الطرطيرة: درّاجة. طاروق: الممر في الحقل. الشبرية: نوع من الخناجر يتميز بنصل مستقيم.

٩ - شدّ: أرادوا أسرع. كجمجه: عبطه وعانقه وقبّله. بسطاره: حذاءه. تدحكل: وقع. لفّ لفّهم: أمثالهم. منوب: أبداً. شلون: كيف. هديك: تلك. بينومس: يرفع الرأس. هالشي: هذا الشيء. العين بصيرة والإيد قصيره: مثل شعبي أرادوا به التعبير عن قلّة إمكانية الاستجابة. بيت السبع ما بيخلى من العظام: مثل شعبي أرادوا به إمكان العطاء على قلة ذات اليد. رقجي: ضارب إيقاع على الرق أو الطبلة. القرّاديّة: من الغناء الشعبي. راعي الرزقا: عنوا به الأهل لذلك. حصوة بتسند جرّه: مثل شعبي أرادوا به أن الشيء الصغير قد يكفّ أو يصدّ البلاء الكبير.

١٠ - خوش: عبارة تأكيد. شلون ما كان: كيفما كان. قديش: كم، مقدار.

٦- الدنيا.. أكبر همه

١ - بتاع كلّه.

٢ - أكرك عجم.

٣ - شو آخذ من الدنية.

٤ - الله يجعله خير.

٥ - في حمام الزين.

٦ - طلعت فالصو.

٧ - حلاق بالمقهى.

٨ - الدكان مركز وقيمة.

٩ - التآخي بالدم.

١٠ - البيك والخادمة.

١١ - المعلم والأجير.

١٢ - جاجة حفرت.

١٣ - من دق دق لسلام عليكم.

١٤ - بنت المعاون وعالمايا.

الشخوص المشاركة:

١ - الكبارية: أبو دياب، أبو العزّ، أبو راشد، وأبو عجاج.

٢ - أبو عمر الحلاق.

٣ - عبودة صانع المقهى.

٤ - تحسين أجير أبو راشد.

٥ - أبو عبده قيم حمام الزين.

٦ - البيك والصانعة.

٧ - فوزي الحلاق.

٦- الدنيا أكبر همه!!..

١- بتاع كلّه:

لما كان يوم الاثنين يوم عطلة لدى الحلاقين، فقد عمد أبو عمر إلى خصّ ذلك اليوم بالزّبن الدسمين من حلاقة شعر وقش (حلاقة) ذقن، فضلاً عن الأعمال الأخرى التي اعتاد الحلاقون ممارستها على سبيل الاستشفاء من بعض الحالات، كفتح المصرف (الكيّ) وتركيب كاسات الهوى (الحجامة) والتقبيعة أو حتى تركيب العلق لامتصاص الدم الفاسد وقلع الأضراس النخرة إذا لزم الأمر.

ولم يكن لدى أبا عمر من مانع في القيام بدور الدلالة لمن يريد شراء بيت أو استئجار بيت أو غرفة مع جيران في بيت واحد.. ولا فرق في ذلك، لأنّ المهم لدى أبي عمر من هذا العمل أو ذاك إنّما هو ما يعود عليه من دخل. وبالطبع فإن ذلك لا يمنع من ممارسة أي من هذه الأعمال خلال أيام الأسبوع الأخرى.

٢- أكرك عجم:

كان تحسين يجدّ في تنظيف مكتب معلّمه أبا راشد وترتيبه، بعد أن فرغ من تصريف أمور ما بالحاصل من شوالات القمح والشعير والذرة، وأعاد رصف شولات الكرسنّة والبيقية والجلبانة. فلما حضر معلّمه أبو راشد سارع تحسين وتناول من معلمه الطربوش والجاكيت (السترة أو الرّداء) وعلّق كل منهما في مكانه. ومن ثم سأل أبو راشد تحسين:

- **أبو راشد:** حدا سأل عني تحسين؟

أجاب تحسين بالنّفي، ثم قال لمعلمه:

- **تحسين:** شو رأيك معلمي بكاسة شاي أكرك عجم؟!!.

أجابه أبو راشد:

- **أبو راشد:** إذا كان الشايات تازة ما منقول لأ...

عمد أبو راشد إلى معاودة ترتيب ما على مكتبه (طاولته) من ورقيّات، يتفحّص بعضها ويقرأ أو يراجع بعضها الآخر، في حين سارع تحسين ليأتي بالشاي إلى معلمه، فإذا بأبي عمر يرمي السلام على أبي راشد وهو يتأبّط شنطة خشبيّة مغلّفة بالقصدير الملّون، وقد اتّخذ أبو عمر من هذه الشنطة وسيلة يضع فيها عدة الحلاقة وما قد يلزمه من أدوات وأشياء يستخدمها في الأعمال التي جعلها ملحقة بحرفة الحلاقة مما أتينا على ذكره من أعمال يمارسها الحلاقون فضلاً عن الحلاقة.

رحّب أبو راشد بأبي عمر، ودعاه إلى تناول كاسة شاي معه بقوله:

- **أبو راشد:** أشهد بالله إنك إبن حلال.. فوت فوت حماتك بتحبّك.. تحسين عم يعمل شاي تازة.. عود (أقعد) واشرب لك كاسة معي..

تمكمك أبو عمر وهو يجلس إلى جانب أبي راشد، وكأنّ في فمه كلام يريد أن يقوله، فابتدره أبو راشد:

- **أبو راشد:** شبك أبو عمر؟!!. في شي؟؟! بتمّك كلام.. خير؟!!.[1]

- **أبو عمر:** والله يا إبن الحلال، اليوم صلّيت الصبح وبدّي نام ما كان يجيني نوم، قلت لحالي يا ولد إسمنّه اليوم الاثنين، قوم على هالبريّة (المقبرة) زور أمّك وأبيك، وبعدين دردر نواحي نوري بيك على بكّير أستر.. حاكم نوري بيك ما بيقصّر وما فيه مرّة طلعت من عنده إلاّ ملان ومنتلي.. بس يا حسرة ما في نصيب.. طلع البيك مسافر عالبادية يستفقد الطرش تبعه.

بقا يا أبو راشد مالك بالطويل، وأنا طالع من عند البيك لقيت حالي قريب منّك.. قلت والله لفوت سلّم عليك وأتبارك بهالذقن الحلوة وبعدين أقصد الله.

٣- شو آخذ من الدنية:

لحمس (لمس) أبو راشد على ذقنه وقلب شفتيه وهو يحوقل قائلاً:

- **أبو راشد:** شبنا أبو عمر.. لك مو امبارح عند عشيّة قشيّت لّي ذقني عندك بالدكان.. يمّا نسيت[٢].

- **أبو عمر:** لك أخي زيادة الخير خيرين، ومو كثير على شبوبيّة مثل شبوبيّة أبو راشد تكون ذقنه ناعمة ووجهه عم يضوي.. لك أخي تْنَعّم تنعّم شو اخذ الواحد من الدنية.

قدِم تحسين ببراد (إبريق) الشاي لمعلمه مع كاسة وعلبة السكر، لكنه فوجئ بوجود أبي عمر. وضع الصينية على الطربيزة وهو يحدث نفسه:

- **تحسين:** العمى!! إيمتى إجا أبو عمر؟!!. أي والله ما رحت لمطرح، وعيني ما غفلت عن باب الحاصل؟!! شو لابس طاقية إخفاء!!.. ثم انخطف ليحضر كاسة لأبي عمر.

٤- اللّه يجعله خير:

لم يكن من عادة أبي راشد التأخر عن الاجتماع مع الكبارية الآخرين في جناح القصر من المقهى، وقد كان تأخره هذا اليوم مدعاة للتساؤل بين الكباريّة حتى أنّ أبا أحمد تخوّف من أن يكون قد ألمّ بأبي راشد عارض مّا أخّره عنهم. الله يجعله خير..

وسرعان ما عمد أبو دياب إلى الاستفسار من أبي أحمد عن ما عناه في أمر تأخر أبو راشد، فكان أن نفى أبو أحمد معرفة أيّ شيء من هذا القبيل وأن ما قاله عن تأخر أبو راشد إنما هو من قبيل الحدث ليس إلاّ.. ولا داعي للذهاب بأفكار أبي دياب إلى أبعد من ذلك.

وفيما كان الكبارية في تداول أمر تأخر أبو راشد إذا بأبي العزّ يلقي السلام عليهم، ثم سألهم عن سبب ضجّتهم لدرجة تلفت نظر روّاد المقهى الآخرين. فلما علم ما كان من أمر تأخر أبي راشد ضحك أبو العزّ وقال:

- **أبو العز**: وشو فيها؟!!. يمّا الواحد إذا لحا يتأخّر أو لحا يجي بكّير لازم ياخذ إذن؟!!.. هيّ أنا هلأّ!! إجيت شو صار خربت الدنية، كمان أبو عمر لهلأّ ما بيّن، مع إنّه اليوم الاثنين.. يا جماعة هادا شي عادي، لأنّه مثل ما بتعرفوا الغايب بإيده والجاية بإيده غيره. وإذا كان قلبك يا أبو أحمد نائز (مخوطر) من تأخّر أبو راشد علينا شي ثاني!!.

ردّ أبو أحمد على ما قاله أبو العزّ بشأن تأخر أبو راشد بقوله:

- **أبو أحمد**: وإذا قلت لّك يا أبو العزّ إن تأخر أبو راشد هوّ بسبب أبي عمر؟!!.. يمّا أنا غلطان..

قاطع أبو عجاج أبا أحمد بنزق بقوله:

- **أبو عجاج**: خاف الله يا رجال.. أبو عمر اليوم يوم الاثنين وأكيد بيكون طابس له بشي رزقة هالناح.. يا رزقة هالناح.. يعني ما له فاضي لأبي راشد..

علق أبو العزّ على كلام أبي عجاج بأن أبو عمر ما عنده شيء ما بيصير، وإذا وُجدت رزقة، فإنّ أبو عمر يركض وراءها ولو كلّفه ذلك أن يبلّط الزرقا (السماء).. لأنّ أكبر همّ أبو عمر المصاري.. بس المصاري، لحتى يدكّنهن فوق بعضهن ويقول لهن: اقعدوا فوق إخواتكن وسمعوني رنّاتكنّ.

٥- في حمام الزين:

سارع أبو عمر إلى إخراج فوطة نظيفة من شنطته، ووضعها على صدر أبي راشد، وشرع يرغي الصابون على فرشاة الذقن، من أجل أن يدعك بها ذقن أبي راشد وهو يقول:

- **أبو عمر**: والله يا أبو راشد صار لك معي اليوم نأف الدين نهفة لا عالبال ولا عالخاطر، ومنشان هالذقن الحلوة لحا إحكي لك إياها.

أجابه أبو راشد أن الشغلة ما لها حرزانة وكلّها قشّة ذقن.. فتّح غمّض بتكون خلصت.

أصرّ أبو عمر أن يحكي لأبي راشد ما يجول بخاطره، أملاً بأن يزحلق أبا راشد ويجعله يوافق على قصّ شعر رأسه (حلاقته). ولمّا لم تُجد محاولة أبو راشد مع أبي عمر، وافق أبو راشد أن يحكي له أبو عمر ما يريد وهو يحلق له ذقنه ولكن باختصار شديد. قال أبو عمر أنّه بعد قيامه بزيارة قبر أمه وأبيه، عرّج في طريقه على زقاق قصر الحجاج، وفي منتصف هذا الزقاق كما هو معروف يوجد حمام الزين، كان قيم الحمام أبو عبده يشرف على قيام أجير الحمام وهو يرش الماء أمام مدخل الحمام وبكّتسه. أصرّ أبو عبده على دخول أبي عمر إلى الحمام وسكب طاستين حتى يتنعنش قبل ذهابه إلى عمله. وافق أبو عمر على ذلك وهو يأمل أن يلتقي في الحمام بزبون يحلق له شعره أو يقشّ له ذقنه، فتكون رزقة من عالم الغيب من جهة.. ومن جهة أخرى فإن دخوله لعند البيك على الصبحيّة وهو مستحّم يكون أكثر وجاهة ووسامة وأكثر اعتباراً[٣].

ما أن بدأ أبو عمر يرغي الصابون على ذقن أبي راشد، حتى كان عبودة صانع المقهى يهمس في إذن أبي راشد، أعقب ذلك قول أبو راشد:

- **أبو راشد**: عبودة انت اسبقني وأنا ليكني لاحقك.

٦- طلعت فالصو:

عمد أبو راشد إلى مسح الصابون عن ذقنه معتذراً من أبي عمر، لأنّ الجماعة بالقصر مشغول بالهم لتأخره عنهم على غير عادته، حاول أبو عمر ثني أبا راشد عن عزمه اللحاق بكبارية القصر، فلّما لم يفلح أظهر امتعاضه

من فِعلة أبي راشد وأخذ يكيل الاتهامات لكل من في جناح القصر من المقهى، قطع أبو راشد على أبي عمر عصبيّه بقوله:

- **أبو راشد:** والله يا أبو عمر انت صاير مثل القطاط بتاكل وبتنكر لك تحمّد ربّك إنّه لسّا هالكباريّة عم يحلقوا عندك.. ولحتى ما تاخذ على خاطرك الحقني عالقهوة، وهنيك بتقشّ لي ذقني.. مليح هيك؟!!

سارع أبو عمر إلى ضبّ الفوطة وأدوات حلاقة الذقن بالشنطة ليلحق بأبي راشد إلى المقهى معللاً نفسه برزقة إضافية، وبذلك يضرب عصفورين بحجر واحد، كونه سيحلق ذقن أبا راشد ويشرب الشاي مع الكبارية وقد يصطاد أحدهم فيحلق له.

٧- حلاق بالمقهى:

وصل أبو راشد إلى المقهى، ووراءه أبو عمر يتأبط شنطته، وبعد السلام والتأهيل بأبي راشد سأل أبو العز أبا عمر بقوله:

- **أبو العز:** شو أبو عمر بلائيك جايب الآلابالة معك؟!! خير!!.

- **أبو عمر:** والله يا أبو العز، كان أخي أبو راشد بدّه يقشّ ذقنه، إه خاف ليتأخر عليكم، قال لي إمشي معي قشّها لي بالقهوة.. وبعدين شو فيها؟!! أنا يا ما حالق لناس هون بالقهوة..

- **أبو العز:** والله إنت يا أبو عمر ما عندك شي ما بيصير.. بسّ يكون فيه عملة (نقود) عملة يا رسول الله..

حاول أبو راشد التملّص من موافقته على قيام أبو عمر بقشّ ذقنه. لكن أبو عمر أصرّ على ذلك بقوله:

- **أبو عمر:** شوف أخي أبو راشد.. كل شي لحاله، انت وعدتني إنّي قشّ لك ذقنك هون بالقهوة ووعد الحر دين.

ثم يفتح أبو عمر شنطة عدّة الحلاقة ويخرج فوطة قائلاً وهه شوف.. هَيّ غيرت لّك الفوطة، وفوق هيك لحا قشّ لك ذقنك بموس خلنج ومن ورقته، يعني هالمرّة ما فيه لا قطنّة ولا شبّة.. ولحا تلاقي ذقنك ناعمة مثل الحرير. لأنّ الموس الجديد بالحلاقة غير شي... بعدين أخي أبو راشد جاية على بالي ركّز لك هالشوارب اسمّنها جاييتني علبة زباد جديدة مختومة وتازة وما بتضيع بهالشوارب!!.

ثم يتوجّه أبو عمر إلى أبي عجاج بالقول:

- **أبو عمر:** وانت أخي أبو عجاج إذا على بالك لا تحرم حالك.. خلّيني اتبارك بذقنك بهالموس الجديد.

أجابه أبو عجاج:

- **أبو عجاج:** والله يا أبو عمر مثل ما قال المثل قال: الأقربون أولى بالمعروف، وهَيّ أخوك أبو العزّ استناوله بالموس تبعك بعد أبو راشد.

اعترض أبو العزّ على قول أبي عجاج لأنّ له موس خاصّ به مخبيه بالكمودينا عند أبي عمر.. ولا يستعمله أبو عمر لغيره. فأكد أبو عمر بأن موس أبو العز بالحفظ والصون وهوّ خصّ نصّ بأبي العزّ[٤].

- **أبو عجاج:** وإذا قلت لّك يا أبو العز، أنّ صاحبك أبو عمر ما عنده ذقن ممشّطة وقت بيكون الشغلة فيها مصاري.. ومنشان هيك لا تستبعد إذا كان أبو عمر نازل بالموس تبعك على نجر!!. مين بيعرف؟!! ما في شي بعيد عند هيك رزقة!.

نفى أبو عمر مزاعم أبي عجاج.. وحلف (أقسم) وتتالف أن موس أبو العز لم يسطعه منذ قشّة لذقن أبا العزّ به. وأن أبا عجاج يقوم بفرتينة بينه وبين أبي العزّ. أنهى أبو عمر قشّ ذقن أبي راشد، وأخذ منه ما فيه النصيب أجر ذلك، فقال له أبو أحمد:

- **أبو أحمد:** وهيّ نقشت معك اليومة يا أبو عمر.. والله لو صحّت لجدّي ما مات!!.

استنكر أبو عمر قول أبا أحمد وقال له:

- **أبو عمر:** الله يجيرني من عينك.. آف العمى شو هالناس.. يا.. شو عينها ضيّقه!!.

فابتدره أبو العز بقوله:

- **أبو العز:** الله لا يشبعك.. ذوق بقا.. استحي لك شويّ!!. لهون وصلت معك.

- **أبو عمر:** أخي أبو العز.. ما سمعت شو قال هالمنظوم.. بعدين ما قلنا له شي.. لك استكثر عليّ هالقرشين.. لك عمّي هاد تعبي.. تعبي وعرق جبيني حلال.. حلال مو نصب واحتيال!!. الله وكيلكن يا جماعة كعابي ذابت وأنا عم لابح من على بكرة الصبح من قرنة لقرنة لحتّى جيب الراسين على فرد مخدّة.

- **أبو عجاج:** وليش ها الشدّة يا رسول الله؟! لك عمّي ساعة إلك وساعة لربّك.. العمر قصير يا أبو عمر.. بعدين لمين كل هالركض.. آ.. لك بكرة بتاخذه الوريّثة وما حدا لحا يقول الله يرحمه(٥)!!.

- **أبو عمر:** لك عمّي انت شو بيهمّك.. ما عندك مين تهكل همّه، كانن إنت وهالزيزونة وعلى الدنية السلام نيّالك!!.

وحسماً للجدل طلب المختار أبو دياب من أبي عمر أن لا يقلّب على الجماعة (الحضور) المواجع.. وإذا استجاب أبو عمر لطلب المختار فإن أبا العز أحب أن يمازح أبي عمر بقوله:

- **أبو العز:** أبو عمر.. ايدي على راسك والنّبي كباسك وزاير عليك النبي روحه رجعه ما شنكشت من تحت لتحت غلّة اليوم؟

- **أبو عمر**: الله والبركة أخي أبو العز مستورة الحمد لله.. ويا ريت كل يوم هيك.

٨- الدكان مركز وقيمة:

اقترح أبو دياب على أبي عمر أن يغلق دكانه ويظلّ حلاقاً جوّالاً طالما أن ذلك أربح له. وأيّد أبو العز هذا الرأي بقوله:

- **أبو العز**: أي والله يا أبو عمر، شو بدّك بهالدكان.. خلّيك هيك مثل العصافير.. زبوناتك وبتعرفهم.. وحلاقة الزبون في بيته أو دكّانه أوجه للزبون!!.

لكن أبو عمر كان على غير ذلك، وبخاصّة وأن أبا عمر يمارس في دكانه أعمالاً أخرى غير الحلاقة، ومن ذلك الحجامة والتقبيعة والحزازة والثعلبة، فضلاً عن قلع الأسنان والطهور (الختان) والكيّ (المصرف) وتركيب العلق.. إضافة إلى ما يقوم به من إعداد وتركيب للأدوية التي يعالج بها أو يصفها لزبنه.. وكان وارده من أعمال الدلالة في بيع وشراء البيوت للآخرين يفوق كل وارد آخر. فالدكان عند أبي عمر أكثر من مشط ومقص للحلاقة.. إنها مركزاً وقيمه أمام الناس.

وقد حذر الكبارية أبا عمر من ممارسة أعمال الطبابة وبيع الأدوية التي يركبّها أو يعالج بها.. لكن أبا عمر لم يرعو، لأن المال عنده أهمّ من كل شيء وهو يريد أن يأكل البيضة والتقشيرة كما يقولون(٦).

قطع هذه السفسطة قول أبو العز:

- **أبو العزّ**: يا جماعة خلينا نقلب صفحة ونشوف شو قصة هالدكان المعتّة يلّلي حضرانة حرب الموسكوف.

أجابه أبو عمر بأن الدكان دكانته وهيّ عاجبته ولا أحد له علاقة أو دخل بها. فعقّب أبو دياب المختار بأن الدكان مثل ما هي لأبي عمر.. إنها

لزبنها، وقد سئم الزبن من رؤية دكان أبي عمر بالشكل الذي عليه، وأن لابُدّ أن يقوم أبو عمر بهندزة (إصلاح) دكانه. وهذا من قبيل المحبّة لأبي عمر. وأن أوّل ما يجب على أبي عمر القيام به إنّما هو مروحة سقف الدكان المكوّنة من القماش أو الخرق القديمة التي تحرك بجرّ حبل مربوط بها. كما أنّ عليه أن يجدّد برداية الدكان التي أكل عليها الدهر وشرب، فضلاً على تجديد وضع صور عنترة والهلالي والزير والملك الظاهر، بعد أن تراكمت عليها الأوساخ والغبابر. وهذا كله من أجل أن تكون دكان أبي عمر أكثر قبولاً وراحة لنفسيّة زبائنها.

لكن أبا عمر كم يقبل بأيّ من تلك الأمور، لأنّ للمروحة القماشية في نظره منافع، لعلّ أهمها أنها تهوّي الدكان وتطرد الذباب، كما إنّها من رائحة (مخلّفات) جدّه بالدكان.. فضلاً عن ذلك فإن المروحة المذكورة لها قيمة سياحية إذ يقبل السياح على تصويرها.. وكل ما صورها أحد من السياح كان يدفع لأبي عمر ما فيه النصيب من بخشيش (هبة من المال) أما البرداية فإنّها من موضة هذه الأيام ذلك أن أكثر الناس تضع البرادي.. وبالنسبة لصور عنترة والزير والهلالي والملك الظاهر، فلا يحق لأحد أن يحكي عليها لأنّ هذه الصور لأجل أن يصطهج عليها أبو العز أثناء حلاقته، لأنه هو الذي انتقاها وقد طلب أبو عمر من الحضور التأكد من ذلك بقوله لأبي العز:

- **أبو عمر**: بالله عليك أبو العزّ، مو إنت يلّلي نقّيت (انتقيت) هالصّور قول.. قول انت رجّال ما بتراغي عن الحق.

ثم تابع أبو عمر قوله للحضور:

وهلأ يا جماعة صعي نحنا صحاب وانتم زبونات الدكان ولحم كتافي من خيركم والظّفر ما بيطلع من اللحم.. بسّ منشان الصور.. كل شي لحاله. وما بدّي حدا يحكي فيها.

فقال أبو دياب:

- **أبو دياب:** وهلأّ يا جماعة ضاعت ولقيناها. بسّ بدنا يحكي لنا أبو عمر ليش دايم الدوم بيحسب حساب لأبي العزّ. لأنّه مثل ما منعرف كلنا ربيانين مع بعضنا من صغرنا.. ولحدّ هلأّ الواحد منّا إذا اللقمة بتمّه بيطعميها لصاحبه. ولا واحد منا بيصير معه مثل ما عمّا يصير بين أبي العز وأبي عمر.

٩- التآخي بالدم:

تصدّى أبو رياض للإجابة عن أبي عمر، على سؤال المختار أبو دياب بقوله:

- **أبو رياض:** هادا يا سيدي خطرة (مرّة) كنّا أنا وأبو العز وهالمنظوم أبو عمر عاملين سيران بالربوة.. إه.. حبّ أبو العز يطلع من بين البساتين لقبّة السيّار بقاسيون.. قال شو!! أبو العز بدّه ياكل سويق وحورس النيل من قبّة السيّار.. قام أبو العز وهوّ ماشي على حافّة النهر زحطت رجله وسلت بالنهر، وصار يخابط ويلابط وكان لحا يغريق، وما تشوف إلاّ وهالأبو عمر زاتت (رامي) حاله بأواعيه ومطالع أبو العز من النهر. قام حب أبو العز يتشكر أبو عمر، قام جرح إيده وكمان (أيضاً) أبو عمر جرح إيده، وطبّق الجرح عالجرح لحتى مشي دم أبو العز بدم أبي عمر ويمشي دم أبو عمر بدم أبي العز. وهيك تآخوا وصاروا اخوة بعهد الله. ومنشان هيك دايم الدوم أبو عمر وأبو العزّ على قول لي لأقول لك وطول ما لهم قاعدين على مقاوصة ومناقرة.

عقب أبو راشد على قول أبي رياض قائلاً:

- **أبو راشد:** ها ها.. هلأّ عرفنا يا أبو عمر ليش أبو العز دايم الدوم ساطيك ونازل بساحتك(٧).

رد أبو العز على قول أبي راشد قائلاً:

- **أبو العز**: والله يا جماعة لا لي نازل بساحته ولا بحبّ افتري عليه بس أبو عمر بيتحركش بالحمّى لتجيه البرديّة.. وأنا ما بقدر إصبر على خبصات أبو عمر بحسّ (أشعر) إني غلطان بداله إه.. بردّ عليه.. يعني مثل يللي عم يتخانق مع حاله.

ثم طلب أبو العزّ إلى أبي عمر أن يحكي قصة أو سيرة أو نهفة لتغيير الجو.

١٠- البيك والخادمة:

استجاب أبو عمر لطلب أبي العز وقال بأنه سيحكي قصّة صارت معه وهو صغير، عندما كان والده يأخذه معه إلى بيوت الزبائن ويجعله يواظب على الدوام في الدكان من أجل أن يعلّمه كار الحلاقة، وعلى سبيل الاختصار، قال أبو عمر:

- **أبو عمر**: ومرّة أخذني أبي معه إلى بيت واحد زنكيل (ثريّ) زنكيل قد ما تقول أكثر.. عنده أراضي ومالكانات شي ما بينعدّ، وعنده أموال ما بتاكلها النيران.. وهالزلمة مخستك، رحنا لعنده لحتّى ياخذ له أبي كاسات هوى (حجامة).. وكنت أنا قمّع له الورقة ولفّها واشعلها وإدحشها بكاسة الهوى، وناولها لأبي لحتّى يطبّها على ظهر هالزلمة (البيك) وبعدين يقبعها.. وبعد أن أخذ أبي للبيك كاسات الهوى، وجد أن منها ما كان معنّباً، فأراد أبي أن يشقّها ليخرج منها الدم الأسود (الفاسد). فطلب مني أبي أن أناوله الموس. فسارعت الخادمة لتناول أبي موس كان بيدها زاعمة أنه شديد الحدودية، فقال لها أبي أنه متعوّد على استعمال الموس الخاصّ به، وأبعدها عنه، فوقعت الخادمة على الأرض وجُرحت يدها بالموس الذي أتت به، وما لبثت أن ماتت، ما تاري الموس مسموم وهالبنت الحرام الخادمة كانت بدها تموت سيدها لحتّى يفضى لها الجوّ مع إبن سيدها، بعد أن مكّنته منها!!.

سأل أبو دياب أبا عمر عن المدة التي قضاها في كار (حرفة) الحلاقة. أجابه أبو عمر:

- **أبو عمر**: والله يا أبو دياب أنا نفسي سألت حالي هالسؤال، وكل ما بعرفه إني وعيت عالدنية وأنا حلاق، ويمكن ما تصدق إذا قلت لكم إني صرت شي من هالدكان، وحياتي جزء منها، وإذا استغنيت عن شي منها كأني استغنيت عن إيدي أو عيني.. ومنشان هيك ما عم إقدر غيّر فيها شي.. وكل خوفي إنّه يطلعوا اولادي حلاقين مثلي، لأنّه ما عاد لهم خبز بالصنعة.

١١- المعلم والأجير:

اقترح أبو رياض قلب صفحة عن ما هم فيه من نقاش بشأن ممارسة أبي عمر لكار الحلاقة وشرب كأس من الشاي علّهم يرتاحون من سفسطة أبي عمر بعض الوقت. رحّب الجميع بذلك. وفيما هم في تناول الشاي وصانع المقهى عبودة وأجيره يصلحان أراكيل من يدخّن الأركيلة منهم، من تسليك أو تجديد البصّة (الجمرة) التي على التنباك برأس الأركيلة.. كان أبو عمر يحوقل وكأنّه يلوم نفسه على ما صدر منه. سأله أبو دياب المختار:

- **أبو دياب**: شو أبو عمر!!.. خير إن شاء الله.. بلائيك رجعت تشوبر بإيديك وتبربر لحالك؟.. هات لنشوف شو صاير معك.

- **أبو عمر**: والله يا أبو دياب شغلة صارت معي ما كنت حاسب لها حساب.

- **أبو دياب**: إي لكان قول.. قول وفضفض بركي منقدر نعمل لك شي.

- **أبو عمر**: والله يا أبو دياب قصة هالولد اجيري قصة ما لي عرفان شلون بدّي اتحوّك فيها، وكل ما إجت على بالي بقول لحالي: كنّ أحسن.. لا تفتّق جروحات..

ولما أصر أبو دياب على معرفة ما يشغل بال أبي عمر وشاركه الحضور في ذلك استجاب أبو عمر وقال:

- **أبو عمر**: هادا يا سيدي، وسيدي وسيدك الله، من يومين أنا قاعد وأجيري بها الدكان عم نصفن.. لأنه صارت الدنية الظهر وما فات لها الدكان مخلوق يقول انتم شو بتشتغلوا بها الدكان.. ومن كثر ما ضاق خلقي صرت اتفشّش بها الولد أكرم.. وصرت طالع له شغلات ما بتجي ببال حدا. ساعة قول له ليش المقصّ مثلّم وساعة قول له ليش عبيّت إبريق الميّ من عند عزّات العرقسوسي وما عبيّته من فيجة السروجي.. وهالولد ساكت وآكلها بجنابه.. تطلعت هيك بهالولد.. ما تاريه عم تهرّ دموعه. سألته شبك عم تبكي، قال لي:

- **الأجير**: ما في شي معلمي.. بس والله إجريّي عم يوجعوني وما عاد فيني إمشي.. من كثر هالمشاوير.

ردّ أبو عمر على أجيره بقوله:

- **أبو عمر**: لَهْ له له.. بزعل منّك هَهْ.. يلّلي قدّك (بعمرك) اذا قال أنا جوعان بيتصدّق.. أما إذا قال تعبان بيكون كذاب.. حاجتك دلال.. لكان شلون بدّك تتعلم الكار.. آ..؟!.. شلون بدّك تصير معلم؟!. لك عمّي يلّلي بده يتعلم هالكار لازم يكون مثل البروانة، وشو بدّه يقول له معلّمه بدّه يقول على راسي.. نحن شغلتنا نددنش الزبون وندلّله لحتى يكون مبسوط.

أجاب الإجير (أكرم) بأنه لا يقصر.. وكل ما بيجي زبون بيلتحش عليه وبياخذ منه طربوشه وجاكيته وبيعلّق له إياهن وبيمسح له الكرسي يللي لحا يقعد عليه.

ردّ عليه أبو عمر بأن ذلك لا يكفي، بل إنّ على أجيره أيضاً أن لا تفارق عينه المشط والمقصّ الذي بيده وهو يحلق للزبون كي يلقط الصنعة منّه.

عاود أكرم (الأجير) البكاء وهو يقول:

- **أكرم**: بس معلمي أنا صار لي عندك سنتين ومالك عم تخلّيني شوف شلون عم تحلق للزبون وما خلّيتني إمسك لا مقص ولا مشط.. بعدين معلمي أنا بعدما مات أبي صار برقبتي إخواتي بدّي طعميهن وما لهم حدا (أحد) غيري يفوت عليهم برغيف خبز.

- **أبو عمر**: ومنشان هيك يا أكرم بدّك ما تتكبّر وتشوف حالك أكبر من هيك، ولو بقيت طول عمرك أجير.. لك إبني كار الحلاقة إذا ما فداه الواحد بروحه وعرقه وعمره ما بيصير معلم.. والمعلّم بكار الحلاقة ما بيمسّك أجيره لا مشط ولا مقص.. بدّك تكون فلهوي وتلقطها لحالك عالطاير.. يا إما بدّك ياني لقّمك الصنعة بالمعلقة؟!!.

لما وصل الأمر بأبي عمر وأجيره إلى هذا الحدّ ما كان من أبي العزّ إلاّ أن قال لأبي عمر:

- **أبو العز**: الله لا يعطيك العافية فوق تعبك يا أبو عمر.. لك يا ويلك من الله يا ظالم.. حرام عليك حرام.. الولد برقبته إخوات وما فيه حدا يفوت عليهم برغيف خبز، وإذا ما تعلم الكار منين بدّه يطعميهم؟!!.

- **أبو عمر**: الحق معك أخي أبو العز.. وهادا يلّلي محيّرني.. بسّ بدّك ياني علّمه كار الحلاقة.. وأنا بعده آكل هوا؟!.

- **أبو العزّ**: يعني ما بيكفي عم تشغلّه ببلاش، وعم تاكل عليه الحلوان، وعم تخلّيه يزقّ غراض للبيت.. لك مالك آخذ من أبوه ليرتين عصمليتين شرط لحتى تعلمه كار الحلاقة.. يعني شو مفتكر لحا يطلع من تحت إيدك شيخ الكار، يما شيخ مشايخ الكار؟!!. لك خاف الله بها الولد..

- **أبو عجاج**: أخي أبو العز سيبك منّه.. هادا أبو عمر هيك ربي من صغره ومن شبّ على شيء شاب عليه، ما له جايب شي من عنده، مثله مثل معلمين هالكارات، ما بيصدق الواحد منهم يحطّ عنده ابنه لحتى يعلّمه الكار

لحتّى يمصّ دمه ويخلّيه طول عمره هبيان وما له شبعان الخبز الحاف. أصلاً لو قعد أبو عمر بصغره اجير ما كان عمل بأجيره يلّلي عم يعمله فيه[٩]!!..

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر**: ومين قال لك اني ما قعدت عند معلم اجيراً لحتّى اتعلم الحلاقة!! الله يسامحه معلمي كان كل يوم يبزقني الدم.. الله لا يوجّه له الخير دنية آخرة.. وأنا اذا عم ساوي هيك بأجيري أكرم مو منشان شي. بابا.. بس منشان أصول الشّغل، ويلّلي ما بيعرف يسأل.

ولما سأل أبو دياب أبا عمر عن سبب وضع والده إياه أجيراً عند معلم آخر ولم يعلّمه المصلحة بدكانه أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر**: أبي هيك كان بدّه.. قال شو.. لحتى لا إرخي بدن ولا يكون لي طمعة عنده. لأن المعلم بالكار مو بسّ بيعلّم أجيره الكار.. كمان (أيضاً) بده يعلمه أصول الصّنعة وخدمتها، وخدمة زبوناتها، لحتى يظل وفيّ إلها قدّ (مقدار) ما جار عليه الزمان.

قطع أبو راشد على أبي عمر قوله:

- **أبو راشد**: معليش أبو عمر سيرة وانفتحت، أبوه لها الولد لمّن حطّه عندك، ما شارطك لحتّى تعلّمه الكار؟.

- **أبو عمر**: لكان أخي أبو راشد لكان، شارطني على ذهبيّتين.

- **أبو راشد**: ولحا تعلّمه الكار؟.

لم يُجب أبو عمر على سؤال أبي راشد، فقال له أبو العزّ:

- **أبو العز**: ما تجاوبه أبو عمر؟! يمّا لسانك آكله القط؟ لك ظهار وبان.. لك حيّة من تحت تبن..

- **أبو عمر**: الله يسامحك يا أبو العزّ مقبولة منّك، بتمون. بسّ يلّلي بدّي قوله: أنّ كار الحلاقة لاصحابه، والأجير يللي عندي لا أبوه ولا جدّه حلاق.. لإيش بدّي علمه الحلاقة؟!. إن شاء الله عمره ما يتعلّم..

١٢- جاجة حفرت:

كان لابدّ أن يصدر رأي يضع كلام أبو عمر في المكان المناسب بين الأكابرلية، فأبو عمر والحال هذه لا يستحق أن يقول له الإنسان، أيّ إنسان، مرحبا، لأنه في رأيهم ليس من بني آدم!!.. وبالتالي فإن من لا يقف في وجه أبي عمر في تعامله الخاطئ والشاذ، كأنّما يوافق أبا عمر على تعامله سواء أكان ذلك مع أجيره أم مع غيره... وقد أيقن الجميع بأنّ مواقف أبو العز في كل ما يصدر عن أبي عمر هو من هذا القبيل.

عقّب أبو دياب على ذلك بقوله:

- **أبو دياب**: ومنشان هيك أنا لحا كون مع أبي العز إيد واحدة، ولحا خلّي دبّار أبو عمر عندي.

تخوف أبو عمر من موقف أبي دياب وقال في نفسه أنه غير مخلّص مع أبي العز، فكيف يكون حاله إذا وقف أبو دياب في صف أبي العز. فقال لأبي دياب:

- **أبو عمر**: أي طوّل بالك مختار، ويلّلي بدّك إياه بيصير، ومن هلأّ أنا من إيدك هيّ لإيدك هيّ، وفوق هيك بتمون مختار، وأنت بتعرف قديش أنا شادد ظهري فيك، أنا مالي غيرك.. ويا جماعة استهدوا بالله. ايدي بزنارك أخي أبو دياب.

- **أبو رياض**: والله يا أبو عمر قال جاجة حفرت على راسها عفرت. ويلّلي عم تسمعه ويلّلي لحا يصير معك كله بسببك، ونحنا لو ما منحبّك ما قلنا لك هالشي.

- **أبو عجاج:** يا جماعة افرطوا لنا هالمسبحة وخلينا نسمع من أبي عمر شي شغلة.. بعدين إذا أبو عمر لحا يتمفرز علينا ربي ما أكثر خلقك.. هي أبو الروض ما بيقصر..

أعرب أبو رياض عن استعداده إلى تلبية الكبارية لأن ما فيه شيء بيغلى عليهم، لكن أبا عمر سرعان ما تصدي لقول أبي عجاج قائلاً:

- **أبو عمر:** قبل كل شيء خلّيني قول لكم إنه مو المهم الواحد يحكي، لأن الكلام يلّلي ما إله طعمة لإيش الواحد يضوع وقته بسماعه.. لأنه فيه كلام بينسمع وإله مازّية وبينباس وبينحط عالراس، والواحد لمّن يسمعه لازم يستفيد منّه ويحطّه حلق بأذنه.

إزاء هذه السفسطة ما كان من أبي دياب إلا أن صرخ في وجه أبي عمر بقوله:

- **أبو دياب:** أبو عمر حاجتك شغل ألابنضة وصف حكي انت طول عمرك بتحكي للتسلاية، وما في يوم قلت لحالك إنّه يلّلي عم يسمعوك زلم وبيفهموا. لك طلاع من هالبواب نحنا عاجنينك وخابزينك، وأبو العزّ لمّن بيآجر فيك ما بيقصّر. وإذا يلّلي شايفهم ساكتين لك، بس منشان الخوّة والخبز والملح. وهون حطنا الجمال، وكمان كل مين إله نبي بيصلّي عليه، يما أنا غلطان يا جماعة؟!!.

كان قول المختار أبو دياب لأبي عمر كالبلسم لجميع الكبارية المتواجدين في جناح القصر من المقهى. فقد كان بودّ كل واحد منهم أن يقول ما قاله أبو دياب لأبي عمر، ولئن لم يفعل ذلك أيّ منهم فذلك كرامة لأبي العز، لمعرفتهم ما لأبي عمر من دالّة على أبي العز.

وقف أبو عمر مشدوهاً من قول أبي دياب وقد حيّره عدم تصدي أي واحد من الحضور للدفاع عنه، حتى أن صاحبه واثير قلبه أبو العزّ، وإزاء نظرة استجداء أبو عمر لأبي العز. قال له أبو العز:

- **أبو العز**: والله يا أبو عمر ما لي عرفان شو بدّي قول للجماعة.. دبر راسك معهم.

فما كان من أبي عمر إلا أن عاود استعطاف أبا العزّ، أجابه أبو العزّ(١٠):

- **أبو العز**: الحق عليك يا أبو عمر، لأنّك بتعرف أنه هالجماعة ما بيمشي الحال معهم بكلمتين مبردخات تضحك عليهم فيها.. هدول كبارية الحارة.. وكل واحد منهم بيفكّ مشنوق وعقله بيوزن بلد. بآ وين رايح.. وانا نصحتك ما انتصحت لأن الطبع الرّدي فيك غالب.. ومنشان (لأجل) هيك الله لا يقيمك بتستاهل.. استلقي وعد ربّك!!..

- **أبو عمر**: أخي أبو العز إيدي بزنّارك.. انت بتعرف البير وغطاه.. هالمرّة بسّ هالمرّة سماح.. انت ما بتريدها!!.. الله يخليك.. ما لي غيرك..

١٣- من دق دق لسلام عليكم:

لم يكن من أبي العزّ إلاّ أن توجّه إلى أبي دياب والكباريّة طالباً منهم السماح عن أبي عمر مبرراً ذلك بقوله:

- **أبو العز**: يا جماعة بدي هالمرّة تزرعوها بذقني، لأنه هالمنظوم لمّن بيلفّ وبيدور بكل شي بيقوله أو بيعمله.. هالشي مو بإيده، لأنّه يلّلي شافه بحياته من وقت ما وعي عالدنية عمّا يخليه هيك.. وهيّ هوّ قدامكم إذا بتخلوه يحكي لكم، لحتى تعرفوا إنه ما له عمّ يضحك على حدا (أحد)، ولأنّه من وقت (حين) ما طالعه أبوه من مكتب الشيخ إبراهيم وما خلاّه يكمّل علامه، عم يلابح ويلاطم بها الحياة لحتى يجمّع له قرشين يستر فيهم آخرته إذا جار عليه الزمان.. ولحا تعرفوا قديش هالمسكين عم نظلمه.. بسّ إذا بيحكي أبو عمر كل شي، من دق دق لسلام عليكم.

استجاب الحضور لرغبة أبي العز بالسماح لأبي عمر أن يتكلم عن معاناته حتى وصل إلى ما هو عليه، فقد بيّن لهم كيف أنه كان يقوم بغسل

بحرة الجامع الذي يشغله المكتب، ويكنّس باحة ذلك المسجد وينظّف دورات المياه لقاء الخميسية التي تتوجب على والده دفعها أجراً لتعلّم ابنه في ذلك المكتب. وكيف أنّ معلمه فوزي الحلاّق بزّقه الدم وهو يعمل أجيراً عنده، ولولا أن والده حلاقاً ومعلماً لبقي أبو عمر أجيراً لدى فوزي طوال حياته، وهكذا فان فوزي الحلاق سمح لأجيره حسن (أبو عمر) أن يصبح صانعاً، وانتقل يعمل في دكان والده، وبدون أجر. ذلك لأنه يأكل وينام في دار أبيه.

ويكفيه ما كان ينال من حلاوين (هبات) من الزبائن، ولما سأله الحضور عن الفحص الذي قدمه أمام شيخ كار الحلاقين والمعلمين أخبرهم أنه قدم فحصه بالحلاقة لوالده أمام لجنة الاختبار. وحرصاً من والده من أن يلعب بديله ويلحق أولاد آدو بما قد يحصل عليه من الحلاوين اقترحت والدته على والده تزويجه بقولها:

- **الأم**: يا رجال هالولد صار شب، وباينتها الحكايا فائسة معه ويا خوفنا إلى لعبت عليه شي واحدة وتلهف منه ما فوقه وما تحته وتخلّيه على قماري الحمام.

استجاب والده لذلك، وشرعت أمه تبحث له عن ابنة حلال تكون كنّة لها تساعدها في أعباء البيت وزوجة لابنها تخرجه مما هو فيه من الضياع، وبالتالي ينجو من أولاد آدو ومن أمثالهم وما هم عليه من الضّياع. وبالتالي يبقى حسن (أبو عمر) تحت جناح والديه ويرتاح بالهم بشأنه.

ولما عرضت الأم على حسن (أبو عمر) ما يدور برأسها في زواجه، قبل أن يدّخر ما يرده من حلاوين الحلاقة من أجل متطلّبات الزواج.

وهنا توقف أبو عمر وقال للحضور وهو يتأوّه من حرقة قلبه:

- **أبو عمر**: بس والله يا جماعة يا ريتها ما كانت هالزواجة.. لاني حطيت ما فوقي وتحتي وطلعت فافوش.. ليش؟! لأن المرا (المرأة) هديك الأيام صندوق مسكّر يعني متل البطيخة، يا بتطلع حمرة متل الجوخ يا بتطلع

قرعاء (بيضاء).. الشغلة حظّ ونصيب، ومتلي هالمعتّر ما له حظ من يوم ما خلقه الله. ليش؟!! لأن أمي دوّرت عالشكل وما دوّرت على بنت الأصول.. وهيك وقعت وما حدا سمّى عليّ!!. بعد ما كنت عم احسب إنه لحا يكون لي مرا (زوجة) وبيت وكعكة وخيط كما يقولون. وطلعت من هالزواجة إيد من وراء وايد من قدام وعم قول: يا رب السترة.

وتابع أبو عمر قوله:

- **أبو عمر:** ما بدّي تسألوني شلون صار هيك، أنا لحا أقول لكم، لأنها غصّة في قلبي لحدّ هلأٍّ عم تقتلني كل يوم ميت (مائة) مرّة. صعي امّي عملت جهدها وفوق طاقتها، وصارت تفوت من بيت لبيت لحتى تلاقي لي بنت الحلال المخلوقة من ضلعي وقسمتي المكتوبة إلي.. وبلا طول سيرة عليكم خرطت مشطها واحدة ظنّت انها كاملة والكمال لله، مكمّلة وما عليها حكي.. جمال وحسب ونسب وبتقول للقمر غيب لحتى اقعد مطرحك قاضي ومفتي ونقيب.. قال شو: بتمزع العقل، شو قوام شو هيأة عم تموج موج وعليها نقلة ملوكية. والأكابرلية عم تنقّط منها.. وفوق هيك هالمستورة حِركة ونغشة ويا من يشوفها وهيّة عم تتمايل عنقود وخصلة والباقي فراطة!!. شي بيسبي سبي. ولمّن سألت إمي يعني ما إذا كانت هالمستورة حلوة كل هالقدّ (المقدار) قالت:

- **الأم:** لك إمّي شو حلاوة قد ما قلت لك أكثر، شي ما بينوصف، شفافها رق الفنجان وتمها خاتم سليمان وسنانها لولو ومرجان وشعرها لديلها حبال الجمّال وخدودها تفاح الشام وعيونها عيون الغزلان وصدرها فسحة ميدان بيلعب فيه خيال.. لك ابني مثل ما قلت لّك شي ما بينعدّ ولا بينوصف.

ولما سألتها شلون عرفت كل هالشي ووين (أين) شافته قالت لي أنها شافت هالبنت بالحمام.

ثم تابع أبو عمر: وهيك الداعي تكندر وسخسخ وصار قلبه يضرب مزّيكة وركبه تقصف والدنية ما عادت واسعته بسّ يا حيف!!.. حساب الكرايا ما طبق على حساب السرايا، لأن الشي يلّلي خرط مشط امي كان غير الشي يلّلي شافته عيني ليلة العرس!!. لاني لقيت الوجه مثل الكوفية والشعر شباشيل ذره، والخدود مكبتلة مثل أقراص الكبة المقلية والتم (الفم) مغارة والمناخير مثل الكوساية والعيون بعصة بعجين، لك وسنانها مثل نابات شمّ إرين.. وفوق هيك جحرها مثل النملية وصدرها مثل الكتبيّة وإذا مشيت بتلاقيها عم تميل عالجنبين مثل شليف الزبالة.. لك آخ.. آخ عم قولها وعم يطلع من قلبي الدخان من حرقة قلبي.. أي والله بتشهّي التوبة وإذا سألتوني شلون هيك؟!! كمان أنا لحا قول لكم.. لأن امي ما شافت العروس بالحمام.. شافت اختها وقالوا لها انها شقّة توم (توأم) لها. وهَيّ أبو العزّ قدامكم بيعرف كل يلّلي صار معي لأني كنت احكي له كل شي.

ولولا هالمستورة أم عمر ما وقفّت معي وخلّتني وقّف من جديد لكنت صفّيت عند خالتي بجبّانة باب الصغير. وأنا اذا عم دكّن القرش فوق القرش والليرة فوق الليرة لاني خايف من غدرات الزمان.. لان الدنيا ما عادت دنيا، ويللي ما بيحسب ما بيسلم.

ثم توجه أبو عمر إلى المختار أبو دياب والدموع تغرغر بعيونه قائلاً:

- **أبو عمر:** وهلاًّ مختار لسّا بدكن مني كفّي (تابع) نشر غسيلي الوسخ يمّا حاجة فضايح!!..

فما كان من أبي دياب المختار إلاّ أن قال لأبي عمر:

- **أبو دياب:** اشهد بالله كنّا ظالمينك.. لك لحا تضلّ أبو عمر يللي كلنا منحبّه ومنحب نسمع حكياته.

١٤- بنت المعاون والمايا من أبي رياض:

فما كان من أبي عمر إلاّ أن شكر لابي دياب والكباريّة سماعهم له. فانبرى أبو رياض قائلاً:

- **أبو رياض:** وأنا على شرف أبو عمر لحا غني لكم غنية بدكن تتبسطوا منها. بس ردّوا معي.

صفق الجميع بما فيهم أبو عمر لابي رياض وهو يدندن على عوده:

- **أبو رياض:** **يـــا بنـــت المعـــاون خلخالـــك لـــوى**

- **الحضور:** **يـــا بنـــت المعـــاون خلخالـــك لـــوى**

- **أبو رياض:** **وأنا ماشي بدربي صادفني حبيـــب قلبـــي**

وأنـــا طالـــب مـــن ربـــي نكـــون ســـوا

- **الحضور:** **يـــا بنـــت المعـــاون خلخالـــك لـــوى**

- **أبو رياض:** **وكل ما شوفك على دربي بيوقّـــف قلبـــي**

ويا بنت المعاون

- **الحضور:** **خلخالك لوى**

- **أبو رياض:** **وأنا ماشي على مهلي وعيـــون الحلـــوة**

تنده لي

- **الحضور:** **ويـــا بنـــت المعـــاون خلخالـــك لـــوى**

- **أبو رياض:** **آخ يـــــــا بنـــــــت المعـــــــاون**

- **الحضور:** **خلخالـــــــــــك لـــــــــــوى**

صفق الجميع لأبي رياض وسرّوا أيّما سرور، حتى أن أبا دياب قال لأبي رياض:

- **أبو دياب:** الله يسلم هالتم يا أبو الروض لأن هالغنيّة يللي سمعناها منّك اليوم بعد ما حكى لنا أبو عمر عن أحواله، خلتنا نطمع منك بغنيّة ثانية على ذوقك.

استجاب أبو رياض لرغبة الجميع، وصفق له حتى من كان في أنحاء المقهى الداخلية وشرع يغني لهم أغنية عالمايا عالمايا، ويردّد معه الجميع:

- **أبو رياض:**

عالمايـــــــــــــا عالمايـــــــــــا عــــــــالعين يـــــــا ملاّيـــــــــة

- **الجميع:**

عالمايـــــــــــــا عالمايـــــــــــا عــــــــالعين يـــــــا ملاّيـــــــــة

- **أبو رياض:**

رحــــــــل محبـــــــوبي عنـــــــي لــــــــو تــــــــسمعوا بكايـــــــا

يــــــا ويــــــل ويلــــــي جـــــاني خيـــــال برمحـــــــه إجــــــاني

- **الجميع:**

عالمايـــــــــــــا عالمايـــــــــــا عــــــــالعين يـــــــا ملاّيـــــــــة

رحــــــــل محبـــــــوبي عنـــــــي لــــــــو تــــــــسمعوا بكايـــــــا

- **أبو رياض:**

يــــــا ويــــــل ويلــــــي جـــــاني خيـــــال برمحـــــــه جـــــاني

عفت أهلي وخلاني ولحقتك يا عينايا

- الجميع:

عالمايـــــــــــا عالمايـــــــــا عـــــالعين يـــــا ملاّيـــــــة

رحـــــل محبــــوبي عنـــــي لـــــو تـــــــسمعوا بكايـــــــا

- أبو رياض:

يـــا ويـــل ويلـــي طولـــه رمـــــح الردينـــــي طولــــه

هــــاتوا الـــــدف دقــــوا لــــه لغنـــي لــــه عالمايــــا

- الجميع:

عالمايـــــــــــا عالمايـــــــــا عـــــالعين يـــــا ملاّيـــــا

رحـــــل محبــــوبي عنّـــــي لـــــو تـــــــسمعوا بكايـــــــا

- أبو رياض:

يـــا ويـــل ويلـــي شـــفته ببـــــاب الــــــسرايا شـــــفته

امــــي وابـــــي عفـــــتهن ولحـــــصتك يـــــا عينايـــــا

- الجميع:

عالمايـــــــــــا عالمايـــــــــا عـــــالعين يـــــا ملاّيـــــــة

الحواشي والإيضاحات:

١ - حدا: أحد. اكرك عجم: كناية عن جودة الشاي. الكرسنّة والبيقية والجلنانه من أنواع العلف. شو رأيك: ما رأيك. لأ: لا. عدّة الحلاقة: أدواتها. حماتك تحبّك: كناية عن حسن الحظ جوازاً. تمكمك: تردد. في فمه كلام: يريد أن يقول شيئاً. شبك: ما بك. ما كان يجيه نوم: كناية عن الأرق.

٢ - اسمنّه: ما دام. دردر: قدم الهونيا. ملان ومنتلي: كناية كثرة ما يحصل عليه المرء من هبات. مالك بالطويل: مختصر مفيد. شبنا: مابنا. قشّيت: حلقت. يمّا: أو.

٣ - طربيزه: منضدة صغيرة. الحاصل: المكان الذي يتعاطى فيه بتجارة أو تخزين الحبوب. كمان: أيضاً، كما: أنّ. هادا: هذا. طابس: مشغول. هالناح: في هذه الناحية أو المكان. يدكّن: يدّخر. نهفة: أرادوا: إشكال أو حادث. منشان: لأجل. يتنعنش: يدبّ به النشاط.

٤ - ليكني: ها أنا. بلائيك: أجدك. الألابالة: أرادوا شنطة أدوات الحلاقة. هون: هنا. بسّ: عندما. هَهْ: أداة تنبيه ولفت نظر. هَيّ: ها أنا. خلنج: جديد. الشبة: مادة: توقف نزيف جرح موس الحلاقة. جاية على بالي: أرغب. الزباد: مادة صمغية يستخدم في جعل الشارب في الوضع الذي يراد له. الكمودينا: خزانة صغيرة. خصّ نصّ: يقتصر على.

٥ - ما عنده ذقن ممشطة: كناية عن إيثاره مصلحته على مصالح غيره. نجر: عنوا الحلاقة. فرتينه: فتنه. ما فيه النصيب: عنوا أجره. نقشت معك: أجر وافر. الله يجيرني: تميمة يراد بها ردّ عين الحاسد. شوي: قليلاً. كعابي: كناية عن القدمين. لابح: أسعى. قرنة: مكان. جيب الراسين على فرد مخدّه: كنايه عن استيفاء متطلّبات الأسرة. ما حدا: لا أحد.

٦ - زيزونة: عنوا الزوجة. نيّالك: أغبطك. شنكش: حسبة تقريبية. غلّة: دخل، وارد. يا ريت: يا ليت. التقبيعة والحزازة والثعلبة: مما يصيب رأس

الإنسان من علل. العلق: ديدان تمتص الدم الفاسد من مكان وضعها على جسم الإنسان. يأكل البيضة والتقشيرة: كناية عن الطمع.

٧ - المعتّة: المتهالكة. يصطهج: يتلذذ برؤيتها. يراغي: يوارب. السويق: تلج مكبوس يذاب الماء مع الدبس أو العصائر. حورس النيل: نبات عشبي برّي له جذر يأخذ شكل أو حجم البندق طعمه مستساغ، وهو طعم حلو مائل إلى الحموضة. قول لي لأقول لك: على جدال دائم. مقاوصة: مناحرة بالكلام. ساطيك: سيطر عليك. نازل بساحته: لا يدع له مجال للتصرّف وأخذ راحته.

٨ - يتحركش بالحمّى لتجيه البرديّة: يسيء إلى نفسه. خبصات: أخطاء. يتخانق: يتشاجر. مخستك: مريض، من الخستخانة وهي المشفى. أدحشها: أدخلها. معنّباً: مملوءاً بالدم الفاسد. تاري الموس: كان الموس. يفضى لها الجو: تأخذ حريتها. استغنى: تخلّى. منشان هيك: من أجل ذلك. سفسطة: كلام لا طائل منه. يحوقل: يقول لا حول ولا قوة إلا بالله. بلائيك: أجدك. يشوبر: يحرك يداه لا على التعيين. يبربر: كلام غير مفهوم.

٩ - اتحوّك: أجد لها حلاً. كِنّ: أهدأ. بركي: ربما. اتفشّش: افش خلقي. فيجة السروجي: صنبور ماء يتميز ببرده مائه وهو مقابل جامع السروجي بحي الشاغور. آكلها بجتابه: يتحمّل ما يلحق به من تأنيب. تهرّ دموعه: يبكي. شبك: ما بك. حاجتك: كفاك. شلون: كيف. البروانة: المروحة الكهربائية. ندندش: ندلل، نراعي، نزهزه. يلّلي: من كان. فلهوي: حذق. منين: من أين. سيبك: دعك منه. هبيان: معدم.

١٠ - لمن: عندما. حيّة من تحت تبن: قش والقول كناية عن المكر والدهاء. كار الحلاقة لاصحابه: عنوا أنه لا يجوز أن يدخله غريب عنه. دبّار: محاسبة. شادد ظهره: يتقوّى. ايدي بزنارك: اتوسل إليك. الأبنضة:

اللوّفكة والزعبرة. عاجنينك وخابزينك: نعرفك على حقيقتك. بيآجر فيك: يضعك عند حدّك.

١١ - كلمتين مبردخات: منمقّات. يعرف البير وغطاه: أرادوا معرفته حقيقة الأمر. تزرعوها بذقني: أي على كفالته. عم يخليه: يجعله. هدول: هؤلاء. أولاد آدو: أرادوا الزعر. الحكايا فاقسه معه: عنوا ميله نحو الانحراف. لهفت: سلبت. على قماري الحمام: قمريات الحمام، عنوا بذلك فقدانهم كل شيء. فافوش: بلا مردود أو مقابل. هديك: تلك. شلون: كيف. صعي: صحيح. بتمزع العقل: كناية عن الإعجاب. تكندر: اقتنع. سخسخ: أعجب أيّما إعجاب. حساب الكرايا ما طبق على حساب السرايا: مثل شعبي أرادوا عدم حصول المرء على مبتغاه. شليف: وعاء. الزبالة: القمامة. جبّانة: مقبرة. الباب الصغير: عنوا باب الحديد بحي الشاغور وهو أحد أبواب دمشق القديمة. دكّن: إدّخر. حاجة: كفاية.

٧- كلام ينباس!!..

١ - على باب الله.

٢ - حقّ.. بقّ.

٣ - باب رزق.

٤ - ما بيطلع عن ضربة.

٥ - السلام لألله.

٦ - يلّلي بيصح لةّ جبن الضرف.

٧ - بكير عالدروشة.

٨ - باعة الحكي.

٩ - الاجرة حكي (نصائح).

١٠ - ادب سيس.

١١ - لسان مثل الشختة.

١٢ - العين بصيرة والايد قصيرة.

١٣ - عزمي تحتي.

١٤ - الطمع ضرّ ما نفع.

١٥ - خطوب لبنتك.

الشخوص المشاركة:

١ - الكبارية: أبو دياب، أبو العز، أبو عكيد، أبو راشد، وأبو رياض....

٢ - أبو عمر الحلاق.

٣ - حمدي السمان.

٤ - فريد ووالدته.

٥ - أبو عادل وأجيره حسني.

٦ - عبودة القهوجي.

٧ - تحسين أجير أبو راشد.

٨ - أبو رمزي وزوجه وابنه رمزي.

٧- كلام ينباس!!..

١- على باب الله:

لم تكن جولة أبو عمر هذا اليوم على النحو الذي اعتاد عليه كل يوم اثنين، كان هذا اليوم على باب الله، فلم يكن عنده موعد مسبق مع أيّ من زبنه. لقد تأبط شنطة عدّة الحلاقة وتوجه إلى السوق عسى أن يصادف أحداً يمكن أن يقنعه بقصّ (حلاقة) شعر رأسه أو قشّ ذقنه، سيما وأنّه اعتاد أن لا يدع زبوناً يفلت من بين يديّه، فهو لا يكاد يلقي السلام على أحد ممن يصادفه في جولته إلاّ ويكون قد شركله بحلاقة شعر أو قشّة ذقن، وإذا لم يفلح فلا أقل من يشرب عنده كأساً من الشاي، فضلاً عن توابع الشاي من خبز ولبنة أو جبن أو نحو ذلك مما يمكّنه أن يشغل به عصافير بطنه، أو احتساب ذلك مما قد يتناوله في الوجبة القادمة!!..

كان أهل السوق كل في دكانه: فحمدي السمان في بقاليته يُلبّي طلبات زبنه من السمن والسكر والرزّ ونحو ذلك مما يتطلبه المنزل. وأبو العزّ يرتّب عبوات السجاير (باكيت) وفق أصنافها وأنواعها، في حين ينهمك أبو عكيد في إنجاز سرج حصان توصاية لأحد زبنه. كما أن أنور النجار كان جادّاً منذ أيام في إنجاز لوح لدراسة القمح الذي جرى حصاده وفرشه بالبيدر تمهيداً لدراسته بذلك اللوح، وفصل حبّ القمح عن القش (التّبن الذي يساعد على تكوين سنابل القمح) بعمليّة التذرية. وكذلك كان نوري اللحام في عجلة لتوفير اللحم المفروم (على الدف) الذي يدخل في طبخة كل بيت تتطلّب ذلك اللحم. أما أبو فياض الخباز فبعد أن فرغ من تسويق (بيع) ما قام به من خُبز كان يقوم على خَبز أقراص العجين لأصحابها ممن لا يخبز على الصاج في بيته.

٢- حقّ.. بقّ:

في هذا الجوّ المفعم بالحيوية والنشاط انطلق أبو عمر يبحث عن رزقة يفتتح بها عمل هذا اليوم، كونه مجبراً على إغلاق دكانه كأمثاله من الحلاقين كل يوم اثنين من الأسبوع.

كان مرور أبو عمر من أمام دكان حمدي السمان مناسبة لدعوة حمدي لأبي عمر كي يشرب معه كأساً من الشاي. فلما أبدى أبو عمر تردّده في قبول هذه الدعوة قال له حمدي:

- **حمدي**: أبو عمر!! الشاي تازة وسخن، فوت.. فوت شراب لك كاسة حاجتك دلال.. أي والله قلبك عم يقول حِقّ بُقّ.

عزم أبو عمر على تلبية رغبة حمدي بشرب الشاي قائلاً:

- **أبو عمر**: ما زال هيك، لكان لا نخطف استناول رغيف خبز من عند أبي فياض.

- **حمدي**: لك عمي لا تروح ولا تجي.. حماتك بتحبك، ليكه الولد جايب الخبزات تازة وسخنين.

- **أبو عمر**: أي والله، إجت والله جابها، يفدح حريمها ما تحبّني اليوم.

سأل حمدي أجيره كمال عن سبب تأخره بالفرن، أجاب إنه انتظر ريثما قرّصوا العجنة، وأحصى عدد تلك الأقراص، وخبز له أبو فياض بضعة أرغفة قائلاً:

- **أبو فياض**: دبروا حالكم بهالكم رغيف لبين ما يجي دور عجنتكم.

طلب حمدي من أجيره أن يناول أبا عمر رغيفاً ويأخذ ما تبقّى إلى البيت، وأن لا ينسى ترك بضعة أرغفة بالدكان للحاجة.

- **أبو عمر**: لكان أخي أبو حميد حط لك فوق هالرغيف شي معلقتين جبنة ضرف، بس بحبحهم شوية بركي أكل معه حدا شي لقمتين.

- **حمدي**: أي مو على عيني، قال يلّلي بيصحّ لّه جبن الضرف بيغرف غرف.. وهي الخيط وخيط خيطه.

- **أبو عمر**: الله يديمك أبو حميد، والله لو ما بعرف إنّه مو بعينك ما كنت فتت لدكانتك وما كنت مالحتك، لأنّه مثل ما بيقولوا ما بتنهزّ غير الشجرة المثمرة[1]!!..

- **حمدي**: صحتين كول كول أبو عمر.. ما بتاكل غير العافية..

٣- باب رزق:

وبينما كان أبو عمر يزدرد طعامه قال لحمدي:

- **أبو عمر**: أخي أبو حميد، اسمنّها حامية، وصارت وصارت، شو رأيك ركّز لك هالشعرات.. شايفهن طولانين مو هيك؟!!

حاول حمدي أن يُفهم أبا عمر أن الدكان باب رزق وليست دكان حلاقة زد على ذلك، إذا سقطت شعرة في أيّ من المواد التي يبتاعها زبنه فإن ذلك سيكلّفه فقدان زبائنه. فقال له أبو عمر:

- **أبو عمر**: انت لا يكون لك فِكرة، ما بخلّي ولا شعرة تهرّ عالأرض.

- **حمدي**: انت كول وشراب شاي، وخلّي الدكان دكان سمانة.. وإن شاء الله على بكرة من بكير بكون عندك بالدكان بحلق وبقشّ ذقني.. مليح هيك؟!!..

سأل أبو عمر حمدي عن سبب عدم وضع أبو العز (باكيتات) علب السجاير التي اعتاد أن يجعلها في متناول يده لدى طلب الزبائن لأيّ منها. أجاب حمدي:

- **حمدي**: بالظاهر أن عليه شي مشوار، إه ما حب يفرد البسطة قدامه (أمامه)، صاير هالأيام إذا كان عليه مشوار عم يرخي الشبكة عالدكان لبين ما (حتى) يرجع حاكم أجيره صار له كام (بضع) يوم ما إجا عالدكان.

عندئذ طلب أبو عمر من حمدي أن يناوله كيساً ليضب ما تبقى من رغيفه وأردف ذلك بقوله:

- **أبو عمر**: وبطريقك أخي أبو حميد ناولني شي رغيف تاني مع شي ملعتين ثلاثة جبنة ضرف.. بركي (ربما) أكل معي حدا.. بدّي روح لحيء (الحق) أبا العز إسمنّه إجا وقبل ما يروح.. حاكم هادا أجيره عم يلحق أولاد آدو وصاير لعنة مكبرته.

ولم ينس أبو عمر أن يذكر حمدي بأنه ينتظره من بكير بالدكان ليحلق له.

٤- ما بيطلع عن ضربة:

التقى أبو عمر بأبي العزّ وهو يهمّ بمغادرة دكانه بعد أن رمى بالشبكة عليها. نفى أبو العز ما أشيع حول عدم انضباط أجيره أو عدم أمانته، وأنّ كل ما في الأمر عن غيابه كونه مخستكاً (مريضاً) وما هي إلاّ أيام ويعاود إلى المواظبة على الدكان. ذلك أن هذا الأجير يعدّ إيد ورجل (الساعد الأيمن) لأبي العزّ. أعرب أبو عمر عن رغبته بالانصراف بعد أن اطمأنّ على أبي العزّ متعلّلاً بان عليه الحلاقة لبعض زبنه، ومن ثَمّ سوف يوافي الجميع في جناح القصر من المقهى. لكنّ فضول أبي عمر جعله يسأل أبا العزّ عن سبب مغادرته باب رزقه من عند الصبحية (الصباح). أجابه أبو العزّ ذاهب لقضاء شغلة لأبي رمزي صاحب النّول الذي بخان تحت الحمام. لكن أبو عمر ما لبث أن تناوشته الشكوك بقول أبي العز، حتى وصل به الأمر إلى الاعتقاد بأن ثمّة رزقة يريد أن يلهفها (يأخذها) أبو العزّ منه وأتبع ذلك بقوله لنفسه:

- **أبو عمر**: الله يلعن الشيطان!!. أكيد أبو العز ما بيعملها، وفوق هيك هادا أبو رمزي إذا بتعصره ما بينزّ (لا يخرج منه)، هادا واحد جربان كحيان ما بيطلع عن ضربة، والله يبارك لك يا أبا العزّ فيه!!.

عاود أبو عمر تأويله للعلاقة بين أبي العزّ وأبي رمزي بقوله:

- **أبو عمر**: ليكون هالأبو رمزي علقان مع شي واحد.. لأ لأ هيّ بعيدة لأنّ أبا رمزي واحد بحاله وما بيشاكل حدا (أحد) وبيمشي الحيط الحيط وبيقول يا رب السترة!!. إه.. لكان ما في غيرها.. أبو رمزي بدّه يوسّط أبو العزّ عند شيخ الكار لحتّى يزيد لأبي رمزي حصته من الخيطان للنول تبعه.. لأن أبو العزّ من عمره كثير غلبة!!. وإذا كان هيك يا أبو عمر بدّك تأرجينا همّتك وتلحس لك لحسة من هالشغلة. يعني شو فيها؟!!. حلال عالشاطر!!.

٥- السلام لأللّه:

كانت المحطة التالية في جولة أبي عمر هذا اليوم ما كان من أمر استوقافه من قِبَل أبي عكيد الجليلاتي. فقد كان أبو عمر شارداً لدى مروره أمام دكان أبي عكيد.. كان يفكر في ما سيكون من أمر الرزقة التي سيحصل عليها من موضوع أبي العز وأبي رمزي.

استوقف أبو عكيد أبا عمر بقوله[٢]:

- **أبو عكيد**: أبو عمر.. أبو عمر.. لك وين يا أخونا.. السلام لأﷲ.. وإذا ما عاد بدك تحلق لّنا.. غنانا الله. لك قول مرحبا.. قول السلام عليكم.. ما اشتقت لمصريّاتنا (نقودنا)؟!!. نيّاله يلّلي آخذ عقلك.

- **أبو عمر**: ميت فلّه بالغالي.. بدّك ما تآخذني.. هيك شغلة زغبرة ناكتة شغلت بالي شويّ وأنا جاية لعندك.

وما أن جلس أبو عمر عند أبي عكيد حتى كان أنور النجار جار أبي عكيد قادماً يحمل إبريق الشاي وكاستين قائلاً:

- **أنور**: سمعت أبو عمر عندك أخي أبو عكيد، قلت لحالي أبو عمر بيحب الشاي الخمير حبّيت صبّ له كاسة.

يعمد أنور إلى صب كاسة لأبي عمر ومثلها لأبي عكيد فيقول له أبو عكيد:

- **أبو عكيد:** وأنت وين كاستك.

- **أنور:** إنبسطوا انتم إن شاء الله عوافي.

- **أبو عكيد:** له يا أبو النور ما لك حق.. بزعل منك.. جيب كاستك لنشرب سوا.

عقب أبو عمر على قول أبي عكيد:

- **أبو عمر:** عالحساب انت وأبي عكيد حبايب أبو النور.. انخطف هات كاستك. خلينا نشرب الشاي بالمعية مع أبي عكيد.

لحظ أبو عمر مخدّات منجدّة في صدر دكان أبي عكيد فقال لأبي عكيد:

- **أبو عمر:** الله يبارك يا أبو عكيد، شو هالمخدات؟!! شي جخّ شغل المعلم!! دامسكو مو هيك؟!!.

أجابه أبو عكيد، أصول الشغل يتطلّب ذلك.

فلمّا أعرب أبو عمر عن استغرابه استعمال ذلك النوع الفاخر من الدامسكو لتنجيد المخدات، قال له أبو عكيد:

- **أبو عكيد:** وإذا قلت لك أن هالمخدّة يللي عم نجدها، قماشها من البروكار.

عاد أنور بالكاسة لمشاركتهم شرب الشاي، فلما لاحظ ما كان من استغراب أبي عمر علق أنور على ذلك:

- **أنور:** أخي أبو عمر بسلامة عرفك يلّلي بيصح لّه جبن الضرف بيغرف غرف، وصاحبين هالمخدات الله مأنعم عليهم.. وبيستاهلوا.. وأمّا بنعمة ربك فحدث!!. يعني وإذا كان بروكار؟!!.

٦- يلّلي بيصحّ لّه جبن الضرف:

فقال أبو عمر:

- **أبو عمر:** بس يا أبو النور هادا البروكار بتتهاداه الملوك، مو حيّ الله، شوف شوف هالعروق وهالرسمات ما أحلاها!!. كلها بخيوط الذهب والفضّة. ذهب دهب وفضّة روباص مو حّي الله. مسيك بإيدك وشوف بعينك ولحا تقول أنّ الله حق!!.

أجاب أنور بعد أن تلمّس المخدّة المنجّدة بالبروكار:

- **أنور:** لك إي والله.. بدكن ما تآخذوني.. والله كنت محسّب إنه بلدنا ما عاد فيها هيك شغلات.. الله يعمرك يا شام.

- **أبو عكيد:** الدنية لساتها بخير يا أبو النور، والبلد تليانة نوال (م. نول) شي للبروكار وشي للدامسكو وشي للديما والألاجا والصاية. وعم يطلع على هالنول كل رسمة بتمجّد يلّلي خلقها.. شي أكلمة (ناهي).

عقّب أبو عمر على قول أبي عكيد:

- **أبو عمر:** وهلأّ شو رأيك يا أبو النور إعمل أنا وإياك شي فتلة صغيرة وأرجيك شي من يلّلي قال لك عنه أخي أبو عكيد.. لك قوم قوم (انهض) أحسن ما لك عم تقضّي عمرك مع هالقدوم والفارة تتجّر عصي للكريك والمجرفة والمرّ.. والمحفار..

ولمّا استفسر أنور عن المكان الذي سيذهب إليه مع أبي عمر، قال له أبو عمر:

- **أبو عمر:** لا يكون لك فكرة، مو بعيد، فركة كعب.. هون عنا (عندنا) أنوال بالشاغور، يعني تحت الحمام والمزار وزقاق الزّط (الإصلاح اليوم)؛ وكمان (أيضاً) بالقيمرية أكثر وأكثر.. ومن كتر (كثرة) ما بالقيمرية نوال سموها الهند الصغرى، ومن كثر ما كان فيها صنايع سمّوها درب العجم.

عقب أنور بأنّه كان يظنّ أنّه لا توجد أنوال إلاّ في ركن الدّين والشاغور. فقال له أبو عمر:

- **أبو عمر:** فوق هيك يا ما في أنوال في جرمانا وبيت سحم وحارة الجورة. وإذا ما لك مصدّق، الميّ (المياه) تكذب الغطّاس.. إجري وإجرك لأرجيك بعينك شلون هالصنايعية، كل واحد منهم نازل بجورته وراء هالنول تبعه ونازل بإجره (قدمه) على فرد دوسة ويا الله على فرد نقرة، وبتشوف المكوك شلون عم يقذفه يمين وشمال، وإيد هالزلمة (الصانع) شلون طالعة نازلة عم تسحب مع الدوّاسة والإيد الثانية عم تقذف المكوك وهالقماش عمّ يمدّ (يُنسج) قدّامه وعم يرصف رصف.. شغلة ما بتتصدّق!!.

عقب أبو عكيد على قول أبي عمر:

- **أبو عكيد:** شو نسيت أبو عمر الميجانا والعتابا والأوف يلّلي بيغنّوها وهنّن (هم) عم يشتغلوا؟!!.

- **أبو عمر:** ليش هي شغلة بتنتسى. والله مو حلوة خلجة المكوك إذا ما كان معها شي ينقال ويخلّي الواحد يسرح والخيط عم يمدّ ويرصف قدّامه.. وهيك يا أبو النّور لسّا ما بينزل تبع (صانع) النول بالجورة يلّلي قدام النول ويدوس أول دوسة إلاّ وبيكون ناقر لكن نأف الدين موال بيخلي الواحد يسرح في سبع سموات. لأنّه الواحد لمّن بيسلت (ينزل) وراء النول وبينزل ذجي سبع ثمان ساعات أي والله بتطق روحه.. ومنشان هيك بتلاقيه عم يدندن بشي غنّية، يا بيسرح بموال بيقفله بعتابا أو ميجانا، وهيك بيسلى عن قرقعة النول وهوّ طالع نازل.. يعني فيك تقول منشان يتسلّى وبيموّه عن حاله.

ومنشان هيك لسّا ما بيطبّق السدي ويركّز الرسمة (النقشة) ومع أول دوسة بيكون ساحب الموّال، وما بتلاقي إلاّ جاره بالنول الثاني مجاوبه بموّال ثاني وما بتحلى الميجانا والعتابا غير منهم.

عقب أنور النجار على ما ذكره أبو عمر بأنه لو ما كانت الشغلّة التي بإيده صاحبينها مستعجلين عليها، لكان راح مع أبي عمر وشاف بعينه يلّلي سمعه.

أجاب أبو عكيد مالك بالطيّب نصيب.

٧- بكّير عالدروشة:

ينطبق على أبي عمر في حكايته مع أبي عكيد المثل الشعبي القائل:

إيده بالخرج.. وما بينسى الغنج.

ذلك أن أبا عمر رغم ما دار بينه وبين أنور النجار من حديث حول البروكار وتوابعه، وما كان من شأن صناع النسيج وراء نول النسيج.. لم ينس أبو عمر أنه عرّج على أبي عكيد على أمل أن يسترزق منه بحلاقة شعر أو قشّة ذقن على اقل تقدير، فلما عاد أنور النجار إلى دكانه قال أبو عمر لأبي عكيد:

- **أبو عمر**: أي سيدي أبو عكيد، اسمّنها صارت وصارت لحا هندز (رجّل) لك هالشعرات ونعّم لك هالذقن.

استغرب أبو عكيد عرض أبا عمر بالحلاقة له في دكانه، قائلاً أنه سيصبح فرجة للقادم والرايح، أجابه أبو عمر: بأن ذلك أمراً عاديّاً، لأنّه بالأمس حلق لأبي راشد بالمقهى وقش لأبي العز ذقنه في دكانه، ولو لم يكن عازماً على القدوم إليه لكان حلق لحمدي في دكانه، وتابع قوله:

- **أبو عمر**: ما فيها شي أبو عكيد.. وفوق هيك على الأقلّ إذا إجاك شي زبون لحا يلاقيك بدكانتك، لك أخي انبسط انبسط.. الدنية فانية، ومنشانك لحا أحكي لك حكاية، لحا تحكيها لولد ولدك، حكاية ما بتتصدّق، ولو ما بعرف صحابها لكنت قلت هالحكاية كذب بكذب.. بقا يا أبو عكيد ليش ما بدك تتهندز (تظهر بمظهر لائق) لسّاك شباب.. بكّير عالدروشة[٣].

أجاب أبو عكيد:

- **أبو عكيد:** بس الله يخلّيك ما بدّي تقرمط لي نقرتي قرمطة. بدي إيّاها سكب ومن غير نتوشة هَهْ!!. حاكم انت إذا أخدك الحال واندمجت بالحكاية ما بتشوف حالك إلاّ ناتش لك شقفة من نقرتي يا مستناول شحمة إذني.

أجابه أبو عمر حانقاً:

- **أبو عمر:** هلاًّ أخي أبو عكيد بدّك تحلق وتسمع يمّا بدّك تكسّر مقاديفي؟!!

- **أبو عكيد:** لأ أبو عمر أنا بدي إحلق واسمع، بسّ انت ما ياخدك الحال وتقرمطني من هون وهون.

- **أبو عمر:** بعدين أنا شلون ما كان زلمة لاحق شغلي يلّلي عم آكل منّه خبز.

عمد أبو عكيد إلى مسايرة أبا عمر، من أجل أن لا يأخذ على خاطره بقوله:

- **أبو عكيد:** يعني يا أبو عمر الحال من بعضه كلنا بها الدنية عم نلابح لحتى نجيب الراسين على فرد مخدّه. وهلاًّ أبو عمر خود راحتك وهات سمّعني.

٨- باعة الحكي:

شرع أبو عمر في حلاقة (قص) شعر أبي عكيد وهو يحكي له قصة امرأة توفي زوجها وترك لها ولداً كسولاً متخاذلاً لا يهمّه إلاّ نفسه. ألحّت الأم على ابنها أن يبادر ويبحث عن عمل يُسهم في تحمّل متطلّبات البيت، أو يتعلّم كاراً (حرفة) تقيه حاجة الناس، لأن الدنيا ما لها أمان، والناس ما بترحم. لكنّ

الولد ظل يعمل من نفسه، سمعان مو هون (ليس هنا). فلما أصرّت والدته على رغبتها قال لها:

- **فريد:** لك أمي شو صاير علينا؟!.. لاحقين عالشغل، يمّا بدّك ياني اشتغل واتبهدل على صغر؟!!.

- **الأم:** لك أمّي أنا ما بقصد هيك، عم قول لك قوم اشتغل لأنه الكون بده يعمر ولحتّى ما تعتاز حدا.. وإذا بدّك تظلّ قاعد هيك بالبيت مثل النسوان، أنا لحا قوم من بكير لاقي لي شغلة، وحصوة بتسند جرّة.

كان لابد لفريد أن يقنع بضرورة البحث عن عمل يؤمن به مستقبله. فزّ من على بكرة الصبح حمل درب طريقه وصار يدوّر من دكان لدكان عسى أن يجد عملاً.. ولكن لا تغلب، فلم يقبل أحد أن يشغّله عنده.. قام هجّ من البلد، وصار يسوح بها البلاد.. بلاد تقيمه.. بلاد تحطّه وهو عم يسأل عن عمل.. إلى أن وصل إلى بلد كبيرة، فقال لنفسه:

- **فريد:** بركي (ربّما) بلاقي لي شي شغلة بها البلد.

- **أبو عمر:** وهيك هالولد صار يفتل من محل إلى محل وهو على قولة: عمي لازمك شغيل.. عمّي تشغلني عندك. أنا غريب عمي بلاقي لي شي شغله عندك.

بقا يا أبو عكيد ربّك كبير هالولد ضل يفتل وضلّ يسأل لحتى وصل لمحّل كبير، ناس فايتة وناس طالعة من هالمحل، وقّف على جنب وصار يتطلع شو عم يصير بها المحلّ.. شو بيبيعوا شو بيشتروا؟!!. ولإيش هالعجقة شبها (ما بها) هالناس فايتة طالعة.. ليش ما حدا فاضي لحدا.. ما كان يعرف.. وبلا طول سيرة عليك يا أبو عكيد هالولد وهوّ صفنان هيك ما سمع إلاّ زلمة قاعد بصدر المحل والناس حواليه، عمّا ينادي له.

سأل الرجل (وهو صاحب المحل) فريد عن سبب وقوفه أمام المحل، أجابه بأنّه غريب ويبحث عن عمل، وعلى استعداد أن يكنّس ويمسح ويعمل قهوة وشاي وياخذ أغراض للبيت.. وكل ما يطلب إليه. وهكذا وافق صاحب المحل أن يعمل فريد عنده على أن لا يفتح فمه بكلمة ولا يأخذ ويعطي مع أحد بأيّة كلمة.

عمل فريد في ذلك المحل وقام بعمله على أحسن وجه، دون أن يعرف بماذا يتعاطون من عمل أو بيع وشراء. فلما أعرب أبو عكيد عن استغرابه أخبره أبو عمر بأن المحل يتعاطى تقديم النصائح لزبنه، أيّ يبيعون كلاماً. لم يقبض أبو عكيد قول أبي عمر وقال له:

- **أبو عكيد**: هلاًّ انت أبو عمر عم تسحبها عليّ منشان تخيلني، يمّا عم تمزح؟!!. قال شو: بيبيعوا حكي، يعني ما بقا غير تقول لي بياكلوا وبيشربوا حكي، وبينضربوا على قلبهم حكي!!.

فلما أكد أبو عمر صدق أقواله، قال أبو عكيد:

- **أبو عكيد**: وإن شاء الله لحا ياخذ هالولد إجرته حكي.

نفى أبو عمر أن تكون أيضاً إجرة فريد حكي، لأنه تغرّب من أجل أن يجمع قرشين يساعد بهم والدته على تحمّل أعباء البيت، ولا ينقصه حكي حتّى يعمل نحو خمسة عشر عاماً بأجرٍ من حكي.. وقد أحبّه معلمه واهل بيته حتى أصبح لكأنّه واحداً منهم. ثم اتبع أبو عمر ذلك بقوله:

- **أبو عمر**: بس يا أبو عكيد، هالولد لمن صار كل شي بإيده اشتاق لأمه واشتاق للحارة ولرفقاته، وصارت أفكاره تأخذه وتجيبه وصار قلبه يعصّه وما عاد يجيه نوم. وعندما لاحظ معلمه ذلك سأله عن ما به قائلاً:

- **المعلم**: لك إبني قول لي صاير معك شي؟.. لازمك مصاري قول شو بدّك، وما بيغلى عليك غالي.

نفى فريد كل ذلك وقال لمعلمه، أنّ أفضاله طامرته، ولحم اكتافه من خيره، لكنّه محتار في أمره، ولا يعرف ماذا يقول، لأن الأمر بقلبه وليس بلسانه، وما له عارف ماذا يعمل!!.

حسب المعلم أنّ فريد يعاني من حبّ لاحداهنّ، ويخشى أن يبوح بذلك. فسارع معلمه إلى القول:

- **المعلم**: لك ابني.. إنت بسّ قول مين هيّ وبكرة بتكون عندك، وإلك عليّ لاعمل لك عرس ما صار. لك ابني الشغلة ما بدها مستحى.. هيّ (هذه) سنّة الكون، وما في (يوجد) أحد بعمرك إلاّ ويفكر بواحدة تشاركه حياته وتكون عوناً له. وإذا كنت بتستلطف بنت من بناتي قول أني منهن لزوجك إياها.

نفى فريد أن يكون قد خطر بباله شيئاً من هذا القبيل وقال لمعلمه:

- **فريد**: معلمي بناتك الله يحفظهن كلّهن تاج راسي، ومنين لواحد مثل حكايتي يجي بباله يفكر بهيك شي.. شو جاب لجاب معلمي.. يمّا هاد جزاة كرمك معي.

- **المعلم**: بزعل منك، هه شو هالحكي؟!!. بعدين ما سمعت شو قالوا أهل أول، قالوا خطوب لبنتك ولا تخطب لإبنك. ولو ما كنت أهل لبنت من بناتي ما قلت لّك هيك، ومنشان هيك بدّك تقيم هالافكار من راسك.. وبدك تفكّر على مهلك، وكرمالك أنا جاهز من مجاميعه.

ما كان من أبي عكيد إلاّ أن عقب على ذلك بأن ذلك من رابع المستحيلات لأن زواجه كهذه لا يمكن أن تكون ولا بالمنام. وأكّد أن أبا عمر قد بالغ في كلامه لدرجة أنه أصبح من غير المعقول. لكن أبو عمر ما لبث أن أخذ يحلف (يقسم) ويتتالف حتّى يصدق أبو عكيد.

٩- الاجرة حكي (نصائح):

قال أبو عمر لأبي عكيد:

- **أبو عمر**: شوف أبو عكيد.. وفوق هيك، انّ معلم فريد، وقت يلّلي عرف أن ما يشغل بال فريد إنما هو اشتياقه لأمه وصحبه وحارته.. زاد إعجابه بفريد، وأعطاه نصائح خلّصت فريد من هلاك (الموت) محتم:

قال له: يا ابني بوادي لاتبات، ومروق على نهر عجاج وكون طويل بال. لأنّ طولة البال بتهدّ جبال، ومنشان ما تاخذ على خاطرك يا أبو عكيد، لحا قول لك قديش استفاد فريد من هذه النصّائح، لأنّه في كلام بينباس وبينحط عالراس وكلام ما له طعمة، ولحتّى تعرف شلون عم يبيعوا بهالمحل يلّلي اشتغل فيه فريد كلام من النوع يللي بينحطّ عالراس.

أ - بوادي لا تبات:

كانت النصيحة الأولى بأنّ على فريد إذا كانت الدنية مغيّمة أن لا ينام بوادي، لأنه إذا هطلت الأمطار، قد تشكل سيلاً يغرق الأخضر واليابس وتتحوّل الدنيا في الوادي إلى خراب. وهكذا فعل فريد، ذلك أنه بعد مسيرة ساعات اكفهرّ الجوّ فعمد إلى مغادرة الوادي الذي يسير فيه، إلى مكان مرتفع، وقد استهزأ من فعلته هذه كل من كان بالوادي آنذاك، فلما كان السيل عرف الجميع أن فريد كان محقاً. وبالتالي غرق جميع من كان بالوادي.

ب - مروق على نهر عجاج:

وكانت النصيحة الثانية التي قدّمها المعلم لفريد: أن يمر إذا كان مضطراً على نهر عجاج ولا يمر على نهر هادئ.. فقد كان فريد وهو في طريقه إلى والدته، كان عليه أن يقطّع النهر اختصاراً للطريق. وبهذا النهر مكاناً كان فيه الماء عم يندف ندف، ومكان آخر الميّ (الماء) هادية فيه يعني إذا بترمي قشرة برتقالة يا دوبها الميّ تحرك هالقشرة.. وبينما كان فريد

يحاول اجتياز النهر إلى الطرف الثاني، إذا برجلين يريدان تقطيع النهر، نصحهم فريد أن يفعلوا ذلك من المكان الذي تُرغي فيه مياه النهر وتزبد، لكنهما أصرّا على تقطيع النهر من المكان الذي كانت المياه فيه هادئة. فكان أن سحبهما دوار داخلي بالنهر فغرقا.

عند ذلك قال أبو عكيد لأبي عمر:

- **أبو عكيد**: والله يا أبو عمر الحق معك، لأنّ هالولد لو ما سمع كلام معلمه لكان راح فيها ببلاش.. صعي (صحيح) مثل ما قالوا: كانت النصيحة بجمل.

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر**: ورب العالمين قال: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة. صدق الله العظيم(٤).

إلى هنا كان أبو عكيد في عجلة إلى معرفة النصيحة الثالثة، التي قدمها معلم فريد ألا وهي:

ج - كون طويل بال:

لأن طولة بتهدّ الجبال، ذلك أن فريد لمّن وصل إلى البيت كانت الدنية نص (منتصف) الليل، وحتى لا يزعج أمه فتح الباب بالساقط (المفتاح) الذي معه، ولمن فات لغرفة أمه وجد إلى جانبها شاب نائم مثل النخلة، سحب الشبرية يريد قتله، لكنه تذكر وصية أو نصيحة معلمه: كون طويل بال.. إه.. صار بدّه يطول باله لحتى يعرف من أمه من يكون ذلك الشاب.. وهيك هرّت من عينه دمعة على وجه أمه، فاستفاقت، فلما رأته كاد يزحل عقلها من فرحها به.. ولما سأل أمه عن الشاب النائم إلى جانبها قالت:

- **الأم**: هادا (هذا) أخوك، انت لمّن (عندما) سافرت كنت حبلى به بالشهر التاسع.

فقال أبو عمر:

- **أبو عمر:** بقا يا أبو عكيد شو رأيك، مو فيه كلام بينباس وبينحط عالراس.. وهالكلام يللي تعلمه فريد من معلمه مو أغلى من مال الدنيا.

قال أبو عكيد: إن الله حق.

١٠ - ادب سيس:

رغب أبو راشد موافاة الكبارية في المقهى، لكنه على غير عادته أوصى أجيره من حسني صانع أبي عادل بعد أن طرده معلمه لسوء أمانته. ذلك أن حسني هذا عمد إلى استجداء أبي راشد بأن يحكي له مع معلمه الذي طرده من عنده. وهو يقسم بالله أنه مظلوم.

قال له أبو راشد:

- **أبو راشد:** يعني معلمك كذّاب وعم يفتري عليك وانت مسكين القط بياكل عشاك؟!!.

- **حسني:** لآ عمي أبو راشد، أنا ما هيك (هكذا) قصدي، أنا والله مظلوم ومعلّمي هوّ حاطط حطايطي، وكل يوم بيطلع لي بفنطي، وقال بدّه ياخذني عالكركون (مخفر الشرطة).. أي والله ما عاد فيني إمشي بالطريق.. وإذا معلمي ما عاد بدّه ياني.. أنا ببطّل وبلاقي لي شغلة عند غيره، ورزقي على الله.

طلب أبو راشد من حسني أن يبقى عنده مع تحسين ريثما يلتقي بمعلمه أبي عادل. ولما لم يجد أبو راشد أبا عادل في دكانه سأل عنه جاره أبو عكيد الجليلاتي:

- **أبو راشد:** شو أخي أبو عكيد باينته أبو عادل راخي الشبكة على دكانته ما له بالعادة..

- **أبو عكيد:** والله يا أبو راشد، أبو عادل ما له بالعادة يترك دكّانته، وأجيره حسني صار له كام (بضعة) يوم ما له عم يجي عالدكان.. بالظاهر هادا (هذا) حسني صار عم يلفي على أولاد آدو، وصاير أدب سيس، وعم يمدّ إيده عالغلّة، مع أنه معلمه أبو عادل مليح معه وإيده لحلقه ولحم كتافه من خيره.

علق أبو راشد على كلام أبو عكيد قائلاً:

- **أبو راشد:** والله يا أبو عكيد إذا بدّه يطلع هيك من هالجيل على الدنيا السلام.. قال من أمّنك لا تخونه ولو كنت خوّان.

مرّ أبو عمر في طريق عودته إلى بيته من أمام دكان أبو عكيد، وسمع ما قاله أبو راشد بحقّ حسني، سأل أبو عكيد أبا عمر عن ما إذا كان سيعود إلى منزله. أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر:** والله يا أبو عكيد عم قول لحالي اليوم معصلجة خليني روح عالبيت احسن، بعدما سمعت شو عامل حسني صانع أبو عادل بمعلّمه. لك يا جماعة صارت الدنية ما فيها أمان.. لك هاللعين حسني بعد كل يلّلي عم ياخذه من معلمه عم يسرقه.. طلع هالبشت حرامي وبازاونك.. الله لا يورّده. أي والله قدّ (مقدار) ما عمل فيه معلمه الله لا يقيمه.. خرجه وبيستاهل!!.

طلب أبو راشد من أبي عمر أن يأتي معه إلى أبي عادل عسى أن يخففان مصابه. رحب أبو عادل بهما وأصرّ على دخولهما وتناول الشاي معه أو أيّ شيء آخر كالتمر هندي أو الكازوز (الكولا) ونحو ذلك قال له أبو راشد:

- **أبو راشد:** والله يا أبو عادل شفت الشبكة مرمية عالدكان قلت لحالي مالك بالعادة ترمي الشبكة.. انشغل بالي.. خير إنشاء الله.

أجاب أبو عادل أنّه انشغل لبعض الشيء هذه الأيام، ولما سأله أبو راشد عن أجيره، أجابه أبو عادل وهو يتأوّه حسرة:

- **أبو عادل:** والله يا أبو راشد، جهده الواحد لا يأمّن لغريب، لأنّه ما بيهكل همّك غير يلّلي من دمك.

اعترض أبو عمر على قول أبي عادل، لأنّ في هذه الحياة كل صاحب يميّز عن الأخ ثم أردف:

- **أبو عمر:** وإذا كان أجيرك مو تمام، الدنيا لسّاتها بخير.

قال أبو عادل بأنّه سلّم أجيره حسني كل شيء، وما أن تمكّن حسني حتى أخذ يتحكّم، وصار بدّه يقاوصني (يناحر) حتى لكأنّه المعلم وأنا الأجير!!. وأضاف أبو عادل بأن كل مصلحة (عمل أو ما شابه) لها خصوصيّاتها بين أهلها، وكل إنسان يحرص على أن لا يعرف الآخرون هذه الخصوصيات. وأنّ حسني كشفني عند أهل السوق، وفوق ذلك عمد إلى الاختلاس من الغلّة، كما أنّه عمد أكثر من مرّة إلى تحويل زبائن المحلّ إلى أناس آخرين من أهل السوق، حيث أنّه أخبر أهل السوق أنني تخلّيت عن عملي وسأعمل على إيجاد عمل آخر غيره.. وبالتالي أصبحت وكأني بلا عمل، لا بيع ولا شراء ولا زبائن على الإطلاق.. ومنشان هيك أنا جاية على بالي سلّمه للكركون (مخفر الشرطة) لحتّى يتربّى. أو لحا (سوف) إحكي مع شيخ السوق لحتى يحرّمه يدردر ناح دكانتي.

١١- لسان مثل الشختة:

طلب أبو دياب إلى عبودة أن يذهب إلى أبي راشد ويخبره أنّ الكباريّة مشغول بالهم عليه لتأخره في الحضور إلى جناح القصر بالمقهى. ما كان من أبي راشد إلاّ أن طلب إلى عبّودة أن يسبقه، وهو لاحق به. وصل أبو راشد وبصحبته أبي عمر، فرحب جميع من كان في جناح القصر من المقهى به، عمد أبو عمر إلى التعقيب على ذلك الترحيب:

- **أبو عمر**: العز للرزّ أبو راشد.. جخّ بهالنّعم جخ.. قال يا رب شروقني بريقي لاعرف عدوّي من صديقي.

في هذه الأثناء كان أبو العز قد حضر وجلس إلى جانب أبي دياب، فقال لأبي عمر:

- **أبو العز**: والله يا أبو عمر قد (مقدار) منّك ملوفك عيني ما رئت، لك يخرب بيت سنتك إلك لسان مثل الشختة، شلون ما درته بيندار معك. وفوق هيك انت مثل إصبعة زينب طول مالك قاعد بتحكش.. وانت بتعرف أنه أبو راشد حبيبنا ورجلك فوق رأسك. فهمت ولآ لأ (لا).

- **أبو عمر**: فهمت أخي أبو العز فهمت ومثل ما بدّك، بس لازم تقول لنا شو صار بالشغلة يلّلي بينك وبين أبي رمزي.. عالحساب نحنا همشرية!!... يعني الشغلة ما لحا ينوبنا منها لحسة.. نحلّي فيها ريقنا؟!!.

أراد أبو العزّ أن يرد على أبي عمر، لولا أن قاطعه أبو دياب سائلاً عن ما كان من مساعي أبي العز لأبي رمزي. أجاب أبو العز:

- **أبو العز**: والله يا أبو دياب هالأبو رمزي رجّال ابن حلال مصفى وبيستاهل كل خير.. والله ما ضيّع له تعب، وهي جيّتي من عنده[٥].

لاحظ أبو العز ضحكة في فم أبي عمر وهو يحاول إخفائها فقال لأبي عمر:

- **أبو العز**: لك حمّصة الكي لإيش عم تضحك.. أنا قلت شي بيضحّك؟!! يمّا عم تكتّر غلبة وتعمل من حالك أبو الفهم؟!!.

- **أبو عمر**: والله يا أبو العز، عم اضحك لأن الحال من بعضه.. لأنّك انت طول النهار مع أبي رمزي.. وأنا بمعيّة أخوك أبو راشد قضّينا نهارنا مع مشاكل حسني أجير أبو عادل.. لك ما تاري هالحسني بلوة مصبّرة!! يخرب بيت سنته ما بيحلّل ولا بيحرّم.. وهيّ (ها هو) أخوك أبو راشد خلّيه

يحكي لك.. حاكم هادا (هذا) حسني كان لحا يكندر (يقولب) أبو راشد، وكان لحا يصدّقه إنّه مظلوم، وإنّ معلّمه أبو عادل حاطط حطايطه لحتى يقلّعه من محلّه (دكانه).. مو هيك أبو راشد؟!!.

- **أبو راشد:** أي والله يا جماعة، هاللعين صار يتمسكن ويتباكى ويعمل من حاله مظلوم ودرويش.. وهوّ عامل لمعلمه السبعة وذمتها، وكان لحا ينكبه نكب.. ما تاري منشان هيك أبو عادل كان ماله على بعضه، وما عم يركز بالدكان.

١٢- العين بصيرة والايد قصيرة:

عاود أبو دياب سؤال أبي العز عن ما حصل مع أبي رمزي، تمكمك أبو العز بعض الشيء وقال:

- **أبو العز:** والله يا جماعة مثل ما قلت أبو رمزي رجال ابن حلال وقرشه حلال، والله بعدي اسمه ما ضوّع له تعب. وبلا (بدون) طول سيرة عليكم، قال المربّى غالي، ورمزي شب مربّى عالغالي وماله لا شوكة ولا دبّاحه.. بقآ حبّت أم رمزي أن تفرح بابنها فقالت لزوجها:

- **أم رمزي:** يا ابن الحلال ما آن الأوان (ألم يحين الوقت) لحتى نلاقي لرمزي شي بنت حلال ينبسط معها، وتملي علينا البيت بولاد رمزي.. أي والله عمّ يطق راسي وأنا قاعدة وراء الدولاب وجنبه الطيار وأنا عم لفّ لك مواسير للنول تبعك!!.

أجابها أبو رمزي، بأن العين بصيرة واليد قصيرة. وإنّها بتعرف البئر وغطاه ثم تابع قوله:

- **أبو رمزي:** وإذا بدّك عروسة لابنك، هالشي بدّه أواتيله (مستلزماته) ونحن مثل ما لك شايفة الخبز ما لنا شبعانينه مثل العالم!!.

عاودت أم رمزي التمهيد لزوجها بشأن خطبة عروس لابنها بقولها:

- **أم رمزي**: شوف يا ابن الحلال، خود (خذ) مني هالمبرومتين (سوارتين) أنا مخبيتهن لوقت العازة، وهلأ صار وقتهن، خذهن وبيعهن ومنحط فوقهن يلّلي مصمدهن رمزي، ومنّك شي قرشين، وحصوة بتسند جرّة. خلينا ندبّر حالنا، ونلاقي له بنت الحلال. ويلّلي مثلنا تعوا (تعالوا) لعنّا (إلى عندنا)[٦].

١٣- عزمي تحتي:

وافق أبو رمزي على رغبة زوجته، وأصبح أكبر همه أن يوفّر ما يستطيع لأجل ذلك. كان عليه أن ينزل كل يوم في جورة النول، وينزل دحي دحي من (جهجهة الضوّ) على بكرة الصبح لعند عشية (المساء)، وأخذ يأنديء (يقترّ) على نفسه، ويصمّد (يدخر) المصاري يللي عمّ يوفرها في علبة كان يخبئها تحته وراء النول الذي يشتغل عليه، وبلغ به الفرح أن درجت على لسانه وهو يغني وراء النول عبارة: عزمي تحتي.

فكان كلّ ما طلع بموّال يضمّنه هذه العبارة.. وعلى قولة: عزمي تحتي مع كل قذفه مكّوك، ودوسة نول.

اشتلق (شعر به) أحد معارفه، فربص (داوم) عنده، وأخذ يعمل من نفسه أنّه يخدمه، فمرّة يُحضر له الخبزات ومرّة يأخذ له الأغراض إلى البيت، ومرّة أخرى يغلي (يعدّ) له الشاي. كل ذلك من أجل أن يعرف ما يرمي إليه أبو رمزي في قوله: عزمي تحتي. وفي نفس الوقت فإن أبي رمزي كان بين الحين والآخر يكرم هذا الرجل لقاء خدماته. لأنّه اعتبر تلك الخدمات عن محبّة له، وبالتالي فإنها تعفيه من ترك عمله وراء النول من أجل القيام بها.

قال أبو العز للحضور في جناح القصر:

- **أبو العز**: ما تاري هالزلمة سرسري وبازاونك ونطفة ابن حرام. لأنّه لما سمع قول أبو رمزي: عزمي تحتي، لعب الفار بعبّ هالزلمة وصار

بدّه يعرف شو بيقصد أبو رمزي من قوله: عزمي تحتي، فما كان منّه إلاّ أن لطي له من تحت لتحت، حتى إذا خرج أبو رمزي من جورة النول إلى بيت الخلاء، كان هاللعين نزل بسرعة إلى جورة نول أبو رمزي، وأخذ يبحبش (يفتّش) هون وهون (هنا) حتى علقت بيده علبة مصاري أبي رمزي، قام هفّها (اختلسها) وطلع من جورة النول وكأنه لا علمه ولا خبره.. ولحتى ما ينكشف أمره ظلّ يتردّد على أبي رمزي. وهلاًّ خدعتكم بالله.. مو مسكين أبو رمزي؟!!.

تابع أبو العز قوله:

- **أبو العز:** بآ.. بلا طول سيرة عليكم هالمسكين أبو رمزي لمّن (عندما) لم يجد علبة المصاري طار عقله من برجه.. وما كان يعرف شو بدّه يعمل، المسكين راح تعبه وشقاؤه من بين إيديه بلحظة. صفن ها الأبو رمزي وصار بدّه يعرف مين غريمه لكن لا تغلب. الله يكون بعونه اكلها بجنابه وكبس على جرحه ملح لبين ما (إلى أن) يهديه الله إلى حلّ يكون فيه فرج الله.

ومنشان هيك فزّ (نهض) ثاني يوم على شغله وكأنه لم يحدث معه شيء. وإذا بالأفندي صاحبه كان سابقه ومحضّر له الشاي كعادته وعمّ يستنّاه (ينتظره) لحتى يشرب الشاي معه. ولما سأله أبو رمزي عن سبب قدومه باكراً، أجاب أنّه نام مبكراً، فقلق ولم يجد نفسه إلاّ عند نول أبي رمزي. وأنّه وجد الباب مفتوحاً فدخل، وها هو بانتظاره!! احتار أبو رمزي في أمر صاحبه، فهو بين الشكّ واليقين في أن صاحبه هو الذي سرقه، أو أن ثمة إنسان آخر قام بهذه السرقة. ولذلك كان خوف أبي رمزي كبيراً في إلصاق هذه التهمة بصاحبه، وبخاصة وأن هذا الصاحب ظل على عادته في خدمة أبي رمزي، لكن قيام هذا الصاحب بتجديد حلاّسه (مظهره)، وبخاصة ملابسه حيّر أبا رمزي، لأن أبا رمزي يعرف أن صاحبه معدماً ومنتوفاً ولا يكاد يجد

في جيبه ما يسدّ رمقه. ومن أجل ذلك لجأ أبو رمزي لعندي وطلب منّي مساعدته، لأنّه أصبح على الحديدة، وليس في مقدوره عمل أيّ شيء!!.

١٤- الطمع ضرّ ما نفع:

ومن ثمّ طلب أبو العز إلى أبي رمزي القيام يوم غد إلى عمله كعادته وأن يترك الباقي عليه، على أن يراعي ما سيقوم به بكري زلمة أبي العزّ.

طلب أبو العز إلى بكري أن يوافي صاحب أبو رمزي ويسأله عن نول أبي رمزي لأنّه يريد أن يدفع له مبلغاً من المال ثمن ما ينسجه أبو رمزي خلال أسبوع مسبّقاً، حتى لا يبيع أبو رمزي ذلك إلى زبون آخر.

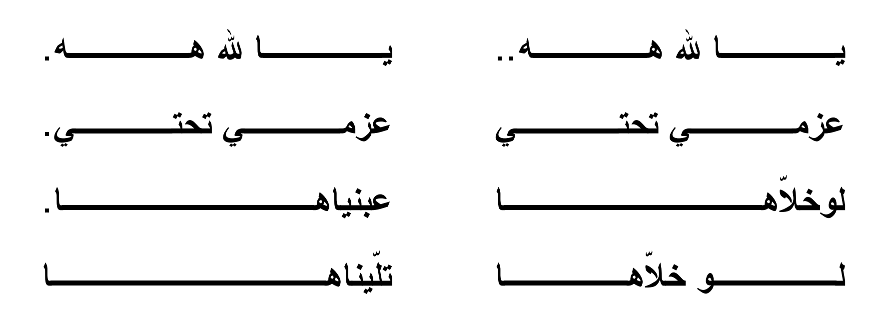
سمع صاحب أبي رمزي ما دار بين بكري وأبي رمزي، ورأي بأم عينه المبلغ الذي أخذه أبو رمزي من بكري.. فوجد في ذلك فرصة مناسبة للاستيلاء على ذلك المبلغ. وبخاصّة بعد أن لاحظ أن أبا رمزي قد شمر عن ساعد الجدّ ونزل وراء نوله وشرع يعمل وهو يغني:

عــالعين يــا بــو الزلــف زلفـــو يـــا لبنيّـــا..
صفــــصاف لا تـــسنحي شرشـــك علـــى الميّـــا.
لاطلـــع لـــراس الجبـــل لاقـــي الجبـــل عـــالي.
وقـــول يـــا جيرنـــي رمـــزي بـــدّه صـــبيّة.

* * * * *

وعـــالعين مـــوليتّين عــــالعين موليّـــــا.
شـــد الـــسديّ انقطـــع مــــن دوس رجليّـــــا.
ومكـــوك قلبـــي خفـــق كرمالـــــك بالبنيــــا.
وعــالعين يــا بــو الزلــف زلفـــو يـــا لبنيّـــا
وعرســـك يـــا رمـــزي علـــــى عينيـــــا.

ويتابع أبو رمزي وهو يسرع الدوس على دوّاسه نوله ويقذف المكوك يمنة ويسره:



أيقن صاحب أبا رمزي إمكان حصوله على المبلغ الذي قبضه أبو رمزي من بكري إذا أعاد علبة الدراهم الذي كان قد سرقها من جورة نول أبا رمزي. فلما وجد أبو رمزي علبة دراهمه سرّ أيمّا سرور وشرع يغني وهو يعمل وراء نوله:

وعزمـــــــي تحتـــــــي   عزمـــــــي تحتـــــــي

وذقـــــــن الطمـــــــاع   يطيـــــــز المفلـــــــس

وعندما طلب أبو رمزي من صاحبه أن يشاركه الغناء، حاول هذا الصاحب أن يملص (يهرب) وينجو بنفسه، لولا أن أمسك به أبو العزّ ونزل به ضرباً ولكماً وهو يقول له:

- **أبو العزّ**: هادا انت يا حسني؟!! لك ابن الحرام ما كفّاك يلّلي عملته بمعلمك أبو عادل؟!! جايه كمان بدّك تهفّ (تأخذ) مصريات هالآدمي لك مو حرام عليك؟!!.

كاد أبو العزّ أن يُهلك حسني ضرباً لولا قدوم الشرطة لاعتقال حسني.. وكفى الله المؤمنين القتال.

١٥- خطوب لبنتك:

أما خبر رمزي وما كان من أمر سيرانه وزواجه.. فعند خاله أبو رياض، فقد كانت قصة زواج رمزي قصة فريدة وإن كانت أحداثها من الأمور المسلّم بها في مجتمعنا.

- **أبو رياض:** يا جماعة نحنا منعرف أن ابن اختي رمزي شب مو تبع (صاحب) مشاكل وبيتصلّى على دياله، بقا حب رمزي ورفقاته بالمصبغة يلّلي بيشتغل فيها، يعملوا سيران بالغوطة. وهيك ذهب رمزي ورفقاته على بستان نواحي الشيخ شمعون، أكلوا وشربوا وانبسطوا مثل ما بدهن وأكثر، حتى أن صاحب البستان قال لهم:

كل ما بتشوفوه بها البستان إلكم، وصحتين وهنا. أكلوا دراقن أكلوا مشمش، تفاح، خوخ ومن كل شي أكثره..

بس إبن اختي استنغص (اشتهى) لأمه وأبيه الدراقن، قام قطف لأمّه درّاقنة ودراقنة لأبيه، لأن بيعرف أن أمه وأبيه يحبّان الدراقن. ولما قدّم رمزي الدراقنة لأمه سألته إذا كان قال لصاحب البستان علم بأنه لحا يأخذ معه دراقتين. ولمّن (عندما) قال رمزي لأمه أنه لم يستسمح من صاحب البستان لحتى يأخذ الدراقانتين قالت له أمه:

- **أم رمزي:** لك ابني لازم تروح تستسمح من صاحب البستان لأّن هالدراقنتين مال حرام، والمال الحرام بينزل عالبطن نار وزيت حار يا لطيف، وانت ما بتريدها لأمك وأبيك.

لكن صاحب البستان رفض أن يسامح رمزي قائلاً:

- **صاحب البستان:** عمي وقت كنت انت ورفاتك عاملين سيران تحت الدراقنة يللي جنب الطاروق (الممر) حدا حارشكن (تدخل بكم) شي؟!!. حدا قال لكم شو عم تعملوا.. ليش قاعدين هون.. كمان حدا قال لكم أكلتوا كثير أكلتوا قليل شي؟!![٧].

أجابه رمزي الشهادة لله ما حدا حاكانا، فردّ صاحب البستان قائلاً:

لكان ليش الحملان؟!!.

ولمّن (عندما) قال رمزي للبستاني بأنّه لم يكن يعرف أنه غير مسموح للمرء أن يحمل معه من ثمار البستان دون السماح من البستاني، عمد إلى الاعتذار من البستاني طالباً السماح منه، لكن البستاني لم يوافق إلاّ إذا وافق رمزي على الزواج من ابنة البستاني، وهي فتاة عاجزة وبعين واحدة وحنكها مائل وبتعملها (تتغوّط) بالفراش.

وافق رمزي على الزواج من ابنة البستاني وطلب إلى والدته خطبتها له ورافقها اخوها أبو رياض. وقد أكّد البستاني لرمزي وضع ابنته بحضور أمه وخاله، فقالت والدة رمزي انها قبلت بما كتب رب العالمين لابنها، وأكد رمزي للبستاني أنّه قبل بنصيبه، عندئذ قال البستاني لرمزي:

- **البستاني:** شوف يا ابني أشهد بالله إنك ابن حلال ومرضيّ، ومن أوّل ما شفتك نزلت بقلبي مثل السكّرة، وقبل كل شي بدّي إياك تطمّن (تطمهنّ) هالصالحة أمك يلّلي عرفت تربي. إن البنت يللي راح تتزوجها ما هي كسيحة ولا عورة ولا حنكها أعوج.. هالبنت كاملة مكمّلة ومثل البدر. وأنا قلت لك يلّلي قلته لحتى شوف إيمانك بالله وشوف أمانتك لأنه أنا شو بدّي لبنتي أحسن من هيك.. والله يرحم أهل أول يلّلي قالوا:

خطوب (أخطب) لبنتك ولا تخطب لابنك..

وتابع أبو رياض كلامه:

- **أبو رياض:** شلوني معك أبو عمر.. إذا كنت ناوي لك على هيك زواجة حضّر حالك.

أجاب أبو العز:

- **أبو العز:** هلاًّ أخي أبو الروض، خلّي أبو عمر بهمّه وخلينا نعرف شو قال أبو رمزي على الزواجة.

أجاب أبو رياض، بأن الدنيا ما لها واسعة أبي رمزي، وترجاني إذا إسالكم إذا بتروحوا معه جاهة لحتى يخطب بنت البستاني لابنه رمزي.

الحواشي والإيضاحات:

١ - عدة الحلاقة: أدواتها. شركله: ورّطه. عصافير بطنه: معدته. حق بق: كناية عن الرغبة الشديدة. ليكه: ها هو. لبين: ريثما. الجبنة الضرف: من أنواع الجبنة الناعمة مع بعض القريشة وحب البركة والسمسم. والضرف هو وعاء من جلد الخروف أو نحوه يملأ بذلك الجبن الناعم. بحبحهن: أرادوا الكثرة. شويّ: قليلاً. بركي: ربما. حدا: أحد. موبعينه: لا يفاتش. فتت: دخلت.

٢ - اسمنّها: ما دامت. اركّز لك: ارتب لك. مو هيك: اليس كذلك. مو: ليست. على بكرة: غداً صباحاً. بالظاهر: يبدو. الشبكة: ما كان يسدل على الدكان إذا كان غياب صاحبها قليلاً. أولاد آدو: كناية عن الزّعر. باب رزقه: عنوا دكانه. إذا بتعصره ما بينزّ: كناية عن الحرص.

٣ - يللي: من، الذي. زغيره: صغيرة. ناكتة: لا قيمة لها. فتلة: عنوا جولة. موحيّ الله: عنوا لا يضاهى. فضة روباص: خالصة. القدوم والفارة: أدوات يستعملها النجارون في عملهم. الكريك، المجرفة. المرّ: أدوات زراعة يدوية. فركة كعب: كناية عن قرب المكان. إجري: رجلي. إجري وإجرك: معاً. نأف الدين موّال: أرادوا الجودة والمتعة. الدروشة: الظهور بمظهر البساطة.

٤ - تلابح: تكدّ. الرأسين على فرد مخدّه: عنوا التوازن بين الدخل والمصروف. الحال من بعضه: عنوا متماثل. سمعان مو هون: ليس هنا. اني: أي. منين: من أين. هيك شي: شيء كهذا. شو جاب لجاب: كناية عن الفارق الكبير. جزاة: جزاء يا دوب: لا يكاد. بلاش: بلا قيمة. الشبرية: نوع من الخناجر نصله مستقيم وغير منحني. لمّن: عندما. والآية القرآنية من سورة البقرة رقم ٩٥.

٥ - إيدي بزنارك: مقولة للاستعطاف. حاطط حطايطه: مصرّ على التخلص منه. فنطي: إشكال، أو تهمة. ادب سيس: قليل الأدب، سيّء السلوك. يمدّ إيده: يسرق. إيده لحلقة: كناية عن الإكرام البالغ. معصلجة: ليست على ما يرام. البشت: من كان لا خير فيه. بازوانك: حقير. الشبكة مرميّة: مرخية على الدكان إشعاراً بعودة صاحبها عمّا قريب. خصوصباتها: أرادوا أسرارها. يدردر: الاقتراب. تشردق: شرق. ملوفك: يلعب على الحبلين. الشخّت: من سفط اللحم. تحكش: تبحث عن المشاكل. هيّ جيّتي: وها أنا قادم.

٦ - لايش: لأي شيء. يكثر عليه: يتدخل في لا يعنيه. الحال من بعضه: الأثنان سواء في أوضاعهما. العز للرزّ: جانب من مثل شعبي تتمته والبرغل شنق حاله. وقد ارادوا بها في موقعها من البحث بعض الحسد. حمّصة الكي: المصرف.. اذا نزعت من فتحته الحمّصة فانّه يتدفق قيحاً. السبعة وذمتها: ما لا يحصى. تمكمك: حاول أن لا يتكلّم. الدولاب: الأداة التي تلفّ عليها خيوط النول. الطيار: ما يوضع عليه شلّة الغزل أو الخيطان التي تلّف على المواسير. يلّلي مثلنا تعوا لعنّا: مثل شعبي يحضّ على عدم تعامل المرء مع من هم أحسن أو أميز منه حالاً.

٧ - دحي: عمل متواصل. لعب الفار بعبّه: راودته الظنون. لطي له: راقبه خلسة. هلأّ: الآن. صفن: فكّر مليّاً. منتوفاً: لا يكاد يستطيع الحصول على الضروري له. على الحديدة: كناية عن الإملاق. لا تغلب: بدون جدوى. أكلها بجنابه: بلا معين. كبس على جرحه ملح: أرادوا أنّه كابر وصبر. نواحي الشيخ شمعون: قريباً من محلّة المزّاز بحي الشاغور. كمان: أيضاً.

٨- حق الخبز والملح

١ - الرزقة بدها سعي.

٢ - بدها أوتيلها.

٣ - صلي على النبي.

٤ - خير بالصلاة على النبي.

٥ - كوانة وفريزة وبريانطين.

٦ - يللي ما بيحسب ما بيسلم.

٧ - الطهور فرحه.

٨ - للعوايد أصول.

٩ - طهور أيام زمان.

١٠ - مو كل شي بينحكى.. بينسمع.

١١ - الملك والصياد.

الشخوص المشاركة:

١ - أعضوات وأكابرلية الحارة: أبو دياب، أبو العزّ، أبو فياض، أبو راشد، أبو رياض، وأبو أحمد.

٢ - أبو عمر الحلاق.

٣ - أبو صبحي بائع الالماسية.

٤ - حمدي السمان وصانعه كمال وابنه محمد.

٥ - التاجر وابنه عثمان والشيخ.

٦ - الملك والوزير والصياد.

٨- حق الخبز والملح

١- الرزقة بدها سعي:

لم يكن أبو عمر في عجلة من أمره هذا اليوم، فقد سبقه أجيره أكرم إلى الدكان، ومعه شنطة عدة الحلاقة، ليعيد كل منها إلى مكانه، ويعمل على تنظيف الدكان كنساً ومسحاً وترتيباً لكل شيء في مكانه.

كان أمل أبو عمر كبيراً في أن يجد وسيلة يصطاد بها أحداً من أهل السوق الدكانجيّة بحلاقة أو قشّة ذقن تكون فاتحة رزق هذا اليوم، إيماناً منه أن رب العالمين لا ينسى أحداً من رزقه.. فلمّا اقترب أبو عمر من فرن أبي فياض بالمصلّبة، حدّث نفسه، بأن يسعى إلى جرّ أبي فياض إلى قشّة ذقن على الأقلّ ولو كان ذلك في الفرن، فما أن وصل إلى مواجهة مدخل الفرن عمل من نفسه أنّه سارحاً في أمر يشغله، فلحظه أبو فياض فناداه.

- **أبو فياض:** أبو عمر وين أبو عمر.

ردّ عليه أبو عمر:

- **أبو عمر:** الله يصبّحك بأنوار النّبي، نهارك عربي أخي أبو فيّاض.

- **أبو فياض:** لك أخي السلام لأله، نيّاله يللي شاغل بالك.. إي حوّل حوّل، يما إذا حلقت لّي إمبارح ما بتدردر ناحي.. فوت شراب لك كاسة شاي، اسمنّهم الشايات سخنين..

يدخل أبو عمر إلى الفرن، ويطلب أبو فياض إلى صانعه أسعد أن يستلم البسطة ويمشّي الدور في بيع الخبز للواقفين أمام الفرن.

- **أبو عمر:** معك حق أخي أبو فياض، بسّ الدكان ما فيها حدا..

يطلب أبو فياض إلى أبي عمر الجلوس إلى جانبه ويشرع في صب الشاي لأبي عمر قائلاً:

- **أبو فياض**: لك يفدح حريشك، يعني شو لحا يصير لها الدكان؟!! لحا تهرب؟!! روّق بهالكاسة الشاي، العمر بيخلص والشغل ما بيخلص. يمّا كثيرة علينا تشرب لك كاسة شاي معنا؟!!.

أجابه أبو عمر:

- **أبو عمر**: عم تحكي جواهر أخي أبو فياض، صعي (صح) الواحد ماله آخذ معه من الدنية شي. بسّ الله ما بيدندل الرزقة من السما بالقفّة، الواحد منّا بدّه يسعى لحتّى ياكلها بالحلال[1]!!.

٢- بدّها أواتيلها:

ما إن ارتشف أبو عمر أول شفة (رشفة) من كأسه، حتى بادر إلى سؤال أبي فياض بقوله:

- **أبو عمر**: أي سيدي أخي أبو فياض، إيمتى لحا نفرح بالمحروس ابنك البركة لحا يصير شب، ومو حلوة إذا كبر يئطشوا (يطهروه) له ياها قدام الناس.

- **أبو فياض**: الله يخليك أبو عمر.. بلا مزح.. يرضى عليك لا تفتح لي هيك أبواب. الولد لساته زغير (لا يزال صغيراً)، ونحنا بدنا نفرح فيه، بسّ مو هلأ (ليس الآن).

- **أبو عمر**: دخلك أبو فياض، ابنك فياض لسّاته عم يروح مع أمّه عالحمام.

- **أبو فياض**: أعوذ بالله أبو عمر.. الولد من ثلاث أربع سنين عم يروح معي عالحمام!!.

- **أبو عمر:** وهلأّ إنت عيني، يعني ما عاد زغير.. ومنشان هيك (لأجل ذلك) اسماع منّي، الله يسلمه صار شاباً، ما بدها وقفة، خلينا نطهره عالهسّي (دون أن يشعر أحد) لأنّه بيني وبينك، فتّح غمض لحا ينزل عالفرن..

- **أبو فياض:** شو هالحكي أبو عمر.. أنا كم ولد عندي لحتى طهّر ابني عالهسّي؟!!.. أي والله إمه بتعمل لي طرنة (مشكلة) إلها أول ما إلها آخر.. بعدين الشغلة بدّها أواتيلها (مستلزماتها)، لأنه لازم نقوم بواجب الناس يلّلي لحا تجي تبارك لنا وتشاركنا. بقا الله يخليك أبو عمر بدّك تصرف نظر هلأّ!!.

- **أبو عمر:** أخي أبو فياض.. كبّرها بتكبر.. وصغّرها بتصغر، ليش موهوم.. أي والله انت فضايلك عالناس ما بتنعدّ.. بآ قول الله..

- **أبو فياض:** ونعم بالله.

- **أبو عمر:** الخيرة في ما اختاره الله.. شبنا (مابنا) أبو فياض خلينا نفرح.. ما فرحنا من يوم ختم المحروس القرآن الكريم عند الشيخ إبراهيم.. وإن شاء الله عن قريب لحا نفرح بعرسه.

- **أبو فياض:** يحرق حريشك شلون بتقولب الشغلة مثل ما بدّك.

٣- صلي عالنبي بتكسب:

ختم أبو عمر كلامه مع أبي فياض في موضوع طهور فياض بقوله:

- **أبو عمر:** لكان هلأّ خليني اتيسّر على دكانتي، ومنحكي عشية بالقهوة (المقهى).

في هذه الأثناء قدم كمال أجير حمدي إلى دكان أبي عمر وسأل عن أبي عمر، ولما لاحظ أكرم قلق كمال أجير حمدي وهو يذرع الدكان من طرف إلى طرف، وهو يحوقل ويبسمل ويفرك يداً بيد قال له أكرم:

- **أكرم:** أخي كمالوز، إذا كان شي خليني روح نادي لمعلمي أحسن.. مو هيك؟!!.

- **كمال:** أي والله أخي أكرم، معلّمي زحط فيه السلّم بالبيت وما فتح الدكان، إلت (قلت) لحالي بركي عمّي أبو عمر بيشوف شو به.. ولاّ قول لّك.. هه.. ليكه (ها هو) عمي أبو عمر طلع من فرن أبي فياض.

لكن أبو عمر عرّج في طريقه إلى دكانه إلى بسطة صبحي بائع الألماسية، بعد أن لفت سمعه مناداة صبحي على الألماسية:

- **صبحي:** حلّيا هيب.. صلّي عالحبيب (r) بتكسب، يلّلي بتعرف طعمة تمّك (فمك).. تازة (طازج) وسخنين، بالسحلب يا حليب.

وقد عمد صبحي إلى محاولة قشط ما قد يكون قد ترسب في قعر الحلّة، كما أخذ يشرّع الحليب بكبجاية (آنية) سكب الألماسية بالزبدية التي يقدمها للزبون.

وإلى جانب صبحي شبه منضدة صغيرة واطئة عليها بعض الكعك الطريّ بالسمسم مما يرغب البعض في تناوله مع الألماسية.

وإلى جانبي صبحي بضعة كراسي قش واطئة بجلس عليها من يريد وهو يتناول الألماسية..

سال لعاب أبو عمر رغبة منه في تناول زبديّة من الألماسية من عند صبحي، فلما كان بموازاة حلّة صبحي كان صبحي قد سكب لأبي عمر زبديّة من الألماسية وقدمها لأبي عمر بعد أن سحب له كرسياً ليجلس عليه. فضلّ أبو عمر تناول الألماسية واقفاً، لأنّه في عجلة من أمره بشأن دكانه. أعرب أبو عمر عن إعجابه بالألماسية وطيب مأكلها فقال لصبحي:

- **أبو عمر:** شو هاد يا أبو صبيح.. الله يبارك لك على هالدمعة. والله يا عمّي السحلب بالحليب ما بيتفوّت.. شغل المعلم.

عمل أبو عمر من نفسه إنه يخرج لصبحي من جيبه ثمن زبدية الألماسية لكن صبحي عاجله بأن أقسم بالله أن لا يأخذ من أبي عمر ولا بارة قائلاً:

- **صبحي:** أخي أبو عمر هَيّ ضيافة من أخ لأخ. إن شاء الله عوافي، جاء الفرج لأبي عمر بقدوم أجيره إليه لضرورة الذهاب إلى دكانه. ذلك أن كمال أجير حمدي ينتظر أبي عمر على أحرّ من الجمر. لفت نظر أبا عمر أن دكّان حمدي لا تزال مغلقة على غير عادة حمدي، وكمال أجير حمدي بانتظاره.. فقال في نفسه شيء بيمخول (يحيّر).. من المؤكد أن حمدي بمكروه. فقال أبو عمر لأجيره أكرم: اسبقني، وأنا لاحق بك. في هذه الأثناء كان كمال أجير حمدي يعاود زرع دكان أبي عمر ذهاباً وإياباً وهو يقول:

- **كمال:** يا رب تلطف بمعلمي يا رب، والله معلمي ما بيستاهل يا رب!!..

وكان في نفس الوقت يطل بين الحين والحين إلى الطريق عسى أن يكون أبو عمر قادماً إلى دكانه مع أجيره أكرم. عاد أكرم إلى الدكان مسرعاً وطمأن كمال بقدوم معلمه أبي عمر، فلما وصل أبو عمر ووجد كمال على ذلك النحو من القلق على معلمه سأله أبو عمر:

- **أبو عمر:** خير خير.. كمال، شغلت بالي.. ليش (لماذا) ما لكم فاتحين الدكان شبه (مابه) معلمك؟!!.. لك امبارح كان مثل الحصان.

أجابه كمال أن معلمه زحط (انزلق) به السلّم وما له عم يقدر يشكّ (يقف) على قدميه، وهو موجوع كثيراً. سارع أبو عمر إلى ضبّ أدوات التجبير في شنطة العدة، من قطن وشاش وجبائر وجبصين وأربطة وطلب إلى أجيره أكرم أن يحملها، وسارع وراء كمال وهو يقول:

- **أبو عمر:** لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.. إن شاء الله عرضية..

٤- خير بالصلاة على النبي:

فلما وجد أبو عمر حمدي على هذه الحال وهو يصيح ويتأوّه من الألم قال له: اف اف.. اف.. خير.. خير خير بالصلاة على النبي.. بسيطة.. بسيطة. إن شاء الله بسيطة.. شلون هيك يا أبو حميد.. بعدين بدّك تطوّل بالك، انت رجّال ابن حلال والله ما بيضيمك.

ثم طلب إلى كمال أجير حمدي وإلى أجيره أكرم أن يساعداه على نقل حمدي من عتبة الغرفة إلى أريكة بالغرفة، حتى يستطيع أن يكشف عليه ويقف على ما يعانيه. ثم أخذ أبو عمر يستوضح عن الأماكن التي تؤلمه من جسمه، فقال له حمدي، أن قدماه أكثر إيلاماً له، ومن ثم ظهره وما بين كتفيه. فطمأنه أبو عمر أن موضوع ظهر حمدي وما بين كتفيه أمرها سهيل، لأنها رضّة بسبب سقوطه، والأهم من ذلك قدمي حمدي، فلما تلمس أبو عمر رسغ قدمي حمدي، وإبهام كل من قدميه، قال أبو عمر:

- **أبو عمر:** والله يا أبو حميد انت زلمة ضويّج، لأنّه شغلتك ناكتة والحمد لله ما بتخوّف ولحا تقوم منها مثل الحصان، وكل ما في الأمر أن مفصل القدم مخلخل بعض الشي، وكلوة الباهم اليمين زاحلة أكثر بشوي (قليل) من كلوة الباهم اليسار.. وكلّها تكّة (لحظة) ولحا توقّف على رجليك وتمشي كمان[٢].

أخذ أبو عمر يتلمّس إبهاميّ قدميه، ليتأكّد من الوضع السليم لكلّ من كليتيّ الإبهامين، وطلب لكل من كمال وأكرم أن يساعداه بإمساك حمدي بعد أن ناول حمدي قطعة قماش كيّ يعضّ عليها إذا شعر بألم لا يطيقة ولا يتحمّله. ثم أعطى أبو عمر حمدي ظهره، وباعد بين ساقيه ومن ثمّ تناول قدم حمدي اليمنى وعمل بها تحريكاً وكذلك الحال بالنسبة للرسغ الواصل بين القدم والساق في جميع الاتجاهات، وقام بالعمل نفسه بالرسغ والقدم اليسرى وبعدها عاود تناول إبهام القدم اليمنى وأخذ يحرّكه مع التمسيد لكلوة ذلك

الإبهام وبسرعة خاطفة. وأعاد كلوة ذلك الإبهام إلى وضعها الطبيعي. والعرق يتصبّب من حمدي، فلما لفظ حمدي من فمه قطعة القماش من فمه، كان آخر ما نطق به، أنّه لم يعد قادراً على التحمّل وأن قلبه قد توقّف!!..

ضحك أبو عمر من قول حمدي مداعباً وقال له:

- **أبو عمر**: إذا كان هيك، هلاًّ بدّك تقوم وتأرجيني مشياتك لشوف وبدّك ما تقول ما بقدر!!.. بدّك تتحمّل أول خطوة.. قول بسم الله لشوف.. قول يا رب!!.

وبعد أن خطا حمدي بضع خطوات أجلسه أبو عمر وهو يقول:

- **أبو عمر**: والله يا أبو حميد لولا ما كان كاحلك اليمين.. يعني شو بدّي قول لك.. يعني لو ما كان هالكاحل فارط، لكنت قلت لّك ما عاد فيك شي.. بس لحا جبّر لك هالقدمين أحسن، وكلها ثلاث أربع أيام وتقدر تنزل على دكانتك باذن الله.. وأنا كل يوم والثاني لحا إمرق (احضر) لعندك لحتى اتطمّن عليك.

وقبل ما جبّر لك إيّاهن بدي اعمل شغلة، بس ما بدها آخ لانها شغلة سهيلة (سهلة) وما بتوجّع.. يعني أنا لحا اسكب على قدميك ميّ (ماء) باردة، وانت ما عليك غير تحريك بواهمك قد ما بتقدر.. وهيك بتطمّن اكثر عليهن..

وبعد أن أنجز أبو عمر عملية سكب الماء البارد على قدمي حمدي، قام بتنشيف كل منهما وعمد إلى تمسيدهما بالفازالين وأردف قائلاً:

- **أبو عمر**: وفيك (تقدر) تمشي عليهم وأيضاً تنام وهّن مجبّرين، بس إذا كنت قاعد لا تدندل رجليك، حتى لا يجمد الدم بقدميك ولحتى ما يوجعوك إذا مشيت عليهن، وهيك يا أبو حميد أنا عوّقت (انتهى عملي)، بس بيني وبينك، وانا بعرف انك ما بتقصّر، يعني على مبدأ: وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين، اسمح لي قول لك إذا بتفرّق (توزع) شوية خبز عالدراويش والمستورين!!.

عمد أبو عمر إلى جمع أدوات التجبير في شنطته وهمّ بوداع الجميع، لكن كمال سارع إلى سؤال أبي عمر عن ما توجّب على معلمه من أجر، قال أبو عمر أن عمله هذا ثوابيّة (حسبة) لوجه الله تعالى. ومعلمك أخونا وإله أفضال علينا..

لكن إصرار حمدي وابنه الصغير محمد جعل أبو عمر يقول أن لا فرق بينه وبين حمدي وأن ما سيأخذه أجراً لذلك إنّما هو من الجيب إلى العبّ، لأن كل ما يطلبه هو ثمن الكرستة (المواد التي استعملها) يضاف إليها حلوان أجيره أكرم. وعلى شرط أن يداوم محمد ابن حمدي على الحلاقة عند أبي عمر ومن اليوم.

٥- كوانة وفريزة وبريانطين:

وافق محمد بن حمدي على الحلاقة عند أبي عمر، إذا كان أبو عمر سيحكي لمحمد كل مرّة حكاية لم يسمع بها محمد من قبل.. لأن محمد سمع من والده حمدي أن أبا عمر يحكي كل حكاية أحلى من الثانية.

ما إن جلس محمد على تعلاية كرسي حلاقة أبي عمر حتّى قال لمحمد:

- **أبو عمر**: وهلاًّ يا محمد يا شاطر لحا إحلق لك حلاقة حلوة، ولحا اعمل لك بشعراتك هالكوانة والفريزة وادهن لك ياهن بالبريانطين (زيت للشعر) وبخ لّك على هالشعرات الكلونيا الحلوة لحتى تصير مثل العريس.

سارع محمد إلى القول لأبي عمر:

- **محمد**: عمى أبو عمر، قبل ما تمسك المشط والمقصّ بدّي اسمع منّك دهليز الحكاية (مقدمتها أو مدخلها).

أجاب أبو عمر وهو يضع على صدر محمد فوطة بيضاء فيربطها من ناحية نقرته (وراء رقبته):

- **أبو عمر**: أي مو على عيني، هي لحا احكي لك دهليز حكاية ما صار وإذا ما عجبك بيكون الحقّ معك. اسماع لشوف:

قال أبو عمر:

قمت الدنية دغشة (عتمة).

لعلّق للتبن (قش) جحشة.

لقيت الحرامي راكبه الحيط.

لاحني ولحته.

ومن عزمي صرت تحته.

شوف (نقرتي) رقبتي شو حمرة.

من كتر ما ضربته!!..

وهلأّ قول لي عجبك.

ضحك محمد وقال لأبي عمر:

- **محمد**: عمي أي حلو عمي.. بس أنا سمعان هالدهليز من ستّي (جدّتي) من زمان وزمنة[٣].

أجاب أبو عمر محمد بقوله:

- **أبو عمر**: لِه لِه.. له هيك قفشتني يا محمد؟!! تاريك مهول وما لي عرفان!!

- **محمد**: أي عمّوه.. أنا بعرف كثير حكايا.. وإذا بدّك بحكي لك.

لكنّ أبو عمر بعد أن وضع الفوطة البيضاء على صدر محمد وربطها من الوراء (النقرة) قال لمحمد:

- **أبو عمر**: هلأّ انا دوري بالحكاية.. ولحا إحكي لك حكاية جديدة من ورقتها، لسّا ما حكيتها لحدا (أحد) غيرك منوب (إطلاقاً) منوب وأكيد انت

مالك سمعانها. لأنه ما حدا بيعرفها غيري، وقد حكاها لي واحد صاحبي قال صارت مع واحد من التجار. وانا مخبّيها لواحد شطور (شاطر) متلك.. بيعزّ عليّ، وهلاًّ إجا وقتها.. بس بدّي أقول لك قبل ما إحكي لك هالحكاية انه الواحد مو (ليس) بس لازم يسمع الحكاية.. وكمان لازم يفهم معناة (معنى) الحكي، من شان هيك اسماع شو لحا تقول لك هالحكاية:

هادا (هذا) كان بزمانه يا حمودة واحد رجّال، يعني مثل بتقول تاجر كبير.. وهالتاجر زنكيل (غني) زنكيل، قد ما تقول اكثر بكثير، عنده أموال ما بتاكلها النيران وعنده أراضي ومالكانات من كل شي اكثره، وما عنده غير ولد واحد اسمه فتحي. هالولد صار شب، وأبوه حبّ يدعكه لحتى يعتمد عليه، إه هالأب قال لحاله: والله لشدّ (أقوم) لّي شي تجرة.. اعمل لي سفرة، لهون (هنا) لهون بركي (ربما) هالولد صار بيقدر يوقّف على رجليه.

٦- يلّلي ما بيحسب ما بيسلم:

قال التاجر لابنه:

- **التاجر:** شوف يا ابني، يرضى عليك، أنا عندي سفرة طويلة شوي (قليلاً) وبعيدة، عندي بابور بحر (باخرة) متعطّل ببلاد برّه، وبدّي روح استفقده، بس قبل ما سافر بدي قول لك: إنّه الدنية وأحوالها، والزمن غدّار، ويلّلي (الذي) ما بيحسب ما بيسلم ومنشان هيك، أنا مثل ما بتعرف ضلّيت (بقيت) طول عمري، عم اتعب وعم اشقى لحتى صرت مثل مالك شايف. وهلاًّ قبل ما سافر لحا قول لك هالكلمتين لحتّى تحطهنّ حلق باذانك، وأوعدني ما تتساهن.

دفعت رغبة محمد إلى معرفة ما آلت إليه حكاية أبي عمر، أن سأله:

- **محمد:** عمّو شو هنّن هالكلمتين.. حاكم هالحكاية مثل ما قلت لي جديدة عليّ وما لي سمعانها من قبل.

- **أبو عمر**: هنّن مو كلمتين كلمتين، يعني مثل ما تقول أكثر شوي (قليلاً) وهيّ لحا قول لك إياهن:

هادا يا حمودة التاجر قال لابنه:

يا ابني إذا بدّك تنام لا تنام غير على حرير، واذا بدّك تاكل لا تاكل غير عسل، وإذا بدك (تريد) أن تكون مرفوع الراس، عمّر بكل بلد إلك فيه مصلحة (شغل) قصر.

وبعدين يا محمد هالأب التاجر مثل ما بيقولوا: فرد الكتّان وتوكل على يلّلي عينه لا تغفل ولا تنام. وقال يا من سترت لا تفضح!!.

بيرجع مرجوعنا للولد، لأنه لسّا ما سافر أبوه من هون حتى كان غرقان بالعزّ والجاه، وصار يجخّ ويعمر هالسرايات (قصور) ويحطّ فيها هالخدم والحشم، وما عاد في همّ عنده، غير انّه يعبّي كرشه (بطنه) بما لذّ وطاب، ويغرق بنومه عالحرير والديباج.. يعني صار كأنّه ملك زمانه.

علّق محمد بن حمدي على صغره بأن فتحي صاحح له.. شو على باله.. فأجابه أبو عمر:

- **أبو عمر**: والله يا حمودة قال يلّلي بيصحّ له جبن الضرف شو بيساوي؟

أجاب محمد:

- **محمد**: بيغرف غرف عمّي.

- **أبو عمر**: هه... بريه (مرحى) عليك.. بس يا حمودة أهل أول قالوا:

حطّ بيت مال وحطّ بطال ويللي ما بينبع بيخلص.. مو هيك حمودة.

- **محمد**: أي والله يا عمّو.

ثم تابع أبو عمر قوله إلى محمد:

- **أبو عمر**: وهيك هالولد بعزق مال أبوه ومالكاناته حتى صفّى عالحديدة (خالي الوفاض).. إه قام صار يتديّن هون ومن هون لحتّى ما عاد حدا (أحد) ديّنه، لأنّه ما عمّ يقدر يوفي الناس دينها يلّلي إلهم معه.

- **محمد**: عمّه يعني هادا فتحي، مو هيك (هكذا) قال لّه أبوه يعمل قبل ما يسافر؟!!.

- **أبو عمر**: له له.. يا حمودة، بزعل منّك، هّي (هذه) ما جيتها منّك لأنه أبوه لفتحي ما كان يقصد إنّه ابنه يبعزق يلّلي تعب فيه طول عمره. يمّا قول لك: مجنون يحكي وعاقل يسمع، في حدا بيقول لابنه يعمل مثل ما عمل فتحي. ومنشان هيك لحا قول لك: هالولد ما فهم على أبيه شو بدّه منّه. بس الحمد لله هالفتحي تذكر انه فيه واحد اسمه عثمان كان صاحب أبيه، قام فتحي راح لعنده وقال له شو صاير معه، وترجّاه أن يساعده.

فقال له عثمان:

- **عثمان**: يا ابني صعي (صحيح) كان أبوك صاحبي وأفضاله كثيرة عليّ، بس أنا مثل مالك شايف، أنا على باب الله، وحالتي ما بتسّر صديق، وهيّ العين بصيرة والإيد قصيرة.. وإذا بدك عندي شقفة (قطعة) هالأرض عود (أقعد) معي منزرعها سوا (سويّة) وأكل واحد بيكفي اثنين.

لم يقبل فتحي اقتراح صديق والده عثمان، وهمّ بالذهاب، لولا أن قال له عثمان:

- **عثمان**: أنا بعرف واحد شيخ كان أبوك بيسّر له كل شي، إذا بدك خلينا نروح لعنده بركي (ربما) بيلاقي لك حلّ، حاكم هادا الشيخ نايم على قرشين حرزانين.

حمل فتحي وعثمان درب طريقهما إلى ذلك الشيخ، لكنهما لم يجدانه، فنام فتحي على الأرض دون أن يشعر لكثرة ما كان عليه من التعب بعد أن

تناول بضع تمرات كانت مع عثمان. فلما قدم الشيخ ورآ ما عليه فتحي تركه حتى يستفيق، وعندئذ قال الشيخ لفتحي:

- **الشيخ**: لك عمي ليش هيك (هكذا) عامل بحالك؟!! ليش هيك مغبّر ومعتّر، على حد علمي أن أبوك ترك لك مال وجاه وأرزاق شي ما بينعدّ، وين رحت فيهن؟!! وشو (ماذا) يلّلي ساوى (عمل) فيك هيك.. شو عملت لحتى وصلت لها لمواصيل.

أجاب فتحي الشيخ بأنه لم يعمل إلاّ كما قال له والده. ضحك الشيخ من كلام فتحي وقال له:

- **الشيخ**: شوف يا ابني أبوك كان عاجنه الدهر وخابزه، وفوق هيك كان مقلّع نيابه بها الحياة. ولمّن وصّاك إنك ما تنام إلاّ على ريش نعام وعلى حرير، وما تاكل غير عسل، وان تبني بكل مكان إلك فيه مصلحة قصر.. أبوك يا ابني ما كان بقصد إنك تعمل يللي عملته، إنت فهمت كلامه غلط.. أبوك كان بده ياك تصير رجّال مثله تكافح وتجد، وتاكل لقمتك من عرق جبينك، ووقتها اذا أكلت الخبزة والبصلة لحا تلاقيها أطيب من العسل، وبدّه إيّاك تشتغل وتتعب، وعندها وين (أين) ما لحا تحط راسك (تنام) لحا تنام نومة أحلى من النومة على الحرير وريش النعام. ولمّن قال لك عمّر بكل بلد إلك فيه شغل (مصلحة) قصر، كان بدّه منّك تكون علاقتك مع الآخرين علاقة الصدق والأمانة، منشان تحافظ على شغلك لأن الشغل مثل العِرض (الشرف) والعرض غالي وما بيصير الواحد يفرّط فيه وأنا وعمّك عثمان نمونة (أنموذج) من قصور أبوك. وانت شايف نحنا قديش (كم) نحن منحبّه ومنحلف براسه. ولمن عملت يللي عملته صار فيك هيك.. انت يا فتحي فهمت أبوك غلط. وكأنه أبوك كان عارف شو لحا تعمل.. ومنشان هيك ترك لك معي هالقرشين لحتّى تجلّس حالك وتعوّض يلّلي بعزفته قبل ما يجي أبوك!!..

بانتهاء حكاية أبو عمر لمحمد بن حمدي السمان كان أبو عمر منتهياً من حلاقته لمحمد وقد أعجبت هذه الحلاقة محمد أيّما إعجاب، فلما أراد كمال صانع حمدي أن يدفع لأبي عمر إجرة الحلاقة، أصرّ أبو عمر على عدم تناول أيّ أجر لهذه الحلاقة، لأنّه اعتبرها هديّة منه لمحمد، حتى يظل يحلق عند أبي عمر على الدوام(٤).

٧- الطهور فرحه:

علّق أبو فياض الخباز الجدل مع أبي عمر بشأن طهور (ختان) فياض إلى العصريات، لدى التقائهما في جناح القصر من المقهى. وما أن فاتح أبو فياض زوجته بما دار بينه وبين أبي عمر بشأن هذا الموضوع حتى تعربطت (تمسّكت) بالفكرة وتحمّست لها بشكل لا يوصف وما لبثت أن قالت:

- **أم فياض:** مُنى قلبي شوف فياض راكب عالحصان لابس هالقنباز (قفطان) الأبيض وعلى كتافه البرنص (ما يشبه العباءة) الأبيض، والطربوش على راسه مزين بالألماس والورد والزنبق.. وتجي (تأتي) الناس تهنّيني.. شو بدّي احلى من هيك (هكذا) يقبر قلبي صار شبّ.. بس الله يخلّيك أبو فياض يعني فرحة وصارت ما بدنا نسلّوقها (نعجّل بها)!!. حاكم هادا صاحبك أبو عمر، لو طلع بايده لطهّرلنا هالولد بالدكان.. ما لها فارقة معه، بسّ بده يقبض إجرته والباقي على الله!!.

- **أبو فياض:** أي والله الحق معك.. وانت لا توصّي حريص.. أنا ما عطيته من راسي خبر، قلت لحالي منحكي سوا (سوية) قبل، وبعدين بْردّ لّه خبر.

- **أم فياض:** ومنشان هيك يا ابن الحلال أنا من على بكرة الصبح لحا انزل على سوق القيشاني لاشتري له أواعي (ملابس) الطهور. وبدّي قول لاهليتي لحتى يجوا (يأتوا) وكمان (أيضاً) لحتى انت تقول لاهليتك، الأصول أصول يا ابن الحلال.

- **أبو فياض:** ايمتى (متى) حاطّة ببالك تكون هالشغلة (عنوا الطهور).

- **أم فياض:** يعني مو قبل شي عشرة أيام وإذا بيكون يوم جمعة أحسن، منها يوم فضيل ومنها الناس فاضية من أشغالها.

- **أبو فياض:** توكلنا على الله!!.

التقى الكبارية على عادتهم عصر كل يوم في جناح القصر من المقهى، منهم من كان يحتسي الشاي ومنهم من يدخن الأركلية (النارجيلة) وعبودة صانع المقهى يصب لهم القهوة السادة (المرّة)، وتراه في خدمتهم كالبروانة (كناية عن الهمّة والنشاط) يلبّي هذا ويساير ذاك، متمنياً رضى كلّ منهم. وفيما كان الجميع في ذلك سأل أبو دياب صاحبه أبا رياض، على سبيل الاطمئنان عن أحوال ابن اخته العريس رمزي أجابه أبو رياض:

- **أبو رياض:** والله يا مختار رمزي بيبوس إيدك والشهادة لألله صهري أبو رمزي لقاها منكم قدّ الدنية، والدنيا ما لها وسعانته من فرحته فيكم.. رفعتوا راسه بالجاهة!!.

أجابه أبو دياب:

- **أبو دياب:** لَهْ يا ابن الحلال، نحنا ولاد حارة وأهل، وصهرك أبو رمزي بيرتفع فيه الراس، ورمزي الله يسلّمه شب بيستاهل.

- **أبو رياض:** وانت أخي أبو العزّ مو قليلة وقفتك مع صهري.

٨- للعوايد أصول:

أجابه أبو العز:

- **أبو العز:** أبو رياض انت رجال زكرت وكلّك مفهوميّة وبتعرف العوايد، نحنا طول عمرنا لبعضنا، ولمّن (عندما) ينضام واحد منّا منهبّ (نتكاتف) منشانه فرد هبّة وعلى قلب واحد.. وفرحه فرحنا كلنا.. يمّا (أو)

بدّك ياني لاقي جاري واقع مع هالابن الحرام حسني واتفرّج عليه.. لكان ليش أبو رمزي قصدني؟!!.

ما إن انتهى الجدل مع أبي رياض بشأن صهره أبي رمزي، حتى أبدى أبو أحمد استغرابه ترك أبي عمر دكانه مفتوحة هذا الصباح بدون وجود أحد فيها.. أجابه أبو العز:

- **أبو العز:** أبصر وين (أين) غارز!!.. بالظاهر شامم له ريحة (رائحة) زفر (دسم) هالناح هالناح، وحب يغيّر طعمة فمه (مذاقه) بشي سلتة دسمة!!.

أجابه أبو رياض:

- **أبو رياض:** لا تغلط يا أبو العز، أبو عمر مو كل هالقدّ (القدر).. والله لمن (عندما) نقطّ رمزي بحلاقة الجاهه لقيناها منّه قد الدنية.

أجاب أبو العز:

- **أبو العز:** لأوي تشد ظهرك أبو رياض، أبو عمر عمل هيك لابن اختك لحتى يُسلغمه (يدخره) ويساويه زبونه، أنا بعرفه، وهاد بزّه (الثدي الذي رضع منه) حاسبها مليح!!.

كان أبو عمر، عندما كان يتكلم أبو العز عند مدخل جناح القصر وقد سمع قول أبي العزّ بحقّه، فتصدّى أبو عمر لأبي العزّ بقوله:

- **أبو عمر:** الله يسمعنا الأخبار الطيّبة يا أبا العز، ببالي عندك حكي الوجه قوّة وحكي القفا (الغياب) مروّة.. هَيّ آخرتها يا أبا العز.. عم تجيب معدّلي بقفاي يا أبو العزّ يا عيب الشوم(٥).

أجابه أبو العز:

- **أبو العز:** شوف أبو عمر، قبل كل شي لا تخطف الكباية من راس الماعون. وتعمل حالك فهمان، بعدين أنا ما جبت معدّلك بقفاك، ووقت بيكون

لك قفا إبقى خود على خاطرك (العتب) لأنّك كلّك (أجمعك) على بعضك مالك حرزان ينحكى عليك بوجهك لحتى أحكي عليك بقفاك. لك ياريتني فطست بنهر يزيد وما تهامشرت مع واحد مثلك!!.

كادت المشاحنة بين أبي العز وأبي عمر تودي بهما إلى التماسك واستعمال الأيدي في ما لا يُحمد عقباه، لكن المختار أبو دياب حسم هذا الجدل بقوله:

- **أبو دياب**: إي لآ مالك حق أبو عمر!! أبو العزّ ما قصد يلّلي ببالك، والشغلة ما بدها كل هالضوجة لأنها ما لها طعمة (لا تستاهل). بعدين يعني إذا الواحد منّا انعزم (دُعي) إلى عزيمة، بيروح يما لأ؟!!.. وكمان انت يا أبو عمر إذا صحت لك شي سلتة دسمة بتروح يمّا (أو) لأ؟!!.

أجاب أبو عمر بأن مالمانع من ذهابه. فقال أبو العز:

- **أبو العز**: انت طول عمرك هيك لك، تروح روحك من دفّات صدرك (دعاء بالموت)، انت واحد سلتجي ما بيحرّم ولا بيحلل. وانت طول عمرك ما بتشخّ على إصبعة مجروح، يعني مثل القطاط (الهرر) يلّلي لمن (عندما) قالوا لهم: شخاخكم بيفيد، قاموا صاروا يحفروا ويطمّوا. بقا بدك ياني صدق إنك حلقت لرمزي لوجه الله. قلت لحالك: بكرة بيصير رمزي بيحلق عندك على طول.

وقال أبو دياب محدثاً أبا عمر:

- **أبو دياب**: ومنشان هيك قوم صالح أخوك أبو العزّ، لأنّه الحق لابسك من راسك لسفل (أسفل) رجليك.. وأبو العز بيحبّك وكان مشغول باله عليك.. وهوّ أكرم منّك.

استجاب أبو عمر لرغبة المختار أبي دياب لأن ما سمعه من أبي دياب جعله على يقين بأنّه محقوق في موقفه تجاه أبي العزّ. وقد سايره أبو العز

على ذلك اعتقاداً منه بأن الظفر في جميع الأحوال لا يخرج من اللحم. وقد اشترط أبو العز على أبي عمر لقاء ذلك القبول، أن يقول أبو عمر أين كان غاططاً (متوارياً) طوال ذلك اليوم. لأنه يعلم علم اليقين: أن أبا عمر لا يجعله يغيب عن دكانه على ذلك النحو إلاّ الشديد القوي. وتساءل أبو راشد عن ما إذا كان أبا عمر كان عاملاً ذلك اليوم مثل ما بيعملوا الزكرتية.. استغرب الحضور أن يصدر عن أبي عمر مثل ذلك، لأن المعروف عن أبي عمر أن يداه مدهونتان بالغري (الغراء) ولا تعمل إلاّ بالكراء (أجر). فمن أين له مثل هذه الأريحية. لكن أبا عمر أكّد أنّه قام بعمل جبار لحمدي السمان بعد أن زحط به السلّم، وأنّه لم يأخذ أجراً على ذلك، بل اعتبره حسبة لوجه الله تعالى.

وأن ما قبضه من حمدي السمان إنما هو ثمن كرستة (مستلزمات التجبير) مثل الشاش والقطن والجبصين ونحو ذلك، وفوق هيك حلوان لأجيره أكرم.

عندئذ قال أبو العز:

- **أبو العز:** وينك أبو عمر هيّ دبرت حالك فيها، بس محمد بن حمدي السمان شو ضريبه.. إن شاء الله حلقت لّه ثوابية كمان.. حاكم هالولد بعد ما حلقت له، صارت أوضاعة مخربطة (غير عادية) وصاير عمّ ينزل عالدكان وبده يعرف أبوه شو عم يعمل لحتى يعمل مثله!!.

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر:** وهي كمان (أيضاً) شو فيها.. الولد حلق عندي، وأنا حكيت لّه حكاية الولد الفزكان (المستهتر) يللي بعزق (هدر) مصريات أبوه شو صار فيه. والله وكيلكن وكيل السماء والأرض إني كمان (أيضاً) ما قبضت من هالولد لا أبيض ولا أحمر (عنوا أجراً).

أحب أبو دياب أن ينهي هذا الجدل الذي لا طائل منه بين أبي عمر وأبي العز فاقترح أن يحكي أبو عمر للحاضرين شي قصة حكاية تخرجهم من ذلك الجوّ. لكن أبو عمر قال أنه متواعد مع أبي فياض الخباز وبعدها سيحكي لهم ما يريدون. فإذا بأبي فياض يلقي عليهم السلام.

رحب الجميع بأبي فياض.. وقال أبو عمر:

- **أبو عمر**: أشهد بالله إنك ابن حلال، هلأّ كنا عم نذكرك!!..

وعقب أبو دياب بقوله:

- **أبو دياب**: صار له زمان هالقمر ما بان، لك يا رجال اشتقنالك، ليش قلبك تقلان علينا؟!!.

أجاب أبو فياض:

- **أبو فياض**: انت بتعرف مختار، عنّا (عندنا) بالفرن إذا ما عرف الواحد شو لحا يصير بعجنته بيصير يفكّر أشكال والوان.. ومثل ما منعرف انه خبز الناس أمانة برقبتنا، وإذا فاتت (اختلطت) عجنة واحد بعجنة واحد ثاني بيحسبّوا إنّه نحنا (نحن) لعبانين فيها، وبتصير الناس تحكي علينا أشكال وألوان.

قال أبو عمر لأبي فياض:

- **أبو عمر**: أخي أبو فياض، بعد إذنك. بساط أحمدي، شو تشرب بارد.. سخن قول بالصلاة على النبيّ..

اعترض أبو دياب على قول أبي عمر، وأصرّ أن تكون الضيافة من أبي دياب، كون أبي فياض في جناح القصر من المقهى.. ولمّا لم يعترض أبو عمر على طرح أبي دياب، فإنه ما لبث أن سأل أبي فياض:

- **أبو عمر**: أي سيدي.. على ايش استبينا (تمّ الرأي) أخي أبو فياض؟؟!

أجاب أبو فياض بأنه لا يزال مخوطراً، وطلب إلى أبي عمر أن يمهله (ينتظره) بضعة أيام، فاستفسر أبو دياب عن الموضوع، فلما عرف أن ذلك يتعلق بختان (طهور) ابن أبي فياض. تحمس أبو دياب لذلك.

٩ - طهور أيام زمان:

سارع الجميع إلى تشجيع أبي فياض، وقال له أبو دياب:

- **أبو دياب:** أخي أبو فياض، انت اعتمد واتريك الباقي على حبايبك!!.

لكن أبو فياض عاود القول بالانتظار لبعض الوقت. فقال له أبو دياب:

- **أبو دياب:** خير البرّ عاجله يا أبا فياض، البركة صار ابنك شاب. وما بتشوفه إلاّ صار عم ينزل عالفرن، وفتح غمضّ بيقول لك زوجني. ومنشان هيك خلينا نطهره يوم الجمعة الجاية (القادم)، ولما حاول أبو فياض الكلام أجابه أبو راشد بقوله:

- **أبو راشد:** انت شو دخلك، فياض ابننا وبدنا نفرح فيه.

فقال أبو رياض أن العراضة عليه وبالتالي فإنّ أبي دياب سيقدم الكبش، وهيّ أبو العز لحا يقدم لك الموالدية والذي منه وأبو عجاج سيزيّن للمحروس فياض زينة ما صارت، ولحتى تعمّ الفرحة بالحارة، لحا يعزم أخوك أبو أحمد كل ولد ما تطهر بالحارة يتطهر فزعة (مجاناً) لحتى ينبسط فياض الله يسلمه.

أجاب أبو فياض:

- **أبو فياض:** يا جماعة مكتورين الخير، فضلكم غمرني والله يقدرني على مكافاتكم.

لكن أبا عمر أحب أن يتأكد من موافقة أبي فياض على ختان (طهور) ابنه، فقال لأبي فياض:

- **أبو عمر:** وهلاًّ يعني استبينا أبو فياض على يوم الجمعة الجاية.

أجابه أبو فياض بأنه بأمر كباريّة الحارة ولو على رقبته.

عاود أبو دياب الطلب إلى أبي عمر أن يحكي للحضور شيئاً من الحكايا أو الطرائف التي تخطر على باله. أجاب أبو عمر بأنه سيلبي الحضور بما يريدون، لكن ذلك سيكون في يوم لاحق، لأنّ الحكايا (المزاج) ليست رائقة معه الآن، فكان أن أحال أبو دياب أبا عمر على أبي العزّ الذي ما لبث أن قال لأبي عمر:

- **أبو العز:** والله يا أبو عمر انت واحد ما بتجي غير بالرّص، مو بايدك هيك متعوّد، ولحا قول لك: إذا نسيت شو قلت لك قبل ما تتدّولق الشاي لحتّى ذكّرك، وإذا كنت ناوي تملص، انت بتعرف دبّارك عندي، لأني لحا املص لك هاللسّان وشوف شو لحا يطلع بايدك لمّن بيكون الزبون عم يحلق عندك عالكرسي بالدكان وانت بلا لسان!!.

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر:** أنا بأمرك أخي أبو العزّ، ويلّلي بتطلبه انت والحاضرين على انزوعة طربوشي من فوق. إإمرني أخي أبو دياب.

- **أبو دياب:** سلامتك أبو عمر.. ما في شي بس إذا كان هيك يا ريت تحكي لنا عن طهور هديك (تلك) الأيام.

- **أبو عمر:** على راسي أخي أبو دياب، خوش (بالأصل) كنت بدي احكي لكم عن طهور أيام زمان. هديك الأيام كانت الناس على قلب واحد، كانوا يستنّوا هالفرحة لحتى يطهروا ولاد الحارة ومنشان هيك كانوا يزنيوا الحارة بالعواميد ويجلّلوا هالعواميد بالسجاد وعروق شجر الكينا ويعلقوا بهالزينة السيوف والجفوت وصور الإبضايات والكبارية وفوق هيك كان أهل المطهر ما يعتازوا شي لأنّه كان يجيبهم السمن العربي بالتنك (ج. م. تنكة)

والرز والسكّر بالشوالات، عدا النوكا وراحة الحلقوم والسكاكر والشوكولاته والقهوة. لحتى يقوموا بواجب الضيوف والمباركين.

علّق أبو راشد على قول أبي عمر بقوله:

- **أبو راشد:** الله يعمرك يا شام.. يا هيك المحبة يا بلا (بدونها).

أجاب أبو العز بأنه والحمد لله لم يتغيّر شي، لأنّه لا يزال يوجد في دمشق نشاما بيعرفوا واجباتهم على بعضهم.

تابع أبو عمر روايته عن طهور أيام زمان بقوله:

- **أبو عمر:** وقبل الطهور بيوم، كانوا ياخذون الولد (المراد ختانه) إلى الحمام، ويوميتها كانوا يعملون له حفلة ما صارت، ثم يلبّسونه هالقنباز الحرير والبرنص المطرّز، ويأخذونه لعند الحلاق لحتى (لأجل) يحلق له الحلاق شعره ويعطّره بالكولونيا، ويحط (يضع على شعره) هالبريانطين (زيت للشعر) ويعمل له بشعره كوانة وفريزة.. لحتى يطلع هالولد من تحت إيد (يد) الحلاق مثل النقطة بالمصحف. ويوم الطهور بيساووا (يعملوا) لها الولد عراضة، وبهالعراضة بيركب كل ولد لحا يتطهر فرس، يا رهوان، وبيمشي بهالعراضة الكباريّة واهل الحارة، وفوق هيك بيلعبوا بالسيف والترس. وبيدبحوا هالخواريف (الخراف). وهالنسوان على الأساطيح ووراء الشبابيك على زلاغيط ورش ملح وورد.. هذا عدا العراضات الثانية يلّلي لحا تجي من الحارات الثانية، والكلّ (الجميع) عم يردّ بها العراضة وراء الوصيّف. وأذكر من أقوال هذه العراضة:

- يا ولد لفّ لك شال.

واتعلّم شغل الرّجال.

الرجال الشايبة.

يلّلي لألله تايبة.

تايبة ومتوّبة

تايبة عالشيخ رسلان

شيخ رسلان يا شيخ رسلان

يا حامي البرّ والشام

- يا ولد لفّ لك شال

واتعلم شغل الرجال

لا تروح درب الشمالي

بياخدك التركملّي.

بيعمل فيك كان مان

وبيعمل من جلدك رباب.

للشيوخة والشباب

يا ولد لفّ لك شال

فإذا وصلت العراضة إلى مصلّبة الحارة (ساحتها الرئيسة) كانوا يعقدون الرايات، التي يحيّيون بها أهل الحارة والكبارية وأهل الحارات المشاركة بهذه الفرحة. ولدى وصولهم إلى دار المحتفى به، يحضر الجميع لسماع قصّة المولد النبوي الشريف.

وحال الانتهاء من سماع قصة المولد النبوي توزع قراطيس الملبس وتبدأ عملية الطهور (الختان).. فيأتي من خلف الولد المراد ختانه فتى قوياً، ويأخذ بيديّ الطفل ويشدهما إليه من بين ساقيه ويجلس القرفصاء، وما هي إلاّ لحظة حتى يكون قد جرى ختان الطفل. ومن ثم يُدعى الجميع إلى تناول الطعام[٦].

قال أبو أحمد:

- **أبو أحمد**: من شان هيك كانت فرحة الطهور (الختان) لا تتفّوت.

فعلّق أبو دياب على قول أبي أحمد قائلاً:

- **أبو دياب**: لأنّ فرحة الطهور كانت بتخلّي (تجعل) الناس أقرب إلى بعضها.. وما كان يعادل هذه الفرحة إلاّ فرحة ختم القرآن الكريم بالمكتب (الكتاتيب). لأن الواحد وقت يختم ابنه القرآن يحسّ (يشعر) أن ابنه أصبح شاباً، ولازم يتعلم صنعة أبيه ويصير عنده بيت وكعكة وخيط كما يقولون.

بسّ يلّلي بدي قوله يا جماعة، إنه خلينا نطول بالنا على أبي عمر شوي بركي بيدوزن لنا شيء عن طهور ولاد الأكابر.

أجابه أبو عمر:

- **أبو عمر**: لا تذكرني يا أبو دياب لا تذكرني.. حاكم إذا هلأّ حكيت شلون كان أهل أول اذا واحد من هالأكابر لحا يطهر ابنه شو بيصير.. ما حدا لحا يصدق.

أخذ أبو دياب على عاتقه لأبي عمر عدم اعتراض أو مشاكسة أحد في ما يقوله عن طهور أولاد الأكابر (أبناء المسؤولين)، تابع أبو عمر قوله:

- **أبو عمر**: والله يا أبو دياب، يمكن الواحد ما بيصدق إذا قلت إنّهم اذا واحد من يللي بالي بالك حبّ يطهر ابنه.. كانوا يزينون أسواق البلد سبعة أيام، وكانوا يعملون هالاستعراضات للعسكر والأغوات والأعيان، وكانوا يلعبون في كل مصلّبة (ساحة) بالشام، اللّعيبيّات يللي ما بتنعّد ولا تتوصف. وكمان كانت الفوتة على كركوز وعيواظ (مسرح الظل) ببلاش.

ومرّة لمّن (عندما) طهر الباشا ابنه، أمر أن يطهروا ولاد الفقراء على حسابه، وأن يعطوا أهل كل ولد تطهّر (ختن) كسوة وعصملّيتين (ليرتان ذهبيّتان) وكانت هالمناسف (الموائد) بكل قرنة على أبو موزة. ويا مين ياكل ويعبّي (يأخذ معه).

علق أبو العزّ على قول أبي عمر قائلاً:

- **أبو العزّ**: وهيك يا أبو عمر، قلت لحالك (لنفسك) صارت وصارت غبّ.. غبّ عالجنبين وعمره ما حدا يورت (يرث) هادا إذا ما عبيّت شي بهالجيبة وشي بها الجيبة.. والله يستر ما تكون عبيّت كباتيل اللحم (القطع الكبيرة) بعبّك.

- **أبو عمر**: خاف الله يا ابن الحلال. أنا عم بحكي عن طهور زمان أوّل، بقا من وين لوين لحتى آكل وعبّي. بعدين بزعل منك أبو العزّ هَهْ!!.

- **أبو العز**: لكان شو صار بيلّلي كنت لحا نحكية لنا إياه بعدما تتدولق (تشرب) الشاي شو نسيت؟!!.

- **أبو عمر**: مقبولة منّك أخي أبو العزّ. بس يلّلي بدّي قوله إنّي أنا ما نسيت وهلأّ بعد ما خلّصنا شلون (كيف) كان طهور (ختان) أيام زمان حابب قول لكم قبل ما إحكي لكم الحكاية إنّه مو (ليس) كلّ الكلام يلّلي بينحكى بينسمع!!.

١٠- مو كلّ شي بينحكى بينسمع:

استغرب الحضور كلام أبي عمر، فقال له أبو العزّ:

- **أبو العزّ**: شو يا.. مالك بالعادة، شو عدا لبدا.. بلائيك (أجدك) عم تتفوصح!!.

- **أبو عمر**: لآ.. مو هيك أخي أبو العزّ، بسّ حبّيت حطّكم (أضعكم) بمعناة (معنى) الحكاية يلّلي لحا احكي لكم إياها. لأنّه في أوقات كلمة بتعلّي يا بتوطّي. وإذا ما كان بهديك (تلك) الأيام مدارس ولا راديو (إذاعة) كان الواحد منهم عقله بيوزن بلد من كتر (كثرة) ما هو مدعوك بها الحياة.. وأنا عم إحكي هيك حتى ما حدا يقول أبو عمر عم يقطع ويلحش(٧).

قاطع أبو راشد أبا عمر بقوله:

- **أبو راشد:** تخنّتها أبو عمر، إفرطها بقا، شو لحا تبيض لنا الجوهرة يمّا انت مثل عادتك بتحبّ تبردخ (تلمّع) كل شي بتقوله، لأنك محسّب حالك ما عاد فيه منّك، يعني خرطك الخرّاط وقلب مات، سمِّعنا (أحكي) لنشوف وبعدين منقول:

يا حواجبه يا عيونه.. ليكه (ها هو) عالمغتسل باين. يعني هلاًّ هرّ لنشوف وبعدين منحكي..

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر:** لك مو علي عيني يا أبو راشد لحا قول:

١١- الملك والصياد:

كان بزمانه ملك وهالملك كان عايش بعز وجاه، وعنده خدم وحشم وسراري وجواري يعني مثل ما تقولوا مو ناقصه شي. وهالملك مرّة شافه وزيره ما له على بعضه، وما لها رائقة الحشيشة معه!!. وفيك تقول: ما له مروّق وضائق خلقه. هالوزير قال للملك:

- **الوزير:** خير يا ملك الزمان، شايفك يعني هيك مالك مثل عوايدك!!. نادي لك على سرور لحتّى يسلّيك يما اجمع لك مجلس الأنس والطرب.. انت إإمور يا ملك الزمان، وكل شيء بيرخص لك وكرمالك الصعب بيهون.

قال الملك للوزير:

أنا جاية على بالي إنزل على هالبلد، غيّر جوّ، شوف هالناس شلون (كيف) عايشة.. إمشي مثل ما لهم عم يمشوا.. آكل مثل ما عم ياكلوا.. أعرف شو صاير فيهم.

أجاب الوزير: طلباتك أوامر يا ملك الزمان، بسّ (لكن) شو بدّك بها اللبكة عيوننا مفتّحة بالبلد، وكل يوم عم تجينا كل حركة وكل كلمة من كل الناس.

لكن هالملك كان حاسس بشيء تاني ما له عرفان شو هوّ، وهالشي كان عم يخلّيه قلقان وما عم يهدى له بال. وبلا طول سيرة عليكم هالملك تدروش هوّ وهالوزير وصار يتفتّلوا بها البلد من قرنة (مكان) إلى قرنة، هون (هنا) يوقفوا وهون يتفرّجوا وهون ياكلوا يحكوا.. مع الناس. يعني مشيوا قليل مشيوا كتير سبحان رب يعلم فيهن وهنّن هيك ساقتهم إجريهم لشط البحر وهنّن (هم) ماشيين ضبضبت الدنية (غيّمت) وارعدت (من الرعد) وهبّت هالزوابع، ونزلت عليهم أمطار أمطار.. شي بيخوّف. إه.. تطلع هالملك هالناح (هذه الناحية) هالناح، بركي بيلاقي هوّ ووزيره شي دروة، يتدارى فيها عم بين (ريثما) يخفّ هالمطر وتهدأ الدنية.. قام شاف لكم شوفة ما بتتصدّق شاف واحد عالبحر وهالدنية قايمة قاعدة، قال هالملك لوزيره لولا ما هالصياد مضطر ما كان تحمّل هالبرد وهالزمهرير والمطر. مشّي لنشوف شو جابه عالبحر. ولمّن (عندما) وصل الملك ووزيره لعند ها الصياد، قال له الملك:

- **الملك**: لك عمى شو جابك عالبحر بها الدنية يلّلي قايمة قاعدة بالرعد والبرق والزوابع.

أجاب الصياد الملك:

- **الصياد**: إنتوا (أنتم) شو يللّي جابكم لهون (إلى هنا) بهالنوّ (الطقس).. حدا بيجي عالبحر إذا الدنية هيك (هكذا) ولا دروة ولا فروة معكم.. تعوا تعوا (تعالوا) الطوا وراء هذه الصخرة عم بين ما تمرق هالنوّة ويفرجها الله.

كرر الملك سؤاله للصياد عن سبب قدومه إلى البحر في ذلك الجوّ المكفهرّ. أجاب الصياد:

- **الصياد**: يا عمّي شو بدّي قول لقول.. أحسن شي تريك (دع) الأمر لصاحب الأمر!!.. بعدين شو (ما) الفائدة إذا قلت لك أو ما قلت لّك، مثل

بعضها. هيك (هكذا) كاتب ربّك.. وما بيدبّر الكون غير ربّ الكون، والمكتوب مكتوب يا ابن الحلال!!.

كرر الوزير طلب الملك للصياد بقوله:

- **الوزير**: يا عمي فشّ لّه قلبه وقول لّه شو جابك عالبحر بها الجوّ (هذا الجو) وخلّينا نتيسّر لحالنا، وانت تدوّر على رزقك..

أجاب الصيّاد:

- **الصياد**: انتم إذا بدكنّ (تريدون) تيسّروا هيّ الدنية صحصحت، وما بقي لكم حجّة وأنا خلّوني إلحق (تابع) رزقي قبل ما تليّل (يحل الليل).

برر الملك للصياد عدم بوحه بمكنون ما يعانيه، إيماناً منه بأن حياة الناس أسرار ولكل امرئ أن يحافظ على خصوصيّاته.. لكن الصيّاد ما لبث أن قال للملك أنه ليس لديه ثمة خصوصيات يرغب الحفاظ عليها لأنه ليس أكثر من قاصد رب كريم.

وهذا أمر جعل الملك يحبّ الصيّاد، فطلب إليه أن يشاركه مع وزيره رغيف خبز كان معه حتى يصبح بينهما خبزاً وملحاً. حاول الصياد التملص عن مشاركة الملك تناول رغيف الخبز لأن حق الخبز والملح كبيراً، وقد لا يقدر – الصياد – أن يوفيه حقّه فلا يصونه. وإزاء تكرّر دعوة الملك للصياد مشاركته مع وزيره رغيف الخبز، شارك الصياد الملك والوزير تناول ذلك الرغيف قائلاً:

- **الصياد**: صعي (صحيح) جبل لجبل ما بيلتقي، بس بني آدم لبني آدم بيلتقي، وإن شاء الله يقدرّني على حفظ الخبز والملح معك.

وفيما هم في ذلك كرّر الملك للصياد أنّه يستغرب قدوم الصياد إلى البحر في مثل هذا اليوم العاصف ثم سأل الصياد بقوله:

- **الملك**: هلاًّ إنت ما كفّوك الثلاثة والثلاثة والثلاثة لحتى تجي عالبحر لتصطاد؟!!.

استغرب الحاضرون من الكبارية في جناح القصر من المقهى سؤال الملك للصياد، وطلبوا إلى أبي عمر أنّ يفسّر لهم ما عناه الملك في قوله للصياد.

أجاب أبو عمر أنه سيفسر سيوضح لهم ما عناه الملك، لأن الملك سأل الصياد اسئلة أخرى ومنها الاثنان اللذان أصبحا ثلاثة، والبِّيض اللذين تفرقوا، والبعيد الذي أصبح قريباً.

فقد عنى الملك بالثلاثة والثلاثة والثلاثة، أشهر الربيع الثلاثة وكذلك أشهر الصيف وأشهر الخريف، وقد أجاب الصياد سبب عدم كفاية الثلاثة (الربيع والصيف والخريف) له إنما متطلّبات ما في رقبته من أفواه، ثلاثة وثلاثة وثلاثة وهن: زوجاته الثلاثة، وأمّه وحماته واخته ومن ثم بناته الثلاثة وعليه أن يشتغل حتى في فصل الشتاء حتى يوفر لهم طعامهم.

أما الإثنان اللذان أصبحا ثلاثة، فهما قدماه اللتان أصبحتا مع العكّاز ثلاثة. وبالنسبة للبيض الذين تفرقوا فهم أسنانه، أما البعيد الذي صار قريباً إنّما هو كناية عن ضعف بصره.

وعند هذا الحدّ، ما كان من الحاضرين إلا أن اعجبوا بما قال أبو عمر، حتى أن أبو دياب المختار قال له:

- **أبو دياب:** اشهد بالله شي حلو وشي بيعبّي الراس.

وبذلك أيقن الجميع صحة قول أبي عمر بأن ليس جميع الكلام الذي ينحكى جدير بالاستماع.

سأل أبو راشد أبا عمر عن أخبار الملك بعد ما سمعه من الصياد.

أجاب أبو عمر أن الملك استفاد من كلام الصياد، فكان أن عاد إلى مملكته بعد أن عاهد الله بأنه سيسهر على راحة رعيّته وسعادتهم، ونشر الخير والعدل بين الجميع. وفوق هيك أخذ الصياد وعياله لعنده لحتى يعيشوا معه بالقصر.

الحواشي والإيضاحات:

١ - المصلبّة: الساحة الرئيسة في سوق الحي أو الحارة. نيّاله: غبطاً له. يلّلي: الذي. يدردر: يقترب. اسمنّهم: طالما. البسطة: مكان عرض الخبز للبيع. بس: لكن. يفدح حريشك: عباره يراد العتاب على سبيل المزاح. شو: ماذا. لحا: سوف. يمّا: أو. يدندل: يدلّي. القفة: وعاء. بدّه: عليه.

٢ - هيك: هكذا. أبواب: مواضيع. زغير: صغير. ليش: لماذا. شلون: كيف. مثل ما بدّك: كما ترغب. يفرك يداً بيد: كناية عن القلق. كمالوز: اسم دلع كمال. الالماسية: حليب مطهو بالنشاء والسحلب. سال لعاب: كناية عن الرغبة في تناول ما يراه. بارة: نقد قليل القيمة. شلون هيك: كيف حدث ذلك. سهيل: سهل. ناكتة: بسيطة. كمان: أيضاً.

٣ - بدّك: عليك. فارط: متهتّك. يندندل: يدلّي. الدراويش: عنوا الفقراء. تعلاية كرسي الحلاقة: قطعة من الخشب توضع على جانبي كرسي الحلاقة المرتفعين، يجلس عليها الصغار للحلاقة. الكوانة والفريزة: من أشكال الشعر المرجّل. الكولونيا: ما يعطّر به الشعر. زمان وزمنة: كناية عن القِدَم.

٤ - قفشتني: كشفتني، أحرجتني. مهول: ماهر. من ورقتها: كناية عن الجدّة. مالكانات: عنوا الدور والقصور ونحوها. يدعكة: يجعله يدخل معترك الحياة. حلق: أقراط. بعزق: هدر. على باب الله: كناية عن عدم سعة ذات اليد. الإيد: اليد. يُسّر لّه: يحكي له. معتّر: كناية عن سوء الحال. مقلّع نيابه: أرادوا الدلالة على الخبرة ببواطن الأمور. لمّن: عندما.

٥ - زكرت: شهم. همشرية: بمعنى إخوه، والهمشري من يتآخى مع صاحبه بجرح إصبع كل منهما ومن ثم يوضع الجرح على الجرح بحيث يجري دم كل واحد منهما مع دم صاحبه. غازز: أرادوا ذاهب. سلتة: أرادوا الذهاب

إلى وليمة دون دعوة أو نحو ذلك. لأوي: تمهّل. تشد ظهرك: تعتمد. بقفاي: في غيابي. يا عيب الشوم: كناية عن الاستنكار.

٦ - خطف الكبّاية من راس الماعون: كناية عن التسرّع. يمّا: أو. ما بيشخ على إصبعة مجروح: كناية عن البخل. شو ضريبة: أرادوا ماذا بشأنه. صار له زمان هالقمر ما بان: مثل شعبي للدلالة على طول مدة الغياب. استبينا: اتفقنا. ناوي تملص: تتهرّب. ما بيجي غير بالرص: عنوا الإكراه. يتدولق: يتناول. أنزوعة طربوشي: أي موافق عليه. الجفت: بندقية. الأبضاي: الشهم. نشاما: رجال. قنباز: قفطان. الشيخ رسلان: ارسلان الدمشقي. درب الشمالي: بلاد الترك. التركملّي: الأتراك العثمانيون.

٧ - عنده بيت وكعكة وخيط: عنوا بذلك الزواج والأولاد. بالي بالك: عنوا بذلك المسؤولين. الفوتة: الدخول لمشاهدة. بلاش: بلا مقابل. قرنة: مكان. على أبو موزة: كناية عن الكثرة. غبّ: تناول. على الجنبين: جانبي فك الإنسان. يقطع ويلحش: يرمي عنواً دونما رويّة. يمّا: أو.

٨ - ما لها رايقة معه الحشيشة: عنوا أنه ليس على ما يرام. تدروش: تزيّا بزيّ الدارويش أي البسطاء من العامة. اللّبكة: التعب. هنّن هيك: وفيما هم في ذلك الوضع. دروة: مكان آمن، لا تطاله الأنواء.

٩- الخوف.. يقطع الجوف..

١ - واحدة بواحدة.

٢ - بيتعربش عالمكلّس.

٣ - همشرية ما لها أمان.

٤ - الفوتة عالحمّام.

٥ - سرّ الصنعة.

٦ - حلوان الطهور.

٧ - الشحم بالسمن.

الشخوص المشاركة:

١ - الكبارية: أبو دياب، أبو العز، أبو عجاج، أبو فياض وأبو أحمد.

٢ - أبو عمر الحلاق.

٣ - عبودة صانع القهوة.

٤ - شخوص حكاية سر الصنعة.

٩- الخوف.. يقطع الجوف!!.

١- واحدة بواحدة:

لم يكن أبو عمر قد تذوّق طعم دخان الاركيلة (النارجيلة) من قبل. لكن عبّودة جعله يجرّب حظّه في تذوق ذلك الطعم، طالما أنه لن يكلفه ذلك دفع حتى نقير قرش واحد. ولئن كان عبّودة من أكثر الناس حرصاً على وارد (دخل) المقهى الذي يعمل به، فإن حنق عبّودة على أبي عمر وحرقة قلبه منه جعله هذه المرّة يغامر ويُعدّ لأبي عمر نفساً قد يأتي بآخرته (الموت).. فقد كان ذلك النفس من تنباك غير منقوع بالماء وبالتالي من غير فرك (دعك) للتخلص من طعمه الحادّ المخرّش، بحيث إذا سحب (امتصّ) المدخّن غير المدمن على تدخين الأركيلة سحبة واحدة تجعله يشعر وكأنه يمج النار إلى زلعومه ورئتيه. ولم يكن تصرّف عبّودة هذا عن ولدنة الحرام تجاه أبي عمر، وإنّما كان من قبيل الثأر من أبي عمر على ما فعله بشعر رأس عبودة من قرمطة (قصّ على غير هدى) بحيث جعل شكل عبّودة مضحكاً، فضلاً عن كونه مزرياً في أعين الآخرين.

قدم عبّودة نربيش الأركيلة لأبي عمر، وتشاغل بمسح الطاولات والطرابيزات (مناضد صغيرة)، وقد غطّى رأسه بلفحة يخفي بها شكل شعر رأسه المزريّ، في حين عمد أبو عمر إلى تركيز جلسته وراء الأركيلة وعبّودة على أحرّ من الجمر في أن يرى ما سيحلّ بأبي عمر عقب أول سحبة (مجّة) من نفس الأركيلة، فإذا كان له ذلك، إذا بأبي عمر يتشردق (يشرق) بدخان تنباك الأركيلة، وأخذ بسعال شديد متتابع أدّى إلى إزرقاق وجهه وجحوظ عينيه وتدلّي لسانه من فمه، فسارع عبّودة بكأس ماء إلى أبي عمر وهو يقول:

- **عبودة:** صحة.. صحة عمي أبو عمر.. خود.. خود (خذ) شراب لك دمعة ميّ.

تناول أبو عمر كاس الماء من عبّودة قائلاً:

- **أبو عمر:** لك شو هالنفس يا عبّودة!!. انقطع نفسي وكنت لحا اختنق.

أجاب عبّودة: والله يا أبو عمر انت هيك بدك، قلت لك بلاها بس انت حنترت!!. ليش؟ لأنّه هالنفس كشّة.. تعليقة.. ويا ضربتي من غير كيسي. شفت (أرأيت) شو صار معك.. كنت لحا تروح فيها.

عاود أبو عمر تناول نربيش الأركيلة، وسحب منه سحبة (امتصّ) كبيرة جعلته يعاود السعال ثانية وبشدّة أكثر من السابق، حتى كاد يختنق.. لولا أن أدركه أبو العزّ وهو داخل إلى جناح القصر من المقهى.

- **أبو العز:** خير أبو عمر خير شبك (ما حلّ بك).. تعا عبّودة أوام (بسرعة) ناولني كاسة مي (ماء).

سارع عبودة باحضار الماء. قدم أبو العز لأبي عمر الماء وهو يقول:

- **أبو العز:** مسيك من ايدي أبو عمر مسيك، شراب وقول بسم الله.

استوضح أبو العز عبّودة عن ما كان به أبو عمر فقال عبّودة:

- **عبودة:** معلمي هوّ هيك بدّه، قال شو لحتى يصير مثل الكبارية، والله وكيلك أنا قلت له بلالك اياها ما ردّ.

- **أبو العز:** شو يا!!. عم تتدرّج عالعافية.. الله يسمّعنا الأخبار الطيبّة.. عم تشرب اركيلة لك منظوم؟!!. لك إنت شو بدك بالأراكيل؟.. الله يعينك على آخرتك.

فقال أبو عمر:

- **أبو عمر:** تنفيخة أبو العز تنفيخة.. قلت لحالي اتسلى شوي (قليلاً) عم بين ما تجوا (ريثما تأتوا).. إه.. الله يلعن الشيطان.

لحظ عبّودة أن المختار أبو دياب قادماً، فسارع إليه مؤهلاً وعندما سأل أبو دياب عن من بالمقهى اخبره بحضور أبو عمر باكراً وأن أبو العز قد وصل منذ قليل. تابع عبودة قوله للمختار:

- **عبودة:** أمّا يا معلمي عملت لّك مقلب.. شو مقلب بأبي عمر.. دقّ خلّيته يطلع من قحف راسه.

- **أبو دياب:** يا ضربان صاير عم تعمل مقالب!!.

- **عبودة:** لآ معلمي مو هيك.. بسّ دبّرت لّك إياه بنفس أركيلة من كعب الدست خلّيته يصوي صوي وراح فيه فروطتو[1]!!.

- **أبو دياب:** وشلون هيك؟!!.

- **عبودة:** والله يا معلمي أنا ما دخلت، هوّ قال بدّه نفس أركيلة، قمت أنا ما كذبت خبر، بلّيت لّك هالتنباكات، وقوام عبيتهن براس الأركيلة ودوز دغري (مباشرة) عمّرت هالنّفس بالنارة، وكنت صامد هالأركيلة قدّامه.. ومن أوّل سحبة كان لحا يروح دبلّكة.

- **أبو دياب:** الله لا يعطيك العافية فوق تعبك، لك كنت تخيّت بالحبوس ورحت فيها.

- **عبودة:** بيستاهل معلمي بيستاهل.. لكان يقرمط لي شعراتي هيك؟!! بعدين هادا أبو عمر لا تخاف عليه، مثل القطاط (الهرر) بسبعة أرواح!!.

ما إن سأل أبو العز أبا عمر عن ما حصل له حتى شرع أبو عمر بالقول:

- **أبو عمر:** يفدح حريمه هالنّفس حدّ مثل سيخ النار، ومن أوّل سحبة فتل راسي، فزّيت (نهضت) بدّي امشي، حسّيت حالي عم إمشي لأم ألف (مدودخ)، قعدت، ولسّا ما سحبت السحبة الثانية، ما شفت لّك حالي إلاّ عم اتخونق، ونفسي ما عاد طلع، ولولا عبودة ما لحقّني بكاسة الميّ كنت هلاًّ عم تترحم على أخيك أبو عمر.

- **أبو العزّ**: لا تخاف.. لا تخاف على هالروح النجسة عمر الشقي بقي!!.

لدى وصول أبو دياب مدخل جناح القصر من المقهى، كان أبو عمر يروي لأبي العزّ ما حصل له.. فقال أبو دياب لأبي عمر:

- **أبو دياب**: خير أبو عمر خير.. قال كنت لحا (سوف) تبلع اصبعتك وتودّي؟!!.

- **أبو عمر**: أي والله يا أبو دياب، عم قول لأخي أبو العزّ.

- **أبو دياب**: شو انت صغير أبو عمر، لحتى تسلّم مذبحك لعبودة!!.

فقال أبو العز:

- **أبو العز**: وشو (ماذا) دخل عبودة.

- **أبو دياب**: والله يا أبو العز هادا (هذا) عبودة متوصي بأخيك أبو عمر.

- **أبو العز**: هيك لكان يا أبو عمر.. لك شو عامل لعبّودة لحتّى عمل فيك هالدق (المقلب)؟!!.

- **أبو عمر**: شبنا أبو العزّ.. إنت شفت بعينك، وإذا كان عبودة عامل هيك.. أنا سامحته.. والشغلة وما فيها: إجا عبودة حلق عندي بالظاهر المقصّ متلّم قاموا تقرمطوا شعراته.. بعدين شو فيها بتصير بأحسن العائلات.. الشعر بضاعة مخلوفة، والمرّة الجاية بركّز له إياهن عالبيعة.

٢- بيتعربش عالمكلّس:

سأل أبو دياب أبا عمر عن أخبار فياض الذي طهّره منذ يومين بعد أن نقل فياض إلى المشفى، فقال أبو عمر أن شغلة فياض عرضيّة، واكثر الأولاد عقب طهورهم يصابون بكريزات برودة وسخونة، لكن أبو فياض ضوّيج لم

يتحمل ذلك، وما كان لازم للولد مستشفى، ولو أن أم فياض قامت بوضع شاشية مبلّلة ببعض الخلّ لكان فياض ما سخن وفزّ مثل الحصان. ثم تابع أبو عمر قوله:

- **أبو عمر**: بعدين شوف أخي أبو دياب أنا يا ما مطهر ولاد وطول عمري بطهّر ولاد، وأبي وجدّي قبل منّي.. وانا لمّا طهّرت هالولد ما طلعت من بيت أبي فياض، إلاّ وجرح الولد زابط وشمامة القطران معلّقة برقبته، بس فياض بسم الله حوله ورِش، كأنّه شاقق الأرض وطالع، ويا مَن تراه طول النهار عم يفعي بالحارة، وعمّ يلاطش من ولد لولد، لك بيتعربش كالمكلّس. العمى شو مو مسميين!! بعدين كان ماسكه كمال أجير حمدي مسكة أصولية ما خلاه فيها يتلحفظ.. بسّ بيجوز عصب فياض قوي ونهز له شي نهزة وما حسّينا عليه.

عندئذ قال أبو العز لأبي عمر[٢]:

- **أبو العزّ**: شوف أبو عمر بدّك ما تزعل منّي، الله يغنيك عن شغلة هالطهور ويوصل لك إياها بأحسن.

٣- همشري ما له أمان:

جن جنون أبو عمر من قول أبي العزّ، وأخذ يرغي ويزبد وهو يقول:

- **أبو عمر**: لك أخي شو عامل لك، يعني ما بيكفي حكما (أطباء) الاسنان شفطوا مني حكمة الأسنان، والحكما التانيين ما خلّوا واحد يقول آخ حتى يسحبوه لعندهم.. وبدّك كمان (أيضاً) الطهور يروح من إيدنا، ونعيش على قماري الحمام!!.

سمع أبو أحمد قول أبو عمر لأبي العز وهو داخل إلى جناح القصر من المقهى، فلما استفسر من أبي عمر عن موقفه من أبي العز قال له:

- **أبو عمر**: شايف يا أبو أحمد شايف، قال أبو العز همشريتي وبينشدّ الظهر فيه!!. ما تاريه ما له أمان.. والله يا أبو أحمد بها الأيام الواحد ما له غير كدّ ذراعه يعتمد عليه.

استوقف أبو دياب أبا عمر وطلب إليه أن يلفّها (يتوقف عن الكيل لأبي العزّ)، لأنّ أبي العز لم يكن يقصد ما رمى إليه أبو عمر. أعقب ذلك قول أبو أحمد:

- **أبو أحمد**: معليش (لا بأس) أخي أبو العز، الزلمة كان فاير دمّه من خوفه أن يصير (يحصل) لفياض شي، وأبو عمر يا أبا العزّ عنده إياك بالدنية.. ومنشان هيك (لأجل ذلك) أخي أبو العزّ ضاعت ولقيناها، وما بدنا الناس تحكي بيناتكم منشان شي ما له طعمة.

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر**: الحقّ معك أخي أبو أحمد.. إي والله لمّن دريت شو صار مع فياض. لحا يطير عقلي، وتمنّيت لو كنت بداله، حاكم الولد وحداني أمه وأبوه ما لهن غيره.

عقّب على ذلك أبو راشد:

- **أبو راشد**: ومنشان هيك بدنا إياك تقوم تلبس يا أبو عمر هالقنباز وتعلّق هالشمّامة برقبتك، وهَيّ أخوك أبو العز لحا يجيب لك أنور النّجار خلّيه يطهرك بقدومه، ومنشان واجبك أخوك أبو الروض بيعمل لك العراضة وأبو أحمد لحا يزّين لك الدكان كشّة (مجاناً) عالبيعة.

قال أبو رياض:

- **أبو رياض**: بسّ أنا يلّلي بعرفه إنّ أبو عمر ما ناقصة طهور.. ناقصة حجّة لبيت الله الحرام، ووقتها أنا بعمل له العراضة يلّلي بيحبّها قلبه!!.

عندئذ اقترح أبو دياب أنّ يبوّس (يقبّل) أبو عمر وأبو العز شوارب بعضهما للخلاص من هذا الجدل وبالتالي من أجل أن تكون تتمّة السهرة على رواق وتابع قوله:

- **أبو دياب:** وانت أبو عمر مع أبي العزّ همشرية، يعني إذا بزقنا لفوق تأتي على شواربنا وإن بزقنا (بصقنا) لتحت تنزل على ذقننا!! وشلون ما كان الظفر ما بيطلع من اللحم(٣).

سرعان ما قال أبو العز:

- **أبو العز:** بسّ قبل ما نبوّس شوارب بعضنا يللي بدّة يروح عالحج بده يبطّل شغل الآلابنضة، مو يروح قدوم ويرجع منشار.

رد أبو عمر وهو يقوم لمصالحة أبي العز بقوله:

- **أبو عمر:** لوقتها بيفرجها الله، ووقت بيجي الصبّي منصلّي على النّبيّ..

عادت المياه إلى مجاريها بين أبي العز وأبي عمر، فسأل أبو العز أبا عمر:

- **أبو العز:** هلأّ أبو عمر بذمّتك وإيدي على راسك ما كنت خايف ليصير (يحدث) لفيّاض الله يسلمه شي.

- **أبو عمر:** والله يا أبو العز ليش الكذب، الله وكيلكم وكيل السماء والأرض، حسّيت قلبي وقّف، ودمّي نشف وريقي (اللعاب) يبس بتمّي (فمي)، وركابي ما عادت تحملني. وقلت لحالي: هيّ أخرتها يا أبو عمر، يا سواد وشّك (وجهك) قدّام حبايبك.. أي والله حسّيت تفاتيفي عم ترغي بتمّي.. يا لطيف.. الله يجيرنا من ساعة الغفلة.

- **أبو العزّ:** لكان عمي لكان.. الخوف بيقطع الجوف يا أبو عمر.. يما أنا غلطان؟!!.

٤- الفوتة عالحمام:

أيقن أبو عمر أنّ أبا العز لابد وأنّه سيورّطه في إشكال قد يكلّفه كثيراً. فما كان منه إلاّ أن حاول التملّص من السهرة مع الكبارية، فقال:

- **أبو عمر**: يا جماعة الليلة بدكن تسامحوني، خلّوني روح على بيتي على بكّير إرتاح لي شويّ، اليوم حاجتي (كفاني) استويت وكازي خلص، أحسن ما روح دشوة (بلا مقابل) بيناتكم، والله عيوني عم تتدافش!!.

ردّ أبو العز على أبي عمر بأن الفوتة عالحمام مو (ليست) مثل الطلوح منّه. وقبل كلّ شي انت يا أبو عمر فيك تجي السهرة وقت ما بدّك، بسّ ما فيك تروح وقت ما بدك انت قاعد بين رجال!!.

ومنشان هيك عود (اقعد) واستطعم.. عندي زوج كلام بدّي قوله للكبارية.. عود واسماع كلام خلّيه حلق بادانك، لأنه عمايلك يلّلي ما بتنزل لا بميزان ولا بقبّان زادت عن حدّها.. ولحتّى ما طوّل عالجماعة لحا قول لك: بيرجع مرجوعنا عن الخوف يلّلي بيقطع الجوف، ومثل ما بيقول المثل: الحكي إلك يا كنّة.. اسمعي يا جارة.. سمعان أبو عمر؟!!. يمّا عامل طنّش فنّش تنتعش(٤)!!..

٥- سرّ الصنعة:

حضر أبو عجاج إلى جناح القصر وقد سمع ما قاله أبو العزّ لأبي عمر فاعجب به أيّما اعجاب، فقال أبو العز:

- **أبو العز**: يا جماعة مثل ما بتعرفوا، لكل مصلحة معلميها وصناعيتها، وشيخ كار، وكل معلم بيخبّي معلميته على صناعيته بالكار شي شغلة.. نهفة.. نكشة.. يعني مثل ما بتقولوا سرّ الصنعة، ومنشان هيك كان المعلم يختلي لحاله بشي قرنة (مكان) بالمحل وقت (عندما) بدّه يطبّق خصكار (ما يخص كل صانع من عمل) صناعيتة.

ومن هالمعلمين القدملك (القدماء) معلم كان مشهور بمطالعة السمّ من الأعشاب.. ومثل ما منعرف الغلطة بهيك شغلة بكفرة، ومنشان هيك ما كان يطلع من تحت ايد هالمعلم صانع لحتّى يصير معلّم إلاّ بألف يا ويلاه (بمعنى

من رابع المستحيلات). وكان عند هالمعلم صانع ما بيقلّ عن معلمه بهالكار.. كان كل شي بايده بالمحلّ (الدكان) لكن معلّمه ما كان يوافق على تكريسه لحتى يصير معلم يشتغل لحاله، ولمّن (عندما) افّعت الحكايا مع الصانع (ضاق ذرعاً).. صار يعنفظ (يتعالى) ويشوف حاله على معلّمه قدام (بحضور) الناس.. وهالمعلّم عم يطوّل باله عليه، لأنّه ما حب يقطع رزقه منشان عياله، ولأنّه مثل ما منعرف إذا ألّعه (طرده) من عنده ما حدا بيشغّله عنده وما بيقدر يفتح دكان لحاله يشتغل فيها مثل ما عم يشتغل عند معلّمه، وفوق هيك (زيادة على ذلك) صار هالصانع ما يخلّي (لا يدع) فرصة إلاّ ويحطّ فيها من معلميّة معلمه، حتى انه في أحد المرّات، بينما كان لدى معلمه ضيوفاً، عمد إلى الجلوس معهم وأخذ يقضي ويمضي ويقاوص (يكايد) معلمه، فكان أن قال له معلمه:

- **المعلم:** لك ابني ذوق، وقوم شوف شغلك، بكّير عليك تحكي مع الناس، انت ابن مبارح (أمس) بهالكار، ولسّاك بالرقراق. وكلّك على بعضك أجير بكعكة، ووقت تصير (تصبح) معلماً ما حدا (لا أحد) بيوقّف بطريقك.

ولما عمد الصانع إلى الرّد على قول معلّمه اعترضه أحد ضيوف المعلم بقوله:

- لك عمي الواحد قبل كل شيء بدّه يلزم حدّه، وإذا معلمك مطوّل باله عليك، هالشيء كرم أخلاق منّه.

ولأنه مثل ما بيقول المثل: الواعة (الوعاء) الكبيرة تسع الواعة الصغيرة. ويللي بدّه يكون معلم ما بيصير يجيب معدل حدا (أحد) والمعلمية مو بس (ليست) بالمصانعة، المعلميّة كمان (أيضاً) بالأخذ والعطا، وإذا كان المعلم لحا يكون مثلك ما لحا حدا يتعامل معه ويجابره وفوق هيك اولاد الكار لحا (سوف) يُعادونه!!.. وبعدين معلمك مو كل هالقدّ قايمك من أرضك.. لأنّه مثل ما علّمك بيعلم غيرك.. وربّي ما أكثر خلقك!!.

لكن الصانع ظلّ على عناده، واعتبار نفسه أكثر معلميّة من معلّمه، وبرر ذلك بقول المثل الشعبي:

«كل شاب انتشى.. قام كبير باس (قبّل) إيده»

كناية عن الاعتراف بمهارته ومعلميّته. وأن الحجر يلّلي (الذي) لا يعجبك قد يفجّك (يُدميك).

وأردف هذا الصانع باقتراح مفاده أن يقوم معلمه ويقوم هو (الصانع) باعداد كميّة من السمّ، فيشرب المعلم من السمّ الذي أعدّه الصانع ويشرب الصانع السمّ الذي أعدّه معلمه، ومن يظل على قيد الحياة يكون المعلم!!.

وافق المعلم على اقتراح صانعه وشرب السمّ الذي أعدّه الصانع له. أما المعلم فأرجأ إعداده للسمّ بضعة ايام، وبعد مضي تلك الأيام، عاود المعلم إلى تأجيل إعداده للسم الذي على الصانع تناوله، وبالتالي فإن ذلك الصانع أصبح في حالة لا تطاق من المخاوف حتى أنه أصبح يتصوّر أو يتوهم أنّه هالك لا محالة لدى تناوله سمّ معلمه، وفي نهاية المطاف أنجز المعلم عبوة السمّ، وقدمها أمام الحضور إلى صانعه، لكن الصانع لم يكد يمسك بتلك العبوة، حتى أخذ يتصبّب عرقاً، وأخذت يداه ترتجفان، وجحظت عيناه وتدلّى لسانه، وما لبث أن سقط أرضاً بلا حراك!!. لا من كمّه ولا من تمّه.. لقد فارق الحياة!!.

فما كان من المعلم (أبو عدنان) إلاّ أن توجّه إلى الحضور بقوله:

- **أبو عدنان:** وهلأّ إنتو (أنتم) يا جماعة شهود أمام الله. هالمنظوم تحدّاني وحطّ من قيمتي ومعلّميتي، ومن زمان وهو على هالمنوال، ووصلت معه أنّه سقاني السم لحتّى يخلص مني.

وأنا إذا صرت معلم، تعلمت هالكار بكدّ ذراعي وعرق جبيني، وأشبه (أحسن) معلم ما بيفتّ لّي خبز. وهالأفندي محسّب (يظنّ) حاله خرطه الخراط وقلب مات (كناية عن الندرة) ونسي إني مثل ما علّمته بعلّم غيره..

وربّي ما أكثر خلقك. وفوق هيك أنا كرمال العِشرة والخبز والملح ما سخيت فيه، وهالقنّينة (العبوة) يللي قدامكم ما كان فيها سم.. كانت معبّاية مازهر بسّ الخوف بيقطع الجوف ومن شان هيك راح ببلاش.

هنا توجه أبو العزّ إلى أبي عمر بقوله:

- **أبو العز:** شلوني معك يا أبا عمر؟!!.. يمّا ما دارت لك وبدّك من الذواق رطل وأربع أواق!!.

- **أبو عمر:** والله يا أبو العز إن الله حق.. يللي حكيته جواهر، وما حدا (لا أحد) بيطلع له معك.

٦- حلوان الطهور:

وفيما كان أبو عمر يداهن أبا العزّ، يدخل عبّودة بصدر (صينيّة) كنافة مدلوقة، شُدِه أبو عمر من المفاجئة، وأخذ يتلمّض قائلاً لأبي العزّ:

- **أبو عمر:** شو أخي أبو العزّ.. هيّ الكنافة كمالة (تتمة) الحكاية؟!!.

- **أبو العز:** لآ عيني لآ.. هي الكنافة حلوان طهور فياض يللّي طهّرته..

فلما قال أبو عمر أن فياض على حدّ علمه بالخستخانة (المشفى) ضحك الجميع وقال أبو فياض:

- **أبو فياض:** لك أي خستخانة.. فال الله ولا فالك!!. ليكه (ها هو) الولد عم يفعي (يلعب) بالحارة.

وأردف أبو العز قائلاً:

- **أبو العزّ:** شو حكينا أبو عمر!!. الخوف بيقطع الجوف.. يمّا (أو) ما شفت تفاتيفك شلون صارت ترغي بتمّك (فمك).. افمهما وحدك وحاجة تعمل لنا بالرّز بصل.. نحنا هون عرفانينك!!.

شاطر أبو عمر الحضور تناول الكنافة، وكان له منها حصّة الأسد، فلما حضر الشاي الأخضر هلّل أبو عمر لذلك، لما للشاي الأخضر من دور في الهضم فضلاً عن كونه يفسّح الصدر ويمنع القلق، على مبدأ: أقلّه ثلاثاً (كاسات) وأوسطه تسعاً وأكثره حسب الوسعة (الرغبة).

لحظ المختار أبو دياب أن في فم أبي رياض كلاماً. فسأله أبو دياب:

- **أبو دياب:** شو أبو الروض كأنّه في تمّك (فمك) حكي.. خير؟؟!!.

- **أبو رياض:** أنا محسوبك أخي أبو دياب.. ما في شي بس عم تحكش (تحوم) براسي شغلة بدي إسأل أبي عمر عنها.. بسّ خايف، أن يحسّب (يظنّ) أنه حاطط عيني على طربوش أبو العزّ، ومنشان (لأجل) هيك، قلت لحالي بلاها أحسن ما ياخذ أبو العزّ على خاطره منّي.

أجاب أبو العزّ:

- **أبو العز:** شو هالحكي يا ابن الحلال.. لَهْ يا أبو الروض انت من الغوالي قول ولا يهمّك.

اعترض أبو عمر على قول أبي العزّ قائلاً:

- **أبو عمر:** شلون يعني.. هالحكي ما بيصير.. قبل كل شي بدّي اعرف على إيش (أي شيء) ناوي أبو رياض.. حاكم عنده كل فرتينه (فتنة) بتخربط السماوات بالقباوات.. وما عنده مانع يجيب أجلي.. يعني الدنية وأحوالها وأبو رياض إذا صحّ له ما بيقصّر.. انا بعرفه!!.

ردّ أبو رياض على أبي عمر قائلاً:

- **أبو رياض:** شو عليه يا أبو عمر.. انت طول عمر نيّتك عاطلة ومحسّب كل الناس مثل حكايتك بتحبّ الفاينة!!.

قطع أبو دياب هذا الجدل وسأل أبا رياض عن ما كان يريد قوله لأبي عمر. فكان أن اعتذر أبو رياض عن ذلك وإزاء إصرار الحضور على أبي

رياض، حاول أبو رياض التملص لولا إصرار أبو العز. وقناعة الجميع بأنهم أهلية بمحلّية. قال أبو رياض بأنه كان يريد أن يسأل أبو عمر عن ما بينه وبين حمدي السمان بخصوص سفر حمدي إلى دير الزور. فلما حاول أبو عمر أن يتملّص من سؤال أبي رياض قال له أبو دياب:

- **أبو دياب:** شوف أبو عمر لا تدوّخنا بسيرة من هون وسيرة من هون.. أبو رياض سألك شو فيه بينك وبين حمدي السمان.. يا بتحكي لنا.. يا صلّى الله وبارك، فضّها سيرة..

حاول أبو عمر التملّص من الإجابة، والخوض في أمور لا علاقة لها بسؤال أبي رياض، عن علاقة أبي عمر بحمدي السمان، لولا أن أبو العزّ عمد إلى صدّه عن ما ذهب إليه.

٧- الشحم بالسمن:

فقال أبو عمر: أن ما بينه وبين حمدي أمر خاص، قد لا يرغب حمدي البوح به لأحد. زد على ذلك: أنّ الحقّ مع حمدي وهوّ حرّ في شغله.

فقال أبو أحمد:

- **أبو أحمد:** إي لآ أبو عمر.. هَيّ تخينه، لأنه نحنا منعرف أن حمدي كان عند أبي محمود بدير الزور، وإنّك يا أبو عمر شريك لأبي محمود، وإنك عامل وصيّ على دكان أبي محمود، وكل يوم عشية بتاخذ إجرتها وإجرة المسكيتات (الدراجات) المؤجّرة!!.

أجاب أبو عمر قائلاً(٥):

- **أبو عمر:** حرام عليك يا رجال.. لهون وصلّت معك.. يعني إذا الزلمة (أبو محمود) سخّرني إجمع له غلّه دكانته وإجرتها يعني بكون صرت شريكه.. الشّغلة وما فيها خدمة.. خدمة لوجه الله.

فقال أبو العز:

- **أبو العزّ:** من إيمتى يا أبو عمر كنّا والشمس ترقعنا؟!! هيك خدمة لوجه الله؟!!. لك طلاع من هالأبواب.. أبو عمر، هادا (هذا) بزّك لك إنت المشوار يلّلي لقماته أقل من خطواته ما بتمشي فيه بقا شلون (كيف) ظبطت هيّ معك؟!!.

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر:** معليش (لا حرج) أبو العز، لحا قول لك بالمشرمحي!!. هالزلمه (أبو محمود) لمن ما عاد مشي خشبه هون، آل (قال) لحاله يا ولد شقّ (إرحل) من الوجه.. قامت حملته إجريه إلى دير الزور بركي (ربما) الله بيفتحها بوجهه وبيجّلس حاله.

عقب على ذلك أبو العز:

- **أبو العز:** وانت قلت لحالك يا ولد إذا هبّت رياحك اغتنمها قمت استناولت منّه الدكان مقابل قرشين لحتّى يتسبب بالدير بشي رزقة.. شغلة ملعوب يعني هيك شي!!.

فقال أبو رياض مقاطعاً:

- **أبو رياض:** معليش أبو العزّ، خليني قول لك: انت الصادق، لعبت عين أبو محمود عالسمنة الديرية، المشهورة مثل ما منعرف باصالتها ونكهتها.

فقال لحاله (حدث نفسه): مازال (طالما) انت بالدير.. لك صارت وصارت، ليش ما بتشتغل بالسمنة، وبتضرب (تخلط) هالسمنة بليّة (إلية) الخاروف.. يعني شو فيها.. قمت يا أبو عمر صرت تبعث لأبي محمود (الاصانصات) يلّلي بتخلي السمنة تحافظ على نكهتها ولو ضربت حتّى بالشحم بل والعضام (العظام المهدرجة) وصرت انت وإياه لأبو محمود شريك البحرة.. تبيعوا ليّة وعظام مع السمنة.. مقابل السمنة الديرية يللي ما لها مثيل.

فقال أبو دياب: يا جماعة أنا بدّي أعرف ليش حمدي السمان استرجع تنكات السمنة يللي باعها لأهل الحارة؟

أجاب أبو رياض:

- **أبو رياض:** انت عيني أبو دياب، حمدي السمان لمّن طلع عالدير لحتّى يشتري السمن لدكانته استناوله أبو محمود بالدير ولزقة برتيّة تنكات (وجبة) سمنة مرتّبة. حمدي كان مثل ما بيقول المثل:

«يا غافل إلك الله» ما كان عرفان قصة أبو محمود بالسمنة.

وهيك اشترى من أبي محمود هالبرتيّة، اعتقاداً منه أنّه عمّ يجابر ابن بلده.. وهيك صار يبيع هالسمنة لزبوناته وحبايبه، ووقت يلّلي عرف حمدي بحكاية هالسمنة ما طاوعه قلبه يغش زبوناته وحبايبه، منشان هيك استرجع حمدي تنكات السمنة يللي باعها للناس. وأصبح ملعوب أبي محمود على كل شفة ولسان!!.

عقب أبو العز على ذلك:

- **أبو العز:** وهلأً إجا دورك يا أبا عمر لحتى تلحس اللحسة يلّلي حضّر لك إياها صاحبك أبو محمود، وتلطم وتقول يا خربان بيتك يا أبو عمر راح الخمير والفطير وصفّيت عالحديدة!!.

لكن أبو عمر لم يسلّم بما وصل إليه أبو العزّ، عزم السفر إلى الدير ليقتصّ من أبي محمود، لكن هيهات هيهات فقد سبق السيف العزل، فأبي محمود انقلبت عليه حلّة السمنة التي يضربها بالشحمة فاحترق وما لبث أن فارق الحياة!!..

فأكلها أبو عمر بجنابه وراحت عليه وأصبح على كف عفريت ويكاد ينطبق عليه المثل الشعبي القائل:

«نصحتك ما انتصحت الطبع الردّي فيك غالب ذنب الكلب أعوج ولو حطّوه بميت (مائة) قالب[٦]!!..»

الحواشي والإيضاحات:

١ - ولدنة الحرام: الأذى عموماً. دمعة ماء: قليل، بعض. هيك بدّك: هكذا رغبتك. حنتر: أصرّ. تعليقة.. سلتة: بلا مقابل. شبك: ماذا حلّ بك. تعا: اقدم. شو بدك: ماذا تريد. تنفيخة: عنوا تسلاية. يطلع من قحف راسه: كناية عن الأحكام في ترتيب ذلك المقلب. من كعب الدست: أسفل الإناء أو قعره: أرادوا الشدّة في أثر المقلب. يصوي صوي: بلا حراك. فروطتو: كامل الانهيار.

٢ - شلون هيك: كيف كان ذلك. ما كذّب خبر: سارع. قوام: بالعاجل. صامد: واضع. يروح دبلّكه: يفارق الحياة. يبلع إصبعته: كناية عن مفارقة الحياة. متلّم: غير حادّ. شمّامة القطران: قطعة قماش ملوّنة بالقطران تربط وتعلق برقبة الولد الذي جرى ختانه، فيشم تلك القطعة إذا تعرض الولد لرائحة قد تنكيء الجرح. ورش: كثير الحركة. يفعي بالحارة: يلعب. بيعربش كالمكلّس: كناية عن كثرة حيوية الولد. شو مو مسميّن: عنوا بذلك والد الولد وأمه لدى جماعهما. ما خلاّه يتلحفظ: بدون حراك.

٣ - يوصل لك إياها باحسن: عنوا بباب رزق أحسن. على قماري الحمام: خالي الوفاض. همشريتي: صاحبي. فاير دمّه: ألمّ به عصاب. منشان: من شأن. ما إله طعمة: غير جدير. فاير دمّه: حائق، عصبيّ. دريت: علمت. لحا يطير عقلي: كناية عن شدّة الانفعال. القدوم: من أدوات النجارة. بزقنا: بصقنا.

٤ - بس: لكن، شرط. الألابنضة: الخداع. وقت بيجي الصبي..: كناية عن الاستمهال. عادت المياه إلى مجاريها: كناية عن التسامح بين الجانبين. رأبتك: رقبتك. إيدي على راسك: كناية عن الرغبة في الوصول إلى الحقيقة. هيّ: هذه. قدام: لدى. شوي: قليلاً. كازي خلص: كناية عن عدم

القدرة على تحمّل المزيد. حلق بأدانك: بأذنيك، والمقولة كناية عن طلب الاعتبار بما يقال.

٥ - أجير بكعكة: مرتبة مدنيّة بالحرفة. مطوّل باله: كناية عن الصبر والحلم. ما بيفت خبز: كناية عن عدم القدرة. ببلاش: بلا ثمن. ما دارت لك: بمعنى عدم الاستيعاب. الكنافة المدلوقة، كنافة مجلله بطبقة من القشدة. الحارة: الزقاق. يعمل بالرز بصل: أرادوا الخروج عن المألوف. كلّك مفهومية: على درجة كبيرة من الفهم. أهلية بمحلية: بمعنى لا ناقد ولا منقود ولا ضغائن. هون: هنا. تخينة: أرادوا: غير محتملة.

٦ - من إيمتى (متى) كنّا والشمس ترقعنا: أرادوا الاستنكار المبطّن. طلاع من هالأبواب: كفاك أكاذيب.. ما عاد مشي خشبه: لم يعد يثق به أحد. شِقّ من الوجه: كناية التواري. يجلّس حاله: يحسّن أوضاعه المالية. هيك شي: نحو ذلك، شي كهذا. شريك البحرة: كناية عن التمثل بمن يبيع الحليب المغشوش أو المخلوط بالماء، كونه يغرف من البحرة (البركة) مجاناً ويخلطه مع الحليب، ليباع بسعر الحليب. صفّى عالحديدة: كناية عن الإملاق. أكلها بجنابه: تحمّل عواقب فعله.

١٠- الدأنيف..

١ - العرق دساس.

٢ - المشيخة.

٣ - الحاصود.

٤ - جزاء وقافاً.

٥ - الشيء بالشيء يذكر.

٦ - كون بدّ يعمر.

الشخوص المشاركة:

١ - كبارية الحارة: أبو دياب، أبو العز، أبو عجاج، أبو رياض، أبو راشد وأبو أحمد.

٢ - أبو عمر الحلاق.

٣ - الشيخ حمدو.

٤ - النسوة: أم العزّ، أم سعيد، سعاد، زهرية.

٥ - أولاد الحارة حول الشيخ حمدو.

١٠- الدأنيف

١- العرق دسّاس:

التقى الكبارية على عادتهم عصر ذلك اليوم في جناح القصر من المقهى، لم يكن شاغل لهم إلا ما آل إليه حمدو المعروف بالدأنيف أو المَلحْمس.. لم يكن هذا الملحمس على بال.. فقد ظهر في الحيّ على حين غرّة، وما لبث أن اشتهر وأصبح على كل شفة ولسان ويشغل بال الآخرين. وآخر ما كان من أمره أن أحاط به الأولاد عند المصلّبة من السوق وهم يتصايحون:

شيخ حمدو.. شيخ حمدو دأنك فين؟!.

شيخ حمدو دأنك فين.. دأنك فين؟!.

شيخ حمدو دانيف ونصف دأنك فين.

دأنك بالبيبة!!.

شيخ حمدو تش تش.. تش تش..

بعرو بعرو لَيّك.

والشيخ حمدو يترنّح في ذلك أمام الأولاد يمنة ويسرة حتى وقع أرضاً فأخذ الأولاد من حوله يشبعونه ركلاً وبصاقاً.

سأل أبو عجاج الحضور من الكبارية بقوله:

- **أبو عجاج:** هلاًّ يا جماعة، هالحمدو مين هاد؟ إن شاء الله يلّلي..

فقاطعه أبو العزّ:

- **أبو العزّ**: أي سيدي هوّ بذاته بشحمه ولحمه والله لا يقيمه.. بيستاهل اكثر من هيك لعنة الله عليه، شرشح المشايخ..

- **أبو عجاج**: أي والله ما كان ناقصنا غير هالبازاونك يعمل لنا شيخ.. وفوق هيك شو؟!! ركبت معه وصار معه مثل ما بيقول المثل: رزق الهبل عالمجانين.

عقب أبو دياب المختار على ذلك بقوله:

- **أبو دياب**: يا جماعة الشغلة مو هيك.. بدنا نعرف شلون وصلت المواصيل مع هالدأنيف لهون.

- **أبو رياض**: هادا يا سيدي حمدو عمره ما كان شيخ.. طول عمره سرسري اندبوري.. عطّال بطال، عم يتلحوش من شغلة إلى شغلة..

علق أبو دياب على ذلك بقوله:

- **أبو دياب**: اذا كان هيك.. شغلة حمدو هيّ فيها إنّ!!.

رد أبو رياض بقوله:

- **أبو رياض**: عن إذنك مختار، شغلة حمدو هيّ ما فيها إنّ ولا شي.. كلّ (جميع) نسوان الحارة مالهن سيرة غير سيرة يلّلي خلّى حمدو يحلق ذقنه. وهي أبو العزّ إسألوه شو قالوا عنّه أهل بيته.. أما شلون صار حمدو شيخ، خلينا نسأل أبو عمر.. حاكم أبو عمر ما في شغلة بتصير بالحارة إلاّ وبيعرف عنّها القير والقراقير.. وخص نصّ شغلة مثل ذقن حمدو.

وإذا بدكن خلّي أخي أبو العزّ يحكي لكن، عم بين (ريثما) ما يجي أبو عمر، شو سمعوا أهل بيته عن حلاقة ذقن حمدو. حاكم هالأفندي (حمدو) وقع وراح دبلّكه، وما حدا (أحد) سمّى عليه، وما سمع فيه حدا إلاّ وقال: خرجه، بيستاهل والله لا يقيمه، لأنّه يللي بيعمل بإيده.. الله يزيده.

ما ان انتهى أبو رياض من كلامه حتى سأل أبو دياب أبا العزّ عن رأيه في ما قاله أبو رياض، وأن يحكي للحضور الذي أدّى بحمدو إلى ذلك المصير. ولم يكد أبو العزّ يبدأ بما عنده حتى كان أبو عمر يلقي السلام على الحضور. فقال له أبو دياب:

- **أبو دياب:** اشهد بالله يا أبو عمر إنّك إبن حلال، هلأّ كنّا بسيرتك وقلنا لو بيحكي لنا أبو عمر منين إجا هاللعين حمدو للحارة وشلون صار شيخ[1].

٢- المشيخة:

أجاب أبو عمر ملبيّاً، ولكنه تخوّف أن يكون ذلك مدعاة لزعل أحد، فلما أباح الجميع لأبي عمر حريّة الكلام عن أصل وفصل حمدو، قال:

- **أبو عمر:** والله يا جماعة حكاية هالزلمة عجيبة!!. شلون هيك نط من القفة لأدانها وصار شيخ، شغلة ما بتنزل لا بميزان ولا بقبان بسّ (لكن) أنا لحا أحكي لكم يللي سمعته عن هالزلمة، لأنّي أنا ما شفت، بس سمعت. ومعلومكم إنّه ما حدا (لا أحد) بيجي بباله، الواحد هيك طبّ غمّ يقوم يعمل شيخ، فالمشيخة إلها أصولها ومكانتها، ومو كل من بيلف على طاقيته ذراعين قماش صار شيخ. ويللي سمعته ان حمدو كان مسبّع الكارات اشتغل وقيّد (قميمي) بحمام القرماني، واشتغل أجير حمصاني عند مجيد الفوال وسايس بسوق الخيل عند المسلخ، وبياع بقدونس وفجل بسفل (أسفل – بداية) سوق الهال.. يعني شو بدي عدّ (عدّد) لكم، يفدح (يفضح) حريمه ما خلّى شغلة ما اشتغلها.

ولما سأل الحضور من الكبارية عن كيفية تحول حمدو إلى شيخ أجاب أبو عمر بقوله:

- **أبو عمر:** مالي جايبكم بالحكي.. بقآ يا سيدي، مرّة حمدو كان مارق بالجامع الأموي، قام شاف ناس دراويش قاعدين عند مقام سيدنا يحيى عم

يلقّطوا رزقهم من هالناس، قام وجد حمدو العقدة بيناتهم شغلة هيّنة راسمالها يرخي ذقنه، ويلفّ ذراعين قماش على طاقيته، ويحط سبحة الفيّة (ألف حبّة) برقبته، ويسحبها على هالنسوان، لهيّ (هذه) بيقرأ لها وهيّ بيكبسها، وهي بيدعي لها.. ومعه معه كبرت الحكايا عنده وعمل حاله (نفسه) من أهل الحظوة.

ولمّن (عندما) أخذت إيده، ومشي شغله وصارت النسوان تجي لعنده، قام صدّق حاله.. وما شافته الناس إلاّ بخان الزيت بسوق مدحت باشا، عمّ (يقوم) يكبّس هالنسوان. ويعمل لهيّ (هذه) رقوّه، ولهي جلبة لحتّى يرجع زوجها لعندها، ولهديك (تلك) يحبس لها التابعة، ولغيرها التمليحة، كما قد يعمد إلى وصف دواء لها للحبل..

وحتى يبعد عن عيون الناس من حوله، عمد إلى الانتقال إلى بيت في حارة نزلة طاحونة السجن، حيث انفرد ما شاء له أن ينفرد نصباً واحتيالاً، فضلاً عن التعدّي على أعراض من يأتين إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلا!!..

وأردف أبو عمر قوله:

- **أبو عمر**: وإذا كان لحمدو أن يصول ويجول، فإن الله جلّ شأنه كان له بالمرصاد. أما شلون (كيف) وصل حمدو إلى ما وصل إليه. فأخي أبو العزّ وأخي أبو رياض، أدرى منّي في ذلك. حاكم يلّلي بيعرف بيعرف ويللي ما بيعرف بيقول كف عدس على حد قول المثل الشعبي.

فما كان من أبي دياب إلاّ أن طلب إلى أبي العز أن يوضح للحضور من الكبارية سبب المصير الذي آل إليه حمدو، من ذلّ وهوان، ومدعاة لسخرية الأولاد.

أجاب أبو العز أن حكاية ذلك اللعين عرفتها أم العزّ من جارة لها كادت تكون كنّتها إحدى ضحايا ذلك الدأنيف (حمدو).

٣- الحاصود:

لم يكن حمدو (الدأنيف) يتوقّع ما آل إليه من ذلّ وهوان، وإذا كان الله يمدّ الظالمين حتى يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فإن ذلك الدأنيف (حمدو) لم يتوان عن محاولة الولوغ في أعراض (شرف) من يلجأن إليه، طلباً للخلاص من ما تعاني الواحدة منهن من همّ وغمّ وتخوّف مما قد تتوقع أن يحيق بها ويفسد وضعها مع زوجها أو سلفتها أو حماتها ومن في حكم ذلك، وانعكاس ذلك على حياتها الزوجية.

فقد طلبت أم سعيد إلى جارتها أم العزّ أن تتناول معها قهوة الصباح، ردّاً لزيارة لها لأم العزّ، وبينما هما تتناولان القهوة، روت أم سعيد ما كان من أمر كنّتها سعاد والشيخ حمدو. ذلك أن أم سعيد طالما تمنت أن يرزق الله ابنها سعيد بصبيّ من كنّتها سعاد يملأ عليهم حياتهم.. وكيف أنها طلبت إلى كنتها سعاد أن تقصد الشيخ حمدو عسى أن يكون لابنها سعيد ذلك المولود الذكر.

قالت أم العز لجارتها أم سعيد مستغربة:

- **أم العز:** شلون هيك أختي أم سعيد، أي والله قصة بتحطّ العقل بالكف.

ردت أم سعيد قائلة:

- **أم سعيد:** والله يا أم العز مالك علي يمين هادا يلّلي صار، وهيّ جارتنا زهرية راحت هيّ واياها لعند هالمأصوف الرقبة، ولحتى تصدّقني لحا (سوف) أنادي لك إياها، خليها تحكي لك شو صار بين كنّتي سعاد مع هالمقوّص حمدو!!..

ما كذبت زهرية خبر، قالت أنها شاهدت ذلك بأم عينها ولو لم تكن سعاد قدّ حالها لكان صار يلّلي ما بينحكى.

وأردفت زهرية قولها:

- **زهرية:** ولي على قامته شو ابن حرام، لك شو بدها تحكي الواحدة لتحكي.. أي والله شيء ما بينحكى، وما إلك عليّ يمين إني كل ما بتذكره بيتزنزل (يتزلزل) بدني منه.

ولما سألت أم العزّ زهرية عن ذلك أجابت زهرية:

- **زهرية:** هادا يا ستّي (سيدتي) لمن فِتنا لعنده أنا وسعاد، كان قاعد وراء منقل النار، وهوّ عمّ يرشّ على النار شي بخور، وشي برادة حديد وشي كبريت ناعم فتتوهج نار المنقل ويملأ الدخان الغرفة.

وما أن شعر هالمحورق بدخولنا حتى همهم قائلاً:

- **حمدو:** هم.. م م.. م م م. يا لطيف يا لطيف سلاماً قولاً من رب رحيم، سلاماً قولاً من رب رحيم.. هم.. م م م.. هادا انت يا سعاد بنت حسنيّة.. ليش لهلاًّ (الآن).. دستور حاظور يا أسيادنا لا تاذوها.. يا خدّام بعدوا عنها.. إجت لحالها.

قالت سعاد للشيخ متسائلة:

- **سعاد:** شو فيه شيخي؟.

أجابها حمدو انت يا بنتي مرصودة، عاملين لك عمل لحتّى ما تولدي صبي، وفوق هيك زوجك لفيان على وحده غيرك صفاتها.. حلاتها..

أجابت سعاد: ولي على قامتي على هالمصيبة.. مين هيّة شيخي.

أجاب حمدو:

- **حمدو:** نته.. نته.. هم.. م م م.. خلص خلص مثل ما بدكن.. مثل ما بدكن.. يا ودود.. يا ودود.

ولمّن (عندما) عاودت سعاد تترجّى وتتوسل إلى حمدو بقولها:

- **سعاد**: الله يخليك شيخي ببوس (أقبّل) إيديك ورجليك مين هية.

قال حمدو لسعاد:

- **حمدو**: انت روحي هلأ لحتى شوف شو بقدر إعمل.

ولما تدخّلتُ وطلبت إلى الشيخ أن يساعد سعاد.. بركي (ربما) يراضي لها الأسياد، لأنها بنت حلال ولا تستاهل. قال لي:

- **حمدو**: انت شو دخلك.. وكمان شو يلّلي فوّتك لهون.. انت خليكي بالعتبة.. هنيك تحت.. واوعي تطلعي لهون تاني مرّة..

قلت له أمرك سيدنا.. تاني مرّة ما لحا عيدها.

سألت أم العزّ زهرية بقولها:

- **أم العزّ**: يعني زهرية خانم ما صار معكن شي بهالروحة لعند الشيخ.

أجابتها زهرية:

- **زهرية**: الحق معك جارتنا هالمرة ما صار شيء بس نحنا (نحن) لمن رحنا تاني مرّة سألتني سعاد: شو بدي قول للشيخ إذا سألني ليش عم إجي لعنده.

قلت لها:

- **زهرية**: يعني شو بدك تقولي له، قولي يللي صاير معك، يعني قولي له عندك خمس بنات وحماتك عمّ تنقّ على إبنها (زوجك) منشان الصبي، وإنّك خايفة لتقوم حماتك تدير راس ابنها وتجيب لك ضِرّة!!.

فلما دخلت سعاد إلى الشيخ، جعل زهرية تبقى في عتبة الغرفة ونادى إليه سعاد وهو يرش البخور وتوابعه بالمنقل الذي أمامه فلما كانت عنده أجلسها في مقابلته، وعاود ذرّ البخور في المنقل وهو يقول:

- **حمدو:** حبس حابس.. حبس حابس، حجر يابس وشهاب عابس.
هم.. م م م.. دستور.. دستور حاظور دستور من خاطركم يا اسياد.. وانتم يا خدام بالعجل العجل.. العجل العجل، ألوحٍ ألوحٍ، ألوشٍ ألوش، إلعنوش كل مين يوقف بطريق عرس ابن الملك الأزرق على الإنسيّة لحتى تجيب (تولد) لزوجها الإنسيّ الصبيّ يلّلي بدّه إياه. بالعجل العجل واذا حدا (أحد) ما بدّه يصير هيك، بالعجل باخدام بالعجل إحبسوه إلى يوم الدين (القيامة)!!.

ومنشان هيك يا سعاد خدي من إيدي هالسوداية (قنّينة زجاجية)، بدّك ترشرشي منها بكل إرنة توقع عليها عين زوجك، عالحيطان، والفرشة وعلى زعرور الباب، وتسقيه منها وكمان (أيضاً) خذي هالحجاب منشان تحطّيه تحت مخدّة راس زوجك لحتى يصير مثل الخاتم باصبعتك.

وفوق هيك لازم تجيبي لي معك، درهم حصلبان ومثل حكايته مسكة (مسكته) وسبع حبات كزبرة يابسة، وسبع بعرات فارة تازة، ولا تنسي تنتفي لي سبع شعرات من تحت باط (إبط) زوجك اليمين، ومثلهن من تحت باطه الشمال، وسبع شعرات تانيات من داير سرّته. وبعدين بتحرقي هالشعرات، وبتاخدي الصّقوة تبعهن، وبتزحنيهن مع البعرات والكزبرات والمسكة مع سبع كمشات سميد، وبترفعهن على النار بشي سطل (إناء) ماء لحتى تصير الدنية نص الليل وكل ما نقصت الميّ (المياه) بتزيديها، وبتجيبين معك بكرة.. بس بيني وبينك بدّك تجي مغندرة مسألة مثل العروس واكثر، لأنه بدنا نلعب على ابن الملك الأزرق ملعوب لحتى نخلّصك منه. وأنا لحا حاكي (أحكي) لك الاسياد منشان هيك، ولحتى تحلّ عنّك حماتك يلّلي من وراها كل شي عم يصير معك!!

سألت أم العز زهرية عن كيفية معرفة الشيخ حمدو بداخلّية سعاد.. أجابت زهرية[٣]:

- **زهرية:** والله يا جارتنا أنا مثلك سألت حالي هيك سؤال، بسّ عرفت أنه الشيخ كان حاطط واحدة داسوسة (جاسوسة) لحتى تنقل له كل أخبار الجايين (القادمين) لعنده.

ولما طلبت أم العزّ من زهرية أن تحكي لها شو (ماذا) صار بعدين. عمدت زهرية إلى ايثار السكوت، وإزاء إصرار أم العزّ وموافقة حماة سعاد. قالت زهرية:

- **زهرية:** والله يا جارتنا يعني شو بدي إحكي لإحكي؟!!. في أشياء ما بتتحكى، الشوفة مو مثل الحكي وكل شي بقدر قوله، إنه هالابن الحرام لعبت عينه على سعاد!!.

صعي سعاد قالت له، زوجي ما عاد بدّه صبي وإنها ما عاد بدّها منه (الشيخ) شي، والله يخلّي لها هالبنات وحماتها رضيانة بيلّلي كتبه الله لهم إياه، لكن إصرار الشيخ حمدو على سعاد بحجّة إنه بيخاف عليها من ابن الملك الأزرق من أن يقوم يخطفها ويخليها تحت الأرض إلى يوم الدين.

ومن شان هيك قالت له سعاد:

- **سعاد:** إذا كان هيك مثل ما بدك، بس قبل ما روح شيخي بدّي إسألك سؤال زغير (صغير). إذا جاوبتني عليه لحا صير إجي لعندك كلّ يوم ووقت ما بتحبّ، ولحا تشوف على إيدي خير كتير.

قبل حمدو من سعاد أن تسأله ما تريد على أن تأتي لعنده في اليوم التالي مغندرة مألمسة مثل العروس. يعني عروس وهيك سألت سعاد الشيخ بقولها:

- **سعاد:** شيخي يعني لا حياء في الدين، والله أنا مستحية من هالسؤال، بدّي إسألك: إنت شيخي وقت بتنام بتحطّ ذقنك تحت اللحاف يمّا فوق اللحاف.

أجاب حمدو بأنه لم يخطر بباله مثل هذا السؤال، وسيتأكّد من ذلك الليلة ويوم غد تأتيه عروس مثل ما قال لها وسيجاوبها على هالسؤال (هذا).

قالت أم العز لسعاد:

- **أم العز**: يا معّوك، شو إجا على بالك من هيك سؤال.

أجابت سعاد: أنا إجا ببالي هالسؤال لحتى خليه يتربّى ويبطّل تلعب عينه على بنات الناس، وياكل بعقلهم حلاوة!!.

فسألت أم العزّ زهرية:

- **أم العزّ**: قولك زهرية خانم هالمنظوم أكل الطعم.

أجباتها:

- **زهرية**: أي والله أكل الطعم وما حدا (أحد) سمّى عليه، وبإذن واحد أحد، لحا يمشي عالعجين وما يلخبصه، لأنه يلّلي بيعمل هيك حركات بيستاهل والله لا يقيمه، لك الابن الحرام ما كانت بتجي لعنده واحدة إلاّ وكان يعمل لها شي كان وشي ما كان، لحتى ما تعود تعرف راسها من إجريها، ويكون آخذ منها ما فوقها وما تحتها إذا ما مدّ إيده عليها!! لأنه مثل ما منعرف أعراض الناس ما لها سايبه.

٤- جزاء وفاقاً:

كانت ليلة الشيخ حمود تلك، ليلة لا يحسد عليها، فهو متلهف ليوم الغد بما سينال من حشمة سعاد، لكن سؤال سعاد بشان ذقنه أرّقه ولم يجد له جواباً، فقال في نفسه:

يفدح (يفضح) حريمها شو بدها من هالسؤال، شو إجا (جاء) ببالها. قولك حتى لا تشوّكها ذقني.. وبعد هذا كله قال لنفسه: هلاًّ قوم نام ولبكرة (غداً) بيفرجها الله. وما كاد يستلقي في الفراش ويغطّي جسمه ووجه باللحاف

حتى ضاق نفسه.. فرفع اللحاف عن وجهه عسى أن يكون ذلك أنشط له. لكنه شعر بالبرد، فأعاد الكرة، مرّة ذقنه فوق اللحاف وثانية تحت اللحاف حتّى أصابه القلق ولم يعد راغباً في النوم فقال (لحاله) لنفسه:

شو هالشغلة يا حمدو، إذا حطيتا ذقننا تحت اللحاف يضيق نفسنا (صدرنا) ونشّوب. وإذا خليناها فوق اللحاف منبرد والله شي بيحيّر.. هالبنت الحرام.. شو بدها من هالسؤال.

وبلا طول سيرة، قرّ رأيه على البحث في الكتب علّه يجد جواباً، وهكذا أخذ يبحث في هذا الكتاب وذاك الكتاب حتى قارب بزوغ الفجر، فإذا به يقرأ في حاشية أحد الكتب: أن من زاد طول لحيته (ذقنه) على مقبض الكف، فقد مسّه عارض من الجنون.

أمسك حمدو ذقنه فوجد أن بضع شعرات منها تطول على مقبض كفّه، بحث عن مقص يقصّ به تلك الشعرات، فلم يجده، فتوجه إلى السراج (ما يعرف بالكاز) ليشلوط (يحرق) تلك الشعرات.. وهكذا امتدت النار إلى يده وأتت على لحيته بأكملها!!..

فهب كالمجنون يندب ويلطم وهو يقول:

له له يا حمدو، ليش هيك عملت بحالك؟ شو بدك تساوي بكرة قدام هالناس يلّلي جايين لعندك؟!!..

سألت أم العزّ زهرية قائلة:

- **أم العزّ:** وبعدين شو صار.

- **زهرية:** يعني شو بدّه يصير، رحت أنا وسعاد لعند حمدو. خلعت سعاد الباب بقدمها وهي تصيح والحاضرات من ورائها:

وينك حمدو السرسري، حمدو العواطلي.. خود هي الوصفة إلبسها براسك وتزهرمها لحالك.. ذقنك فين بعد أمك؟ يا ابن الحرام يا خرّاب البيوت العامرة!!..

عندئذ قالت أم العز:

- **أم العز**: ينتفوكِ إنت وإياها، منين (من أين) إجتكن هالجسارة!!.

أجابت سعاد:

- **سعاد**: والله يا خالتي المجروح الله بيكون معه، وما حدا (أحد) بيقدر يوقّف بوجهه.. وهيك ما شفت حالي أنا وهالنسوان يلّلي (اللواتي) كانت جاية لعند حمدو.. إلا طابّين بخوانيقه، ونازلين فيه على قد (قدر) ما نقدر. وكل واحدة عم تقول له وين (أين) ما له عم يوجعك!!.

عقّبت أم العزّ على قول سعاد قائلة[٤]:

- **أم العزّ**: أي والله الحق معكن، وبعدين شو بنات وشو صبيان هادا (هذا) كله بأمر الله، والواحد ما لازم يعترض على حكم الله. ورب العالمين قال: (يهبُ لمن يشاء إناثاً، ويهب لمن يشاء الذكورَ، ....ويجعل من يشاء عقيماً إنّه عليم قدير)[٥]. صدق الله العظيم.

ومنشان هيك لازم الواحدة تحط عقلها براسها، وتقبل هيّ وحماتها وزوجها يلّلي كتبه رب العالمين، لأنّه يللي كاتبه بدّه يصير، وكل مرّة ما بتسلم الجرّة.

عقبت أم سعيد على قول جارتها أم العزّ قائلة:

- **أم سعيد**: أي والله أختي أم العز، يلّلي قلتيه عين العقل، وبيني وبينك رب العالمين رزق ابني مع كل بنت رزقة الله مولاها والحمد لله ما ناقصنا شي.. مو هيك يا سعاد.

أجابت سعاد:

- **سعاد**: أي مرت (زوجة) عمي والله ماله ناقصنا شي.

٥- الشيء بالشيء يذكر:

ما كان من أمّ العزّ إلاّ أن عقبت على قول أم سعيد وكنّتها سعاد مؤكدة أنّ الخلقة من الله جل وعلا، وما باليد حيلة. ثم ما لبثت أن قالت مخاطبة أم سعيد:

- **أم العزّ:** بسّ بتعرفي يا أم سعيد هالشغلة ذكّرتني بجارتنا أم كاسم، الله يخلي لها ياهن، عندها سبع صبيان والله ما رزقها بنت، المسكينة حبّت هديك السنة تروح عالحج.. عمل لها زوجها هالباسبورت (جواز السفر) وحضّرت حالها لكل شي.. بس لمن راحت لحتى تاخذ الإبرة (حقنة) يللي بياخذها كل واحد رايح عالحج.. ورجعت، لقت (وجدت) هالبيت عايم عوم، الفرشات يللي بيناموا عليها منكوته. والمطبخ عايم وما فيه إرنة توضع إصبعتك وأرض الدّيار كلها مليانة بالورق تبع الشجر والغباير بكل إرنة.. وهيك قالت هالمخلوقة (أم كاسم) لحالها إن الله حق وتمنّت لو كان الله رزقها شي بنت تعينها على كبرتها!!..

٦- كون بدّه يعمر:

ما أن سمع الحضور من الكبارية قصة خلفة سعاد للبنات وما آل إليه حمدو الدأنيف.. عقّب أبو دياب المختار على ذلك بقوله:

- **أبو دياب:** شايفين يا جماعة.. يا ويله يلّلي ما بيخاف الله!!. بعدين لك عمي شو بنات.. وشو صبيان، كلّه خلقة الله.. كون بدّه يعمر ومو على كيفي ولا على كيف حدا (أحد).. وهالشي يللي سمعناه لازم كل واحد منّا يحطه حلق بإذنه.. لأنّ كل شي بيد رب العالمين!!.. ولحتى نعرف أنه مو كل واحد لف على طاقيته (العرقيّة) ذراعين قماش صار شيخ.. هاد شي حرام، الشغلة مو لعبة، وإذا كان العلماء ورثة الأنبياء ما لازم كل واحد إذا إجا على باله يعمل شيخ (مثل هاللعين حمدو) يلف لفة تحتها قرود ملتفّة!!

وينصب عالعالم، الشغلة بدها خوف من الله. بعدين بيحسّب الناس كل المشايخ شغل عونطة شروى إحسان محسوبكم الدأنيف الله يسوّد وجهه.

عقّب أبو راشد على أبي دياب بقوله:

- **أبو راشد:** عم تحكي جواهر أخي أبو دياب.. بسّ ما لك شايف إنّه وجعنا راسنا بهالقصّة تبع حمدو الزفت؟!.

- **أبو دياب:** أي والله أخي أبو راشد، ومنشان هيك يا ريت يسمّعنا أبو الروض شي غنّية طقطوقة يعني نقدر نخلص من هالجو.

كان رد أبو رياض بالإيجاب، لكنه طلب إلى الحضور أن يردّوا معه، خصّ نص وأن هالغنيّة التي سيغنيها لهم من نشوة الماضي وبدها مين يرد مع يلّلي لحا يغنّيها..

وسرعان ما حضر عبودة وبيده العود، فأخذه أبو رياض وشرع بالغناء.

- **أبو رياض:**

البنـــــــت الـــــــشلبية حلـــــــوة وشـــــــامية

يحلالـــــــي قوامـــــــك يـــــا نـــــور عينيّـــــا

- **الحضور:**

البنـــــــت الـــــــشلّبية

- **أبو رياض:**

لبـــــــست حلقهـــــا وشـــــلحت حلقهـــــا

ربـــــــي خلقهـــــا وبـــــــدها تجنّنـــــــي

- **الحضور:**

البنـــــــت الـــــــشلّبية

- أبو رياض:

لبـــــــست البنّـــــــي وشـــــــلحت البنّـــــــي

قـــــصدها ومرادهـــــا انهـــــــا تجننّـــــــي

- الحضور:

البنــــــت الـــــــشلّبية

- أبو رياض:

لبـــــــست المآســـــها وشـــــلحت الماســـــها

وبوســـــط صـــــديرها شـــــي بيـــــــدوبني

- الحضور:

البنــــــت الـــــــشلّبية

- الجميع:

البنــــــت الـــــــشلبية حلـــــــوة وشـــــــامية

بحلـــــى لـــــي قوامهـــــا يـــــا نـــــور عيـــــوني

صفّق الجميع لأبي رياض على هذه الأغنية، وعقّب على ذلك أبو دياب قائلاً:

- **أبو دياب:** أي هَهْ.. الله يسلم هالتم يا أبو الروض.. تعيش وتقول.. أي والله خلّيتنا ننسى فصول هاللعين الدأنيف.

الحواشي والإيضاحات:

١ - المصلّبة: ساحة السوق. البيبة: دورة المياه. بعرو ليك: مقولة سخرية. مين هاد: من يكون. يلّلي: الذي. أكثر من هيك: أكثر من ذلك. البازاونك: الحقير. الهيل: البسطاء الأغرار. لهون: إلى هذا الحدّ. اندبوي: معدم. القير والقراقير: كل صغيرة وكبيرة. دبلّكه: في حال يرثى لها. ما حدا سمّى عليه: لم يعره التفاتاً. هلأّ: الآن. شلون: كيف.

٢ - نط: قفز. من القفّة لأدانها: مثل شعبي يطلق لم يتخطى كل شيء للوصول إلى مبتغاه. أهل الحظوة: عنوا بذلك أهل المكانة الممتازة. حاله: نفسه. التابعة: عنوا التي تتبعها من غير عالم الإنس. طاحونة السجن: محلة بحي الشاغور قريبة من سوق الصوف. هادا: هذا. هيّ: ها هي.

٣ - المأصوف: المقصوف. قد حالها: على قدر جيد من الوعي. ولي: ندبَه. ليش: لماذا. هلأّ: الآن. العتبة: فسحة يرقى منها بدرجة أو أكثر إلى الغرفة. تدير راسه: تجعله يقبل. إرنة: قرنة، مكان. زعرور الباب: المفصل الذي يتحرك عليه الباب. مشان: لأجل. فوق هيك: زد على ذلك. كمشات: حقنات. تحلّ عنّك: تدعك وشأنك.

٤ - هيك سؤال: سؤال كهذا. داسوسة: تتجسّس. صعي: صحيح. لحا: سوف. يما: أو. الطعم: أرادوا المقلب. تزهرمها: تناولها. لحالك: لنفسك.

٥ - سورة الشورى الآية (٤٩ -٥٠).

٦ - يحطّه حلق بإذنه: يتخذه عِظّة. بعدين: بعدئذ. شروى. احسان: مثل. التمّ: الفم.

١١- قوم تعاونوا ما غلبوا والمعونة بالله!!.

١ - يللي استحوا ماتوا.

٢ - القدوم.. والمنشار.

٣ - الضربة القاضية.

٤ - طلع بظمة.

٥ - قلب الأم.

٦ - عود اعوج وإحكي جالس.

٧ - كشاش الطيور.

٨ - بدل ضايع.

٩ - أمر غير مباح.

١٠ - الحكاية فيها إنّ.

١١ - السيران.

١٢ - عين الحسود.

١٣ - المصاري وسخ الدنية.

الشخوص المشاركة:

١ - الكبارية: المختار أبو دياب، أبو فياض، أبو رياض، أبو عجاج، أبو العز، أبو أحمد، وأبو راشد.

٢ - أبو عمر الحلاق.

٣ - أم نعيم.

٤ - أم حسني.

٥ - أبو مستو.

٦ - عبودة صانع المقهى.

١١- قوم تعاونوا ما غلبوا والمعونة باللّه!!.

١- يللي استحوا ماتوا:

حاول أبو عمر أن يملص (يغادر) من السهرة مع الكباريّة في جناح القصر من المقهى، تحسبّاً من أن يتعرّض للمساءلة حول ما ينوي القيام به مع أم نعيم، وبخاصة بعد ما حلّ به من أحداث موضوع الخوف بيقطع الجوف.

وإذا استنكر المختار أبو دياب وصحبه من الحضور رغبة أبا عمر في مغادرة السهرة، فإن أبا العز سرعان ما تصدّى لأبي عمر، برّر أبو عمر أن سبب رغبته مغادرة السهرة، إنما هوّ إرهاقه طوال اليوم، بحيث خلص كازه، ولأنّه يشعر أنّه غير منعنشاً ومتداعي الأوصال..

قال أبو العز لأبي عمر:

- **أبو العز:** الله لا يسلّم فيك ولا عظمة.. صعي (صحيح) يللي استحوا ماتوا.. لك منظوم عيب واستحي، أحسن ما قوم آجر فيك، انت قاعد بين رجال.

تخوّف أبو عمر من أن يكون أبا العزّ على علم بما ينوي عليه أبو عمر مع أمّ نعيم. فقال لأبي العزّ:

- **أبو عمر:** أمرك أخي أبو العز أمرك.. كلّ شي إلاّ خاطرك، وأنا من إيدك هيّ (هذه) لإيدك هيّ.

فما كان من أبي العزّ إلاّ أن أرجأ ما كان عازماً عليه بحق أبي عمر، كون أبو العزّ يريد أن يتأكد من موضوع علاقة أبي عمر بأم نعيم. ومن ثم سيعمد إلى المؤاجرة بأبي عمر بما يستحقّ!!.

لكن معاودة أبو عمر إلى بيان رغبته بمغادرة السهرة جعلت أبو العز يقول له:

- **أبو العز:** لك لسّا بدّك تروح.. تروح روحك من دفّات صدرك.. ذوق بآ.. يمّا ما عاد عاجبك حدا (أحد) من الحاضرين؟!!.

سارع أبو عمر إلى التأكيد على احترامه وتقديره للحضور مبرراً أنّ رغبته في العودة إلى البيت إنما لكونه في حالة في التعب والإرهاق لا تحتمل..

٢- القدوم.. والمنشار:

قال أبو عجاج:

- **أبو عجاج:** اتركوه يا جماعة.. خلّيه يروح.. يعني بيحجّ الحج بلا أبو حلاوة!!. ربيّ ما أكثر خلقك(١).

اعترض أبو العز على فكرة أبي عجاج قائلاً:

- **أبو العز:** يا جماعة.. هالمنظوم يلّلي قدامكم (أبو عمر) عم يراغي عن الحقّ، لك يخرب بيت سنته بسبعة أرواح.. بدّه يروح لأنّه خايف حدا يعرف شو لحا يعمل بأم نعيم.

فلما أبدى أبو عمر استغرابه واستنكاره بأية معرفة أو علاقة بأم نعيم. أجاب أبو العزّ:

- **أبو العزّ:** لك أبو عمر طلاع من هالبواب (الأبواب) هاد بزّك (الثدي) وطحّان ما بيغبّر على كلاّس، أحسن ما اكشف للجماعة عن البير (البئر) وغطاه.. وقول للجماعة عن روحتك للحج مع أم نعيم!!.

طاش حجر أبو عمر من قول أبي العزّ، وحاول أن يترجّاه أن يكفّ عن هذا الموضوع، خوفاً من أن تذهب أم نعيم من بين يده.. ومن جهة أخرى فان

أبا عمر أنكر علاقته بأم نعيم، وأن ما قاله أبو العزّ لا يعدو عن كونه كلام بكلام ومن غير المعقول أن تقول فول ما لم تراه بالمكيول.. على حدّ قول المثل الشعبيّ.

طلب أبو دياب من أبي العزّ توضيح ما قاله حول علاقة أبي عمر بأم نعيم في موضوع الذهاب إلى الحج فقال أبو العزّ:

- **أبو العز:** أنو حجّ هاد؟!.. قول تعليقه، قول نصب واحتيال، وقول هاد ملعوب من ملاعيب أبي عمر.. وأنا إذا عم افتح هالسيرة بسّ منشان حط أبو عمر عند حدّه لحتى ما يورّط هالحرمة، ولأنه أبو عمر محسوب علينا، ووقت بيعمل عمل خايس بينحسب علينا، وهالحجّة بدّه يعمل منها أبو عمر سيكار وبيكار.. يعني بالألم تشرح أبو عمر لحا يروح عالحج قدوم ولحا يرجع منشار!!. وعلى مين، على حرمة مسكينة درويشه ما إلها حدا (أحد)[٢].

عندئذ قال أبو عمر:

- **أبو عمر:** يعني شو فيها.. بروح عالحج أنا وأم نعيم، وباخذ معي أم عمر.. يعني حرام.

- **أبو العز:** مين قال لك حرام الواحد يروح عالحجّ!!. بس انت يا أبو عمر من إيمتى غلستها (دقنك) بليفة وصرت نائب الخليفة. دستور من خاطرك، شلون صاير هيك وما لنا دريانين!!..

علّق أبو عجاج على قول أبي العزّ بقوله:

- **أبو عجاج:** والله يا جماعة مثل ما منعرف.. لا دخان من دون نار، وأبو عمر بهيك شغلات بياكل عليها بالدّين، وبدكن إيّاه ما يلحس إصبعته!!.

٣- الضربة القاضية:

ومن جهة أخرى فإنّ ما حدث في بيت المختار أبو دياب، كان بمنزلة الضربة القاضية لمطامع أبي عمر بثروة أو أموال أم نعيم، فقد كان المختار

يتناول قهوة الصباح مع زوجه عندما قرع باب الزقاق، استغرب أبو دياب، وقال محدثاً نفسه:

- **أبو دياب**: يا فتّاح يا عليم.. يا رزّاق يا كريم.. شوفي يا بنت الحلال مين.

فإذا بأمّ نعيم بالباب وبعد التأهيل والترحيب. ودعوة أم نعيم لتناول القهوة معهما، قالت أم نعيم للمختار:

- **أم نعيم**: أخي أبو دياب، انت مو بسّ (فقط) مختارنا، انت كمان (أيضاً) جار الرّضى وبتتأمن عالروح.. بدّي قول لك جارنا: إنّه ربّي نادى لي عالحجّ، معزومة لعنده.. ومن شأن هيك قلت لحالي ما لي غيرك حط عنده هالأمانة.. حاكم انت بتعرف أنه الرايح بايده والراجع بايد رب العالمين بعدي اسمه.. بآ (بقي) هدول صيغتي وشوية مصريّات (دراهم) مخبيتهن لوقت العازة، وهَيّ (هذا) سند الطابو (التمليك) تبع البيت.. الله يخليك حطّ لي إياهن عندك أمانة لبين (حين) ما إرجع من الحج، وإذا الله أخذ أمانته، بترجّاك تصرفهن عن روحي بسبيل الله، حاكم الدنية وأحوالها.. وهاد شرع الله، لأنّه مثل ما بتعرف، أنا ما عندي رجال ولا ولد أو تلد.

٤- طلع بظلمة:

فلما وصل الجدل مع أبي عمر إلى ما وصل إليه، وبالتالي محاولة أبو عمر الظهور بمظهر المنكِر لما نسب إليه مع طمع بثروة أم نعيم.. قال له أبو دياب:

- **أبو دياب**: شوف أبو عمر اذا انت لحا تظل هيك عامل حالك مالك طمعان بأم نعيم.. بدّي (أرغب) قول لك إنّه هالمستورة ما عاد معها البنكيرة (عنوا المالكانات) لأنه كل ما كان معها لحا يوزّع في سبيل الله إذا لم يكتب لها العودة من الحج.

بُهت أبو عمر من قول أبي دياب وطاش حجره، حاول أن يرغي ويزيد، لكن أبو العز ألجمه وأرغمه السكوت وختم قوله لأبي عمر بقوله:

- **أبو العزّ:** وهلاًّ شو رأيكم دام فضلكم يا شيخ سلته دستور من خاطرك؟! وهيّ طلعت بظمة (خالي الوفاض)، وصارت روحتك عالحج مع هالمخلوقة مثل ما بيقول المثل:

«خدمتك بلقمتك» وما عاد فيه (يوجد) غب على أبو موزة من أموال أم نعيم!!. بآ لمين صالي؟!!.. المخلوقة طلعت قد حالها.. ومن شأن هيك بدّك تخيّط بغير هالمسلّة مع أم نعيم[٣]!!..

بينما كان أبو عمر في هذه الحال، يأتي عبودة ويقول لأبي العزّ بأن بباب المقهى امرأة تسأل عنه فازداد اشتعال النار في أفكار أبي عمر، وقال لنفسه:

- **أبو عمر:** لهون وصلت معك يا أبو العزّ؟!!

٥- قلب الأم:

لم تكن المرأة التي كانت بباب المقهى أم نعيم وإنما أم حسني، النصّاب الذي وقفنا على أعماله من حيث ما كان أمره مع معلّمه أبا عادل ومن ثمّ مع أبي رمزي ومحاولته سلب أمواله، لولا أن استجار أبو رمزي بأبي العزّ. وقد توارى حسني عن الأنظار وانقطعت أخباره منذ ذلك الحين، الأمر الذي جعل والدة حسني تجدّ من البحث والسؤال عنه لدى كل من كان على صلة به، ولما عجزت عن الوصول إلى ابنها لجأت إلى أبي العز عسى أن يساعدها في معرفة أراضي ولدها، حيث أن ابنها حسني بعد مشكلته مع أبي رمزي والتي كان لأبي العز اليد الطولى بها، اختفى أثره ولم يعد أحد يعرف أراضيه. ابتدأت أم حسني كلامها لأبي العزّ بالاعتذار عن ما كان من سلوك ابنها بالقول:

- **أم حسني:** أخي أبو العز، عم قول لحالي يا سواد وشيّ (وجهي) منّك، والله مالي عين امشي بالحارة من عمايل ابني حسني، بسّ انت بتعرف قلب الأم شو مشرشح.. ومنشان هيك أنا فايتة على الله وعليك، هات لبوس (قبّل) ايديك واجريك.. والله قلبي غليان على حسني.. عايش يمّا (أو) ميّت فضايل الله حواليه. شو عم ياكل وين (أين) عم ينام.. خايفة ليكونوا مسركنينه (مرحلينة) لشيء إرنة ينقطع فيها. بآ من شان الله اذا بتعرف لي شي عنه، والله دموعي نشفت، وقلبي عم يحترق عليه.. الله يخليك طالبته من الله على إيدك. يستر حريماتك لا تردّني مكسورة الخاطر!!..

أخبر أبو العزّ أم حسني بأنّه من حين مشكلة ابنها مع أبي رمزي لم يعد يتعاطى بموضوعه. عاودت أم حسني التوسّل لأبي العزّ بأن يساعدها بالعثور على ابنها بقولها:

- **أم حسني:** الله يخليك جبور بخاطري، دأدس لي (ابحث) عنه الله لا يبليك، ويعطيك ليرضيك والله يا أبو العز الآخ عم تطلع وعم يطلع معها من قلبي دخّان من خوفي عليه.

٦- عود أعوج وإحكي جالس:

فيما كان أبو العزّ عند مدخل المقهى مع أم حسني، التي حسبها أبو عمر أنها أم نعيم، كان أبو عمر يضرب أخماس باسداس وقد امتلأ حقداً ورغبة بالانتقام من أبي العز!!. قطع أبو راشد على أبي عمر ما كان به من أفكار تتقاذفه بحق أبي العز بقوله:

- **أبو راشد:** شبنا (ما بنا) أبو عمر!!.. نصف الألف خمسماية!!.

نفّس أبو عمر بعض ما يعتلج في صدره بحق أبي العز بقوله:

- **أبو عمر:** هلاًّ أبو راشد بدّي إسألك شو إجاه أبو العز من هالقصة مع أم نعيم. والله جاية على بالي قوم طربقها على رأسه هوّ وأم نعيم ويلّلي

بده يصير.. يصير. لك والله هالأبو العز لحا يلبّسني عقلي بالمقلوب.. شو دخله بامّ نعيم، أي والله لو كنت آكل مال أبوه مو هيك!!..

أجابه أبو راشد:

- **أبو راشد:** أبو عمر، عود (أقعد) أعوج وإحكي جالس. ولا تغلط بحق أبو العز!!. الرجال ما عمل معك شي خايس، وفوق هيك أنت وإياه طول عمركم حبايب!!.

قال أبو عمر: الصاحب ما بيبوق بصاحبه، ليكه (هاهو) عم يكنّدر أم نعيم على باب القهوة!!.. سوّد شاشي مع المخلوقة، يا ويله من رب العالمين(٤).

وعندما عرف أبو عمر أنّ تلك المرأة التي كانت تحدث أبا العزّ عند مدخل المقهى، إنما هي أمّ حسني، انقبض أبو عمر على نفسه خجلاً، فلمّا عاد أبو العز، لم يجروء أبو عمر أن يتطلّع في وجه أبي العزّ خجلاً!!.

لمّا عرف أبو العزّ ما كان يساور أبي عمر ضحك قائلاً:

- **أبو العزّ:** يا جماعة، انتم بتعرفوا أنّه أبو عمر صاحبي وهمشريتي وأنا إذا ما بفوّت له وحدة، لأني بحبّه وما بحبّ الزاحلة تطلع من صاحبي، وشغلته مع أم نعيم لسّاتها (لا تزال) حكي بحكي، ووقت بيجدّ الجدّ، أنا لحا إعمل جهدي لحتى ما يغلط أبو عمر!!.. لأنّي طول عمري بقول للأعور أعور بعينه، ولأنّه حكي الوجه قوّة وحكي القفا مروّة.

ختم أبو دياب ذلك الإشكال بقوله:

- **أبو دياب:** وهلاّ يا جماعة ضاعت ولقيناها، وبدّي إسألك يا أبا العز، شو لحا تعمل منشان هالمسكينة أم حسني؟!!..

أجاب أبو العزّ قائلاً:

- **أبو العزّ:** عيّن خير أخي أبو دياب، وإن شاء الله منحطّ إيدنا مع بعض بركي (ربّ) منقدر نطّمن هالحرمة على ابنها!!.

عندئذ قال أبو رياض:

- **أبو رياض:** بتعرفوا يا جماعة حكاية حسني ذكرتني بحكاية ولد كشاش طيور. وكشّاش الطيور هذا ولد مغضوب كان مبزّق أمّه الدم ومدوّخها السبع دوخات. وأردف أبو رياض بأنّ حكاية هالولد حكى له إياها أبو عمر، وإذا أبو عمر بيحكي لنا إيّاها بتطلع من تمّه أحلى، لكنّ أبا عمر لم يكن متأكداً من فحوى وتفاصيل تلك الحكاية فكان على أبي رياض أن يحكيها لهم.

- **أبو رياض:** يا جماعة هالحكاية أنا سمعانها كمان (أيضاً) من مرت (امرأة) خال أبي لمّن (عندما) كنّا سهرانين ببيت مجرفة بزقاق الشيخ بالشاغور ومرت خال أبي هذه كانت إذا رغبت أن تحكي حكاية تشترط حضور محبّاتها أم بدر وأم شفيق وأم سعيد وأم عزّو، فضلاً عن أم محمود لولب تلك السهرات.

٧- كشاش الطيور:

تحكي هذه الحكاية قصة ولد سرسري عطّال بطّال، لا شغلة عنده ولا مشغلة، ومقطّع السايلة على ولدنة حرام. وطول ما له قاعد عمّ يقول لأمّه هاتي.. هاتي.. حتى باعت ما فوقها وما تحتها، وخلّاها عالحصيرة وما عاد حيلتها حيلة[٥].

وهالولد كان يقضي جلّ وقته مع أولاد آدو في لعب القمار والبلطجة والنصب والاحتيال. وعندما أصبح يضيق خلقه (صدره) فكّر أن يمضّي الوقت بكشّ الطيور، يعني حميماتي، وقام ما عاد فارق الأسطوح (السطح)، ويا من تراه عمّ يلولح بالعصاية (العصى) والشرطوطة وعلى صفْير وكلخ مسبّات (شتائم) وصياح على هذا الطير أو ذلك، كالمسوّد والبربريسي والأبلق والمرقّع. لدرجة ضجّ الجوار منه، وأصبح الواحد منهم يشتهي أن يتناول

فنجان قهوة في باحة داره من غير أن يناله عرموشة ذرة، أو فردة بابوج أو قطعة حجارة مما يرمي به هالحميماتي طيوره ليضمن عودتها إليه سالمة. وفوق ذلك لم يعد باستطاعة امرأة أن تنشر غسيلها أو تحرّك معقودها، دون أن يكون هذا المنظوم قاعداً لها عالأسطوح.

حاول الجوار التفاهم معه، ولكن دون جدوى.. فكان عمدت أمّه إلى شكواه للآغا عسى أن يجد له صِرفة تثنيه (تبعده) عن سلوكه. فقد كان الآغا في تلك الأيام آغا بكل معنى الكلمة.. وكلمته مسموعة ولا تنزل على الأرض، وإذا خطر ببال الآغا خاطر فإنه لا مجال حاصل حتى لكأنّه حكومة لها صولة ودولة، ولم يكن لأحد أن يقول له ثلث الثلاثة كم!!.

ولم تكد الأم تشكي ابنها للآغا حتّى ندمت، مغبّة أن يصيب ابنها مكروهاً على يد زبانيّة الآغا، وبخاصّة بعد أن أمر ذلك الآغا أن تذهب الأم مع الجندرما لتدلهم على مكان تواجد ولدها، لأخذه إلى الآغا.. فدلتهم على شاب آخر من المارّة فأمسك به الجندرما واشبعوا لكماً وضرباً وهم يجرّونه إلى الآغا.. وعبثاً حاول الشاب أن يُفهم الآغا، أن تلك المرأة ليست والدته وأنّ والدته قد توفيت منذ زمن. لكن الآغا لم يصدّقه.

٨- بدل ضايع:

وأمعن الجندرما بضرب ذلك الشاب وشتمه وأعقب ذلك إقرار الآغا أن يبطح الشاب أرضاً لينال عقابه (فلقة) فأشبع الشاب ضرباً حتى تورّمت قدماه.. وبالتالي أجبر الشاب على تقبيل يدي وقدمي المرأة كونها في عرف الآغا أمّه، وكان عليه أن يحمل تلك المرأة إلى البيت (دارها).. فلما رآه أخوه في السوق على هذه الحال، سأله عن تلك المرأة فقال أنها أمه. فقال له أخوه ولكن والدتنا توفيت منذ زمن.. أجابه الشاب: نحنا منعرف أنّ أمّنا ذهبت إلى رحمة ربها منذ زمن، لكنّ المهمّ أن يعرف الآغا ذلك ويصدّقه!!.

ما إن انتهى أبو رياض من حكاية كشاش الطيور (الحميماتي) حتى توجّه أبو العزّ إلى أبي رياض بقوله:

- **أبو العزّ:** أخي أبو الروض بمعّيتك المختار حابب نروح لعند صهرك أبو رمزي بركي بيسفط عن هالمنظوم حسني.. ومنلاقي صرفة مع أم حسني قبل ما تاخذ إجرها عالقهوة (المقهى) وتعمل لنا أردن ورسن!!.

وافق أبو رياض على اقتراح أبي العزّ وأردف ذلك بقوله:

- **أبو رياض:** أي والله يا أبو العز الحق معك، وأنا بالخدمة.. خوش صهري أبو رمزي سفط (تنازل) عن حقه مع حسني وأخذ جزوه (جزاءه) رب العالمين.

اقترح أبو دياب أن يكون ذلك عاجلاً وقبل أن يذهب أبو عمر إلى الحجّ. لكن أبو عمر ما لبث أن اعترض على أبي دياب المختار بقوله:

- **أبو عمر:** ما حزرت أخي أبو دياب، وهي أنا قدام (بحضور) الجميع عم قول: حضّ الله بيني وبين هالمخلوقة أم نعيم لا بالحج ولا بغيره.. خلص.. خلص التوبة عالقبلة وفاطمة بنت فطوم.. أي والله يلّلي فينا بيكفينا.. ووقت الله بينادي لي عالحج، راسي بيسبق إجريّ (رجلاه) وما حدا بيوقّف بطريقي[٦].

٩- أمر غير مباح:

عقب أبو راشد على قول أبي عمر بقوله:

- **أبو راشد:** أي سيدي.. يا جماعة اسمحوا لي إسأل أبا عمر اسمنّها رائقة معه الحشيشة (غير متعكّر) إذا يعني بيحكي لنا شغلة نهفة صارت بينه وبين أم المؤمنين أم عمر.. بركي (ربّما) منغيّر هالجوّ.

ما كان من أبي عمر إلاّ أن فرّ (نهض) من أربعته كما يقولون، واشتاط حنقاً وغضباً. ذلك أنّ تناول الحريم (المرأة ومن في حكمها) بالحديث في

المجالس أمر غير مباح، ولا يجوز الخوض به بحال من الأحوال. وأردف أبو عمر بقوله:

- **أبو عمر**: يعني ما بيكفي يلّلي عمله أبو دياب مع أم نعيم، وأخذني باصرة (بلا مقابل) وطالعني بظمة (خالي الوفاض) لك ما خلاّني حتى شمّ الزّفر من هالمخلوقة المربربة.

ضحك أبو دياب من قول أبي عمر قائلاً:

- **أبو دياب**: شوف أبو عمر، أبو راشد ما كان قاصد يللي دار براسك، يعني ما كان قاصدها، كان كلّ هم أبو راشد المباسطة بالسهرة، ومنشان هيك بدّك ما تعمل لحكي أبي راشد إيدين ورجلين.. بعدين أبو عمر بدّك تفتّح عينيك قد الطبّر أنا ما جبرت أم نعيم على شي، هيّه هيك بدّها، وكل مين حرّ بماله.. وأنا ما دخلت.

قنع أبو عمر بقول أبي دياب وتابع قائلاً:

- **أبو عمر**: خلص أخي أبو دياب خلص.. ومثل ما بدّك، وصافي يا لبن!!. لأنّك بتمون وكلامك عالعين والراس.

فسأل أبو أحمد أبا عمر:

- **أبو أحمد**: ها ها.. أنت عيني يا أبا عمر، وهلأّ بدّك تقول لنا شو حكاية أبو مستو معك.. لأنّه باينته لا في عليك وما له عم يتعزّل من دكانتك!!.

- **أبو راشد**: صعي (صحيح) والله، شو حكاية هالزلمة. لِكْ قال: إذا الحمار بيوقع بجورة ما بيعود بيوقع فيها مرّة ثانية.. يعني ما تربّى أبو مستو من هديك المرّة.. أي والله كان لحا يروح فيها!!.

عاود أبو دياب سؤال أبا عمر عن علاقته الجديدة مع أبي مستو، مؤيداً بذلك طرح أبي أحمد. لكن أبو عمر حاول التهرب، ولما لم يجدِ ذلك نفعاً قال:

- **أبو عمر:** وهيّ كمان شو فيها؟!! أبو مستو جاري، ولمن شاف عندي ديبو الفجعان، خاف ليقوم هالمنظوم يعمل له معي مقلب بشي عزيمة.. إه حب يحذرني منه.

ويعني شو فيها.. إذا الرّجال حبّ يرجع يحلق عندي.. حرام.. بعدين بيني وبينك أخي أبو دياب، والحكي بسّرك باينته هالأبو مستو مو رائقة الحكايا مع نسوانه!!.

ويللي عرفته من أبي مستو أنه التنتين (الزوجتان) اتفقنا عليه وصار بده يسايرهن أحسن ما يوجعه رأسه!!..

حتى ولو قالتا له إن اللبن أسود، فإن عليه أن يقول لهما هذا صحيح وعمره ما كان اللبن إلاّ أسوداً!!..

علّق أبو راشد على قول أبي عمر:

- **أبو راشد:** لك العمى بقلبه هالأبو مستو، ما حلّه يتربى، يا جماعة.. يا خوفي إذا أبو عمر كندر (جعله يوافق) أبا مستو على شي زوازة ثانية على نسوانه(٧)!!..

- **أبو عمر:** خاف الله يا ابن الحلال.. بعدين أنا شو دخلت؟!! قال يلّلي من إيده.. الله يزيده!!.

١٠- الحكاية فيها إنّ:

لم يقنع أحد من الكباريّة المتواجدين في جناح القصر من المقهى بقول أبي عمر، لأن من غير المعقول أن تكون العلاقة الجديدة بين أبي عمر وأبي مستو علاقة حلاقة وحسب!! فأبي مستو صار له ما يزيد عن أربعة أيّام لا يفارق دكان أبي عمر.. فلابدّ وأن يكون وراء تردّد أبي مستو على دكان أبي عمر حكاية فيها: إنّ!!..

فكان أن اضطر أبو عمر أن يقول للكبارية، بأنّ سبب تردّد أبي مستو على دكانه، أنه أحبّ أن يفش (يبوح) قلبه لأبي عمر عن حاله مع زوجتيه، فسايره أبو عمر حتى يرجع أبو مستو للحلاقة عنده، وقد صرّح أبو عمر للحضور بأن عودة أبي مستو للحلاقة عنده إنما هو بمنزلة رزق ساقه الله إليه واتبع ذلك أبو عمر بقوله:

- **أبو عمر**: يعني شو بدّي قول له؟؟!!. هل أقول له حل عنّي أنا ما عاد بدّي إحلق لك؟!!. ما بيصير.. مو هيك (أليس كذلك).. حاكم بهالأيام صارت اللقمة مغمّسة بدم، وما عاد الواحد يقدر يجمع الراسين على فرد مخدّة (مخدة واحدة) إلاّ بألف يا ويلاه.

فما كان من أبي راشد إلاّ أن سأل أبي عمر:

- **أبو راشد**: الحق معك أبو عمر.. بس حابب إسألك يعني ما صار بينك وبين أبي مستو.. هيك.. هيك.. حكايا مثلاً.. سِيرة.. يمّا بسّ فش أبو مستو قلبه إلك؟!!.

- **أبو عمر**: ليش الكذب يا جماعة.. الرجال ما كذّب خبر، وما خبّى قال كل شيء بباله، من غير ما إسأله. لِك حتى السيران يلّلي عمله لإمّ مستو وضرتها حكى لي شو صار معه فيه. قال شو؟!! أم مستو بدها تروح مع ضرتها عالسيران بالحرج بالجبل يلّلي عند جامع الحنابلة لحتى تدقّ سقّاطة (مطرقة) باب الجامع وتقول:

يا حنبلي حبّلني!!.

ليش؟!! لأنها غيرانه من ضرتها يلّلي صار بطنها لحلقها!! بقا شايفين يا جماعة. يلّلي كانت ما لها عم تقدر تطخّي، وبدها مين يقوّمها من مكانها، صارت مثل الصبايا، وصار بدّها تحبل وتجيب ولاد مثل ضرّتها يللي أصغر من ولادها.

١١- السيران:

رغب الحضور إلى أبي عمر معرفة ما كان من أمر ذلك السيران الذي قام به أبو مستو لزوجته وضرتها. فقال لهم أبو عمر:

- **أبو عمر**: أنا يللي عرفته من أبي مستو أن أم مستو وضرتها سبقتاه إلى مكان ذلك السيران بالحرج عند جامع الحنابلة، وطلبتا إليه أن يلحق بهما وأن يحضر معه ما تيسّر من المقالي من رأس زهرة (قرنبيط) وبطاطا وباذنجان وكوسا، وكذلك عدّة (لوازم) السلطة وشيء بطيخة لبلّ ريقهما في السيران.. وأن لا ينسى أن يحمل معه نعارة لبن وبعض النقرشة من الموالح (المكسّرات وتوابعها).

لكن هالمسكين ربّك (الله) ما كمّلها معه!!. وإذا بدكن تقولوا ليش (لماذا) أنا لحا أقول لكم:

- هالمسكين الله جايبها عليه.. والله يرحم أهل أول (زمان أول) لأنّهم ما خلّوا شيء ما قالوه، قالوا:

«يللي ما له حظ.. لا يتعب ولا يشقى».

لأنّ هالمسكين لحتّى يبيض وشّ (وجه) مع أم مستو وضرّتها قدام السيرانجيّة، قام نتع (حمل) للسيران أغراض ولوازم لأوّل لها من آخر، وشدّ بطلوع الجبل للحرج.. الله يعينه صار عرقه مرقه كما يقولون. وبالتالي انقطع نفسه وصار بده يقول يا رب العون، ويلعن السيران على أبو السيران، على أبو يلّلي بيخفف عقله ويسمع كلام النسوان. لأنّه مثل ما منعرف طلوع المهاجرين للجبل سلاّل.. وبالمختصر المفيد صار بأبي مستو مثل ما بيقول المثل: طلاع يا مكروب لشمّمك الهوا، وهيكِ (هكذا) قال لحاله عود (أقعد) استريح لك شويّ، بركي (ربما) الله بيبعت لك مين يعاونك على هالحملة للحرج[٨].. حاكم نسوانه والجيران عمّ يستنّدوة ولحا (يكاد) يؤذن العصر!!

ولكن لا مغيث، فكبس على جرحه ملح وعاود حمل أغراض السيران، فلم يستطيع أن يمشي، فقال لنفسه كانت باطلة ومحوله هالروحة، إي الله انسلخ باطي ورجلّي ما عادت تحملني.. لك ليش الأغراض صاروا ثقال، شو لك يا أبو مستو باينتك حلّست وفضي عصبك!!.. الله يلعن الزواج ويلعن يللي (من) يُتَتّي (يتزوج على زوجته).. لك أبو مستو انت كنت بعنزة واحدة مالك مخلّص، ويا دوبه ماشي حالك!!. يا حوينة (ضيعان) شبابك يا أبو مستو، راحت عليك..

ثم تابع أبو مستو كلامه:

ولاّ قول لّك، قوم.. قوم بلا لكاعة، الجماعة عم يستنّوك.. لكنه لم يكد يمشي خطوات حتى عاود مخاطبة نفسه:

ليش الكذب.. أنا ما عاد فيني، حاجة كابر بالمحسوس.. والله لأقعد شوي بركي (ربما) بيمرق (يمرّ) حدا بيعاونني بهالحملة للحرج. ولكن لا مغيث، فعاود حمله وهو يكدّ ويعنّ.. ولم يكد يصل حتّى ضبضت (غيّمت) وأرعدت، ونزلت (هطلت) أمطار وأمطار ما كانت بالبال ولا بالخاطر!!. فما كان من جميع السيرنجية إلاّ أن ضبّ كل منهم أو منهنّ أغراضه وعاود الرجوع إلى بيته. وأصبح السيران في خبر كان.

١٢- بياكل عليها بالدين:

قال أبو عمر مخاطباً الحضور:

- **أبو عمر**: شايفين يا جماعة حظات أبو مستو (من الحظ).

فقال أبو دياب:

- **أبو دياب**: يعني يا أبو عمر مو إنت يلّلي شركلته بها الزواجة الثانية لا حول ولا قوة إلا بالله.

فقال أبو عمر:

- **أبو عمر:** أنا شو دخلت، هوّ هيك بدّه، والله كان بياكل عليها بالدين!!

عقب أبو العز بقوله: ومن شأن هيك يا أبو عمر، الواحد قبل ما يعمل شي. لازم يفكر، يعني: إعقل وتوكل، مو يرمي حاله ويقول هيك الله كاتب له!!. وكمان انت يا أبو عمر لازم تعرف أنّه الرزق مكتوب، والواحد مو عيب يلحق رزقه، بسّ مو (ليس) مثل حكايتك عامل لي حلاّق ومطهر أولاد وحكيم سنان وغيره وغيراته من تاجر سمنة إلى دلاّل بيوت.. ولو طلع بإيدك لعملت حمصاني وبيّاع عرق سوس كمان.. لك خلّيك على شغلة، لأنه الواحد ما لازم يسبّع الكارات وما يخلي حدا غيره يعرف يشتغل لّه شغلة ياكل منها لقمته.

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر:** أنا ما لحا ردّ عليك، لأنّ أهل أول (زمان أول) قالوا: عين الحسود فيها عود.. بسّ لازم تعرف أنّه هالشغلات يلّلي عم تقول عنها: هَيّ لزوم الشغّل من أيام جدّي.. وجدّ جدّي. وطول عمره الحلاق بيشتغل هالشغلات..

فقال له أبو العز:

- **أبو العز:** وأنا يا أبو عمر ما لحا ردّ عليك، بسّ بدي قول للحاضرين:

زمان أول تحوّل، وبها لأيام كلّ واحد إله شغلة مو ياكل البيضة والتقشيرة وما يخلّي لحدا (أحد) شغل ياكل منه عيش!!.

١٣- حق الخبز والملح:

سأل أبو عجاج أبا عمر عن ما إذا أخذ أبو عمر أجر الحلاقة من أبي مستو. أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر:** لكان عمي.. لكان.. يمّا بدك ياني احلق له ببلاش واحمل له الأغراض لحتى يعمل سيران!!. بعدين عمي ما حدا جبره يحلق عندي. لك عمي أنا معلم ابن معلم!! عمي هدول أنامل من فضة وهالمقصّ من ذهب ويلّلي بدّه يحلق على هالكرسي بدّه يدفع.. موحيّ الله. يا إمّا يروح يلاقي له حلاق بسوق التّبن يحلق له على كرّاجة. يا طنبر.. هنيك (هناك) أرخص له.

علق أبو راشد على قول أبي عمر:

- **أبو راشد:** يا جماعة بالإذن منكم.. لأني حابب قول لأبي عمر إنّه إذا نحنا منحلق عنده، مو (ليس) لأنّه معلم ابن معلم ولا لأنّه شيخ كار الحلاّقين.. البلد تلانه (ملئى) بالحلاقين.. نحنا (نحن) منحلق عندك يا أبو عمر، بسّ (فقط) منشان الخبز والملح. وقبل أن يرد أبو عمر عقّب أبو العزّ:

- **أبو العز:** والله يا جماعة هالأبو عمر طول عمره هيك.. بتدقّ المي (الماء) وهيّه ميّ.. ما منّه خواص.. هوّ هيك الله خلقه.. والزلمة عنده: صاحبه وحبيبه بسّ عالحبيبة لا تقرّب.

فقال أبو دياب:

- **أبو دياب:** شوف يا حسن.. يعني بدنا نقول لك وبالمختصر المفيد.. انت بحقّ وحقيق مالك منّا (منّنا) ومن هلأّ (الآن) ورايح كل مين إله نبي بيصلّي عليه.. بدّك ما تآخذنا يا حسن.

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر:** هيك حسن حاف!! يعني ما عدت أبو عمر وما عدت منكم؟!! إحكي لك كلمة يا أبو راشد.. شو أبو العزّ، ببالي أنا وانت همشرية(٩)!!..

١٣- المصاري وسخ الدنية:

قال ذلك أبو عمر والدموع تتساقط من عينيه. فأجابه أبو العزّ:

- **أبو العزّ:** والله يا عمي قال المثل «جاجة حفرت على راسها عفرت» انت عملت هالشي بحالك بإيدك.. بتستاهل يا أبو عمر، ويلّلي من إيده الله يزيده.. وإذا كنت همشريتك.. أنا والله يا أبو عمر ما فيني إزعل الجماعة من شانك ومن شان مفاخيتك.. ومثل ما قلت لك: يلّلي من إيده الله يزيده.. انت هيك بدّك!!..

قال أبو عمر وهو في حال من الترجّي بل الاستجداء:

- **أبو عمر:** وهيك يا أبو دياب هانت عليك العِشرة.

أجابه أبو دياب:

- **أبو دياب:** مو نحن يلّلي بتهون عليه العشرة.. انت هيك بدّك، والبادي أظلم.. لأنّك بتعرف إنه يلّلي بده يقعد معنا بدّه يكون قد هالحمل.

قال أبو عمر: شو عليه يا أبو العز، وقعت البقرة وكثرت سكاكينها وهي أخوك أبو عمر وقع وما حدا (أحد) سمّى عليه.

رد عليه أبو العزّ:

- **أبو العزّ:** شوف يا أبو عمر، أنا كم مرّة قلت لك مو عيب الواحد يسعى لعياله.. وقلت لك أوعا (إحذر) من دناوة (دناءة) النفس.. بس انت هيك بدك.. وما كنت تعرف انه المصاري (الدراهم) ما لهم كل شي بها الدنية.. لك عمّي المصاري وسخ الدنية، ويلّلي بده يكون زكرت ومعدّل، ما بده يكون كلبان على زبايل الدنية مثل حكايتك.. وأنا يا ما نصحتك، بس انت ما كنت تقبل، بدّك ما تآخذني.

وعندما طفح الكيل بأبي عمر قال لأبي العزّ:

- **أبو عمر:** الحق معك أخي أبو العزّ، وانتم كلكم على راسي.. بسّ (لكن) آخ آخ.. خلّيها بالقلب تجرح ولا تطلع وتفضح.. الله يرحم يلّلي قالوا:

«يلّلي بيعرف بيعرف.. ويلّلي ما بيعرف بيقول كف عدس»

وهلأ بدكن ما تآخذوني.. استروا ما شفتوا منّي.. على الله العوض، ومنّه العوض.. خاطركم..

اعترض أبو العز أبا عمر قائلاً:

- **أبو العزّ:** عود (أقعد) أبو عمر.. عود لشوف.. قول لي شو بك (ما بك) شو صاير معك!!.

- **أبو عمر:** سلامتك أخي أبو العزّ سلامتك ما في شي.. الشكوى لغير الله مذلّة.. إنتو (أنتم) جماعة كبارية وأنا يا دوبي حلاق، قال يلّلي بيتطلع لفوق بيوجعه راسه.. وأنا خليني بهمّي.. ربّك بيبلي وبيعين.. الله فيه الكفاية ومكتور الخير أخي أبو العزّ، المعونة بالله بعدي اسمه. قال:

«لا تبكي على يلّلي مال ماله.. ابكي على يلّلي مال حاله»[١٠]

أجاب أبو العزّ:

- **أبو العزّ:** إذا هيك ما حزرت.. عود لشوف.. الجماعة حبّوا يطقوا لك برغي، ويدسّوا نبضك، لحتّى ما يستقوي عالدراويش من أمثال أبي مستو!!.

انفردت أسارير أبو عمر، وانتعشت أحواله، وأردف قائلاً:

- **أبو عمر:** الله يصطفل فيكم (بكم).. خص نصّ انت يا مختار، الله يسامحك!!.

أجاب أبو دياب:

- **أبو دياب:** ليش نحنا منقدر نزعلك يا أبو عمر.. إي والله أخوك أبو العزّ بينشر عرضنا على بيرق (علم).. نحنا حبّينا ندعس لك على طرف لحتى تقول: إن الله حق، وتقول الله يديم المحبّة ويا ويله يللي ما بيخاف الله، وانت هيك بدّك وما كنت تعرف إنّه يلّلي بدّه يقعد معنا بدّه يكون قدّ (قدر) هالحمل.

وعقب أبو العز على كلام المختار أبو دياب:

- **أبو العز:** وأنا يا أبو عمر أنا يا ما قلت لك إنه مو عيب الواحد يسعى لعياله.. ما كنت تفهم.. لأنّك دايم الدوم راكض ورا (وراء) الدنيا. وفوق هيك صاير هالأيام عمّا تخبّي شو صاير معك[11]..

أجاب أبو عمر:

- **أبو عمر:** أخي أبو العز، انت بتعرف إنّه عمر مسافر ومرته (زوجه) حامل، قامت تعسّرت عندها الولادة.. قمنا أخذناها عالخستخانة (المشفى) قاموا شقّوا لها بطنها لحتى طالعوا الولد.. وهيك صار بدي ادفع ما فوقي وتحتي.

سارع أبو دياب إلى القول:

- **أبو دياب:** وأنا من شان هيك على حسابي الخستخانة، وهي أخوك أبو العز لحا يبعت لك قفّة رز وشوال سكر، وأبو عجاج عليه الفدو. فعقب أبو رياض وإلك مني غنية غالية على قلبك يا أبو عمر. فقال أبو دياب:

- **أبو دياب:** وهلاً يا أبو الروض بدنا منّك غنيّة نروّق فيها.

قال أبو رياض:

- **أبو رياض:** مو على عيني بسّ بدكن تردّوا معي.

- **أبو دياب:** أي لكان يا لله.

- **أبو رياض:**

يــــا حنايـنــــا يــــا حنايـنـــــا	**شـــو معـــذّبين انـــتِ وأنـــا**
مالِــك غِنــى عـــن عـــشرتي	**وأنـــا كمـــان مـــالي غنـــى**

* * *

قايمة من النوم تنده يـا لطيـف لالي مجنونة ولا عقلـي خفيـف

يا مين بحب الله يطعميني رغيف رغيف الحبيب يشبعني سنة

- الجميع:

يـا حناينـا يـا حناينـا شـو معـذّبين انـتِ وأنـا

- أبو رياض:

قايمة من النـوم تنـده سادتي واقعه بالعشق شوفوا حالتي

لقوم نصّ الليل شوف فرشتي خالية من الحب ووحدي أنـا

- الجميع:

يـا حناينـا يـا حناينـا شـو معـذّبين انـتِ وأنـا

- أبو رياض:

قايمة من النوم تنـده يـا تـرى لابسة الفستان ولسّا مـا درى

يلبـق للحلـوة عليّـة ودرج وعبـد وطواشـي والآمـر أنـا

- الجميع:

يـا حناينـا يـا حناينـا شـو معـذّبين انـتِ وأنـا

- أبو رياض:

يا ظريف الطول طولك ما ارمحه سـواد عينـك لقلبـي يجرحـه

وان حكى العزول بإيدي لادبحـه ولو رحت سركن لحمص وحمـاه

يا ظريف الطول من غيرك إلــي ولو سقيتني السمّ من إيدك حلــى

اولتــك للغيــر وآخرتــك إلــي ســـامح بقـــا حاجـــة عـــدونا

- **الجميع:**

يـــا حناينــــا يـــا حناينــــا شـــو معـــذّبين انـــتِ وأنـــا

مالِــك غنـــى عـــن عـــشرتي وأنـــا كمـــان مـــا لـــي غنـــى

صفق الجميع لأبي رياض، فقال أبو عمر:

- **أبو عمر:** يا جماعة مكتورين الخير، والله يقدرني على مكافاتكم، وأنا والله خجلت إرمي حملي عليكم، قلت لحالي: المعونة بالله.

أجاب أبو دياب:

- **أبو دياب:** لَهْ يا أبو عمر.. هيّ (هذه) ما حبّيتها منّك.. الناس لبعضها، وقوم تعاونوا ما غلبوا.

الحواشي والإيضاحات:

١ - خلص كاز: من زيت الكاز وهو من وقود الإنارة: أرادوا بذلك استنفذت طاقته. منعنش: نشط. يللي: الذي. آجر فيك: كناية عن الرغبة في التصدّي عنوة. من إيدك لإيدك: كناية عن الطواعية. دقّات الصدر: أرادوا بذلك القلب. يمّا: أو. بيحجّ الحج بلا أبو حلاوة: أرادوا إمكان الاستغناء عنه.

٢ - يراغي: يوارب. سبعة أرواح: تطلق على المرء الذي لا يكل ولا يملّ مهما نزل به. حدا: أحد. شو لحا: سوف. طلاع (إخرج) من ها الابواب: كفاك مناورة وكذباً. هاد: هذا. طحان ما بيغبّر على كلاس: مثل شعبي أرادوا به التوقف عن المناورة. البير (البئر) وغطاه: المستور. كلام بكلام: أرادوا لا طائل منه. أنو: أيّ، للاستنكار. سيكار وبيكار: أرادوا وراءها ما وراءها من أطماع. حرمة: امرأة.

٣ - مين: مَنْ للاستغراب. من ايمتى: منذ متى. بياكل عليها بالدين: أرادوا أنّه لا يحلل ولا يحرّم. يلحس إصبعته: كناية عن الربح والكسب. هدول: هولاء. شوية: بعض. طاش حجره: اشتّد ارتباكه. هلأّ: الآن. شيخ سلته: أرادوا المكسباني. غبّ على أبي موزه: الشره في السلب. قد حالها: داعمة. خيّط بغير هالمسلّة: عدم جدوى المحاولة. قلب الأم شومشرشح: عنوا شدة حنانها، ومحبتها لابنها.

٤ - إجريك: قدميك. طيبّ: على قيد الحياة. إرنة: مكان. يضرب اخماس بأسداس: يحاول أن يعرف ما سيؤول إليه الأمر. نصف الألف خمسماية: أرادوا التخفيف عن ما ينتاب المرء من مخاوف. نفّس: باح. طربقها على راسه: خربها. بلبسه عقله بالمقلوب: عنوا بذلك كناية عن عدم الاستقرار على رأي. شو: ماذا. يبوق: يغدر. بكندر: بقولب. سوّد شاشي: أرادوا سمعته.

٥ - ما بفوّت له واحدة: لا أسكت أو لا أجاريه إذا أخطأ. الزاحلة: الخطأ. حكى الوجه قوة: مثل شعبي أرادوا منه عدم القبول بالمواربة في التعامل. نحط أيدنا مع بعض: عنوا التعاون. يبزّق أمه الدم: كناية عن كثرة الأخطاء والحماقات. السبع دوخات: كثرة المعاناة. لولب السهرات: محراكها. السابلة: الطرقات. خلاّها عالحصيرة: خالية الوفاض. ما عاد حيلتها حيلة: في أسوأ حال.

٦ - أولاد آدو: قرناء السوء. البلطجة: النصب والاحتيال. ما عاد: لم يعد. عرموشة ذرة: عرنوس بعد أكلت ثماره. كم: مقدار. الجندرما: الجند. تأخذ إجرها: تعتاد القدوم. أردن درسن: إشكالات وفضايح. خوش: حقيقة. فاطمة بنت فطوم: كناية عن عدم التفكير بذلك. يلّلي: الذي.

٧ - أخذه باصرة: لا حول له ولا طول. شم الزفر: الحرمان من كل شيء. المربربة: أرادوا صاحبة الأموال والأطيان وما شابه. الطبر: عملة نقدية كبيرة المحيط. وعنوا بقدّ الطبر: أن يوسع حدقتي العينين. يتعزّل: يخرج. هديك: تلك. يروح فيها: يلاقي أجله. مو رائقة الحكايا معه: غير راض عمّا يواجهه مع نسوانه. زوازة: الزواج.

٨ - اللقمة مغمّسة بالدم: كناية عن الصعوبة في الحصول على المال. يجمع الرأسين على فرد مخدّة (مخدة واحدة): مثل شعبي كناية عن صعوبة التوازن بين الدخل ومتطلبات الحياة. ما كذب خبر: أي قال الصدق أو الحقيقة. بطنها لحلقها: كناية عن تورّم أسفل البطن نتيجة للحمل. تطّخي: تنحني أو تقرفص. لحلقها: إلى حلقها: من علامات الحمل. نعارة لبن: آنية لأجل اللبن الرائب. يبيض وجه: يُرضي. شوي: قليلاً.

٩ - يستنّوه: ينتظرنه. كبس عالجرح ملح: كابر. حلّست: ضعفت. فضي: فرغ، انتهى. راحت عليه: لم يعد نافع لنافعة. لكاعة: كسل. بياكل عليها بالدين: كناية عن شدة الرغبة. وكمان: أيضاً. يسبّع الكارات: يكثر من

تعدد أشكال وأنواع العمل. ياكل البيضة والتقشيرة: أي أن لا يدع لغيره مجالاً للكسب. بلاش: بلا أجر. تدق الميّ (المياه) وهيّ ميّ: مثل شعبي أرادوا به عدم جدوى محاولات الإصلاح. كل مين إله نبي بيصلّي عليه: أيضاً مثل شعبي يعني كلّ حرّ بنفسه. حاف: بلا توجيب أو تقدير.

١٠ - جاجة: دجاجة. مفاخيتك: أعمالك الرديئة. وقعت البقرة: مثل شعبي يراد به التخلّي عن المرء وجعله يواجه الحياة وحيداً. سمّي عليه: قال بسم الله بمعنى التحلّي. خليها بالقلب تجرح: مثل شعبي يراد به الحسرة. يللي ما بيعرف بتقول كف عدس: أيضاً مثل شعبي مجاله من يأخذ بالظاهر ولا يعلم السرائر. مال ماله: أصبح في قلّة. مال حاله: أصبح وحيداً لا سند له، والمقولتان من مثل شعبي متداول.

١١ - عود: أقعد، أجلس. يطقوا لك برغي: أرادوا اختبار. يصطفل فيكم: منكم لله.. خصّ نصّ: بخاصة. ينشر عرضنا على بيرق: أرادوا عدم الموافقة. ندعس لك على طرف: يعني فركة إذن أو تخدير. بدّك: تريد. قد: قدر. قد هالحمل: عنوا يحاكي سلوكنا ومتلنا.

١٢ - شقوا بطنها: فتحوا. حط ما فوقي وتحتي: كناية عن دفع الغالي والرخيص. الفدو: أرادوا العقيقة. مسركن: مجبر على السفر. إرمي حملي: اتكل عليكم.

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - حسن زكي الصواف: قاموس الكلمات العامية الدمشقية – دار بعل للطباعة والنشر – ٢٠٠٨م.

٣ - محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي – ط (١) – دار الفكر بدمشق ١٩٩٠م.

٤ - محمد رضوان الداية: الكنايات العامية الشامية وأصولها الفصيحة – الموسوعة الشامية – ط (١) – دار الفكر بدمشق ١٩٨٨م.

٥ - منير كيال: كنايات الشوام في الألقاب والتخاطب والنداء - ط (١) – الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة ٢٠١٠م.

٦ - منير كيال: معجم بابات مسرح الظّل – كركوز وعيواظ في نصوص موثقة – ط (١) – مكتبة لبنان – بيروت ١٩٩٥م.

٧ - منير كيال: معجم درر الكلام في أمثال أهل الشام – ط (١) – مكتبة لبنان – بيروت ١٩٩٣م.

٨ - أحمد أبو سعد: قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية – مكتبة لبنان – بيروت ١٩٨٧م.

٩ - أحمد رضا: قاموس ردّ العامي إلى الفصيح – ط (٢) – دار الرائد العربي – بيروت.

١٠ - ياسين عبد الكريم: موسوعة العاميّة السورية في أربعة أجزاء – دراسة لغوية نقدية في التفصيح والتأصيل والمولّد والدخيل – ط (٢) – الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة ٢٠٠٣م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

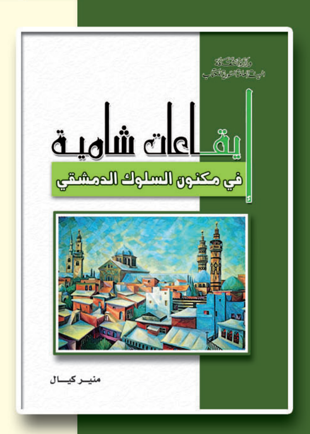
المؤلف في سطور

منير كيال

- من مواليد دمشق ١٩٣١م.
- درج في أحيائها الشعبية وبدأ القراءة والكتابة على يد مشايخ كتاتيبها.
- تابع دراسته الإعدادية والثانوية في مدرسة التجهيز بدمشق، وأكمل دراسته في الجامعة السورية وحصل منها على درجة البكالوريوس في الجغرافية من كلية الآداب.
- مارس هواية التصوير الضوئي، وشارك في عدد من المعارض المحليّة والدولية، كما أقام ستّة معارض فرديّة بدمشق، وكان اهتمامه منصبّاً على الوجوه المعبّرة والبيئة الشعبية وبخاصّة الحرف التقليدية وأنماط المعاش والدور والقصور والحمّامات العامة والأوابد الأثرية.
- درس عادات الناس وتقاليدهم في دمشق في إطار الكلمة المحكيّة واللّحن والإيقاع والتشكيل وكان يلتصق بالنّاس على تنوّع مشاربهم وشرائحهم الاجتماعية.
- صدر له عشرين كتاباً في شتّى مناحي الحياة الاجتماعية الدمشقية وأوابدها ومكانتها على مدى العصور.. فضلاً عن دراساته المنشورة في الدوريات المحلية والعربية والأجنبية عن العديد من نواحي الحياة الدمشقية وخصائصها.

الطبعة الأولى / ٢٠١٣م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



صحبٌ نشؤوا منذ نعومة أظفارهم في بيئة متقاربة، أكان ذلك في دارة الخوجة أم في الكتاتيب، ومن ثمّ في الحارة.. ثم توازعوا في مناهل الحياة بعد أن تآخوا بالدم على الوقوف إلى جانب بعض في السّراء والضراء، في إطار ما تواضع عليه الوجدان الجمعي من تحابّ وتناصر وإيثار والموقف الشهم الذي تتطلّبه الزكرتية. والنأي عن كل ما يخرج عن العُرف والتقاليد.. من خلال مواقف ومقالب ومماحكات ومفارقات حوارية ومشادّات كلامية، ومواقف كوميدية فيها من الطرفة والمتعة ما يشدّ إليها القارئ بما يؤطرها من كنايات المثل الشعبي بما له من شمولية تؤطّر مناحي الحياة.

فالكتاب يحاكي التقاليد التي كان عليها الناس مع أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، في إطار الحرفة (الكار) والبيع والشراء والأخذ والعطاء، والأثرة في مقابل الجشع والطمع والسعي في مواجهة التواكل... وصراع هذه المفاهيم وصولاً إلى جوهر الإنسان الأصيل.





www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٢٣٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٣م

سعر النسخة ٥٠٠ ل.س أو ما يعادلها